http://www.shamela.ws

تم إعداد هذا الملف آليا بواسطة المكتبة الشاملة

[زاد المسير – ابن الجوزي]

الكتاب : زاد المسير في علم التفسير

المؤلف : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت

الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤

عدد الأجزاء : ٩

قوله تعالى أو تحرير رقبة تحريرها عتقها والمراد بالرقبة جملة الشخص واتفقوا على إشتراط إيمان الرقبة في كفارة القتل لموضع النص

واختلفوا في إيمان الرقبة المذكورة في هذه الكفارة على قولين

أحدهما أنه شرط وبه قال الشافعي لأن الله تعالى قيد بذكر الإيمان في كفارة القتل فوجب حمل المطلق على المقيد

والثاني ليس بشرط وبه قال أبو حنيفة وعن أحمد رضي الله عنه في إيمان الرقبة المعتقة في كفارة اليمين وكفارة الظهار وكفارة الجماع والمنذورة روايتان

قوله تعالى فمن لم يجد اختلفوا فيما إذا لم يجده صام على خمسة أقوال

أحدها أنه إذا لم يجد درهمين صام قاله الحسن والثاني ثلاثة دراهم قاله سعيد بن جبير والثالث إذا لم يجد إلا قدر ما يكفر به صام قاله قتادة والرابع مئتي درهم قاله أبو حنيفة والخامس إذا لم يكن له إلا قدر قوته وقوت عائلته يومه وليلته قاله أحمد والشافعي وفي تتابع الثلاثة أيام قولان

أحدهما أنه شرط وكان أبي وابن مسعود يقرآن فصيام ثلاثة أيام متتابعات وبه قال ابن عباس ومجاهد وطاووس وعطاء وقتادة وأبو حنيفة وهو قول أصحابنا

والثاني ليس بشرط ويجوز التفريق وبه قال الحسن ومالك والشافعي فيه قولان

قوله تعالى ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم فيه إضمار تقديره إذا حلفتم وحنثتم وفي قوله واحفظوا أيمانكم ثلاثة أقوال

أحدها أقلوا منها ويشهد له قوله ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم وأنشدوا ... قليل الألايا حافظ ليمينه ...

والثاني احفظوا أنفسكم من الحنث فيها

والثالث راعوها لكي تؤدوا الكفارة عند الحنث فيها يآ أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون

قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر في سبب نزولها أربعة أقوال

أحدها أن سعد بن أبي وقاص أتى نفرا من المهاجرين والأنصار فأكل عندهم وشرب الخمر قبل أن تحرم فقال المهاجرون خير من الأنصار فأخذ رجل لحي جمل فضربه فجدع أنفه فأتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبره فنزلت هذه الآية رواه مصعب بن سعد عن أبيه وقال سعيد بن جبير صنع رجل من الأنصار صنيعا فدعا سعد بن أبي وقاص فلما أخذت فيهم الخمرة افتخروا واستبوا فقام الأنصاري إلى لحي بعير فضرب به رأس سعد فاذا الدم على وجهه فذهب سعد يشكو إلى النبي صلى الله عليه و سلم فنزل تحريم الخمر في قوله إنما إلى قوله تفلحون

(٤١٦/٢)

والثاني أن عمر بن الخطاب قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت التي في البقرة فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت التي في النساء لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى النساء ٤٣ فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت هذه الآية رواه أبو ميسرة عن عمر

والثالث أن أناسا من المسلمين شربوها فقاتل بعضهم بعضا وتكلموا بما لا يرضاه الله من القول فنزلت هذه الآية رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس

والرابع أن قبيلتين من الأنصار شربوا فلما ثملوا عبث بعضهم ببعض فلما صحوا جعل الرجل يرى الأثر بوجهه وبرأسه وبلحيته فيقول صنع بي هذا أخي فلان والله لو كان بي رؤوفا ما صنع بي هذا حتى وقعت في قلوبهم الضغائن وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن فنزلت هذه الآية رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وقد ذكرنا الخمر والميسر في البقرة وذكرنا في النصب في أول هذه السورة قولين وهما اللذان ذكرهما المفسرون في الأنصاب وذكرنا هناك الأزلام فأما الرجس فقال الزجاج هو اسم لكل ما استقذر من عمل يقال رجس الرجل يرجس ورجس يرجس إذا عمل عملا قبيحا والرجس بفتح الراء شدة الصوت فكأن الرجس العمل الذي يقبح ذكره ويرتفع في القبح ويقال رعد رجاس إذا كان شديد الصوت

(٤١٧/٢)

قوله تعالى من عمل الشيطان قال ابن عباس من تزيين الشيطان فان قيل كيف نسب إليه وليس من فعله فالجواب أن نسبته إليه مجاز وإنما نسب إليه لأنه هو الداعي إليه المزين له ألا ترى أن رجلا لو أغرى رجلا بضرب رجل لجاز أن يقال له هذا من عملك

قوله تعالى فاجتنبوه قال الزجاج اتركوه واشتقاقه في اللغة كونوا جانبا منه فان قيل كيف ذكر في هذه الآية أشياء ثم قال فاجتنبوه فالجواب أن الهاء عائدة على الرجس والرجس واقع على الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ورجوع الهاء عليه بمنزلة رجوعها على الجمع الذي هو واقع عليه ومنبئ عنه ذكره ابن الأنباري إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل أنتم منتهون وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين

قوله تعالى إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر أما الخمر فوقوع العداوة والبغضاء فيها على نحو ما ذكرنا في سبب نزول الآية من القتال والمماراة وأما الميسر فقال قتادة كان الرجل يقامر على أهله وماله فيقمر ويبقى حزينا سليبا فينظر إلى ماله في يد غيره فيكسبه ذلك العداوة والبغضاء

قوله تعالى فهل أنتم منتهون فيه قولان

أحدهما أنه لفظ استفهام ومعناه الأمر تقديره انتهوا قال الفراء ردد علي أعرابي هل أنت ساكت هل أنت ساكت وهو يريد اسكت اسكت

والثاني أنه استفهام لا بمعنى الأمر ذكر شيخنا علي بن عبيد الله أن جماعة كانوا يشربون الخمر بعد هذه الآية ويقولون لم يحرمها إنما قال فهل أنتم منتهون فقال بعضنا انتهينا وقال بعضنا لم ننته فلما نزلت قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم الأعراف ٣٣ حرمت لأن الإثم اسم للخمر وهذا القول ليس بشيء والأول أصح

قوله تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فيما أمراكم واحذروا خلافهما فان توليتم أي أعرضتم فاعلموا أنما على رسولنا محمد البلاغ المبين وهذا وعيد لهم كأنه قال فاعلموا أنكم قد استحققتم العذاب لتوليكم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين

قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا سبب نزولها أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم ماتوا وهم يشربون الخمر إذ كانت مباحة فلما حرمت قال ناس كيف

بأصحابنا وقد ماتوا وهم يشربونها فنزلت هذه الآية قاله البراء بن عازب والجناح الإثم وفيما طعموا ثلاثة أقوال

(٤١٩/٢)

أحدها ما شربوا من الخمر قبل تحريمها قاله ابن عباس والجمهور قال ابن قتيبة يقال لم أطعم خبزا وأدما ولا ماء ولا نوما قال الشاعر ... فان شئت حرمت النساء سواكم ... وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا ...

النقاخ الماء البارد الذي ينقخ الفؤاد ببرده والبرد النوم

والثاني ما شربوا من الخمر وأكلوا من الميسر

والثالث ما طعموا من المباحات وفي قوله إذا ما اتقوا ثلاثة أقوال

أحدها اتقوا بعد التحريم قاله ابن عباس والثاني اتقوا المعاصي والشرك

والثالث اتقوا مخالفة الله في أمره وفي قوله وآمنوا قولان

أحدهما آمنوا بالله ورسوله والثاني آمنوا بتحريمها وعملوا الصالحات قال مقاتل أقاموا على الفرائض

قوله تعالى ثم أتقوا في هذه التقوى المعادة أربعة أقوال

أحدها أن المراد خوف الله عز و جل والثاني أنها تقوى الخمر والميسر بعد التحريم والثالث أنها الدوام على التقوى والرابع أن التقوى الأولى مخاطبة لمن شربها قبل التحريم والثانية لمن شربها بعد التحريم

قوله تعالى وآمنوا في هذا الإيمان المعاد قولان

أحدهما صدقوا بجميع ما جاء به محمد صلى الله عليه و سلم

والثاني آمنوا بما يجيء من الناسخ والمنسوخ

(٤٢٠/٢)

قوله تعالى ثم اتقوا وأحسنوا في هذه التقوى الثالثة أربعة أقوال

أحدها اجتنبوا العود إلى الخمر بعد تحريمها قاله ابن عباس والثاني اتقوا ظلم العباد والثالث توقوا الشبهات والرابع اتقوا جميع المحرمات

وفي الإحسان قولان أحدهما أحسنوا العمل بترك شربها بعد التحريم قاله ابن عباس والثاني أحسنوا العمل بعد تحريمها قاله مقاتل يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم

قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد قال المفسرون لما كان عام الحديبية وأقام النبي صلى الله عليه و سلم بالتنعيم كانت الوحوش والطير تغشاهم في رحالهم وهم محرمون فنزلت هذه الآية ونهوا عنها ابتلاء قال الزجاج اللام في ليبلونكم لام القسم ومعناه لنختبرن طاعتكم من معصيتكم وفي من قولان أحدهما أنها للتبعيض ثم فيه قولان أحدهما أنه عنى صيد البر دون صيد البحر والثاني أنه عنى الصيد ما داموا في الإحرام كأن ذلك بعض الصيد والثاني أنها لبيان الجنس كقوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان الحج ٣٠

قوله تعالى تناله أيديكم ورماحكم قال مجاهد الذي تناله اليد الفراخ والبيض وصغار الصيد والذي تناله الرماح كبار الصيد

(٤٢١/٢)

قوله تعالى ليعلم الله قال مقاتل ليرى الله من يخافه بالغيب ولم يره فلا يتناول الصيد وهو محرم فمن اعتدى فأخذ الصيد عمدا بعد النهي للمحرم عن قتل الصيد فله عذاب أليم قال ابن عباس يوسع بطنه وظهره جلدا وتسلب ثيابه يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام

قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم بين الله عز و جل بهذه الآية من أي وجه تقع البلوى وفي أي زمان وما على من قتله بعد النهي

وفي قوله وأنتم حرم ثلاثة أقوال

أحدها وأنتم محرمون بحج أو عمرة قاله الأكثرون والثاني وأنتم في الحرم يقال أحرم إذا دخل في الحرم وأنجد إذا أتى نجدا والثالث الجمع بين القولين

قوله تعالى ومن قتله منكم متعمدا فيه قولان

أحدهما أن يتعمد قتله ذاكرا لإحرامه قاله ابن عباس وعطاء

والثاني أن يتعمد قتله ناسيا لإحرامه قاله مجاهد فأما قتله خطأ ففيه قولان

أحدهما أنه كالعمد قاله عمر وعثمان والجمهور قال الزهري نزل القرآن بالعمد وجرت السنة في الخطأ يعني ألحقت المخطئ بالمتعمد في وجوب

(٤٢٢/٢)

الجزاء وروي عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال الضبع صيد وفيه كبش إذا قتله المحرم وهذا عام في العامد والمخطئ قال القاضي أبو يعلى أفاد تخصيص العمد بالذكر ما ذكر في أثناء الآية من الوعيد وإنما يختص ذلك بالعامد

والثاني أنه لا شيء فيه قاله ابن عباس وابن جبير وطاووس وعطاء وسالم والقاسم وداود وعن أحمد روايتان أصحهما الوجوب

قوله تعالى فجزاء مثل ما قتل من النعم قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر فجزاء مثل مضافة وبخفض مثل وقرأ عاصم وحمزة والكسائي فجزاء منون مثل مرفوع قال أبو علي من أضاف فقوله من النعم يكون صفة للجزاء وإنما قال مثل ما قتل وإنما عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله لأنهم يقولون أنا أكرم مثلك يريدون أن أكرمك فالمعنى جزاء ما قتل

ومن رفع المثل فالمعنى فعليه جزاء من النعم مماثل للمقتول والتقدير فعليه جزاء

قال ابن قتيبة النعم الإبل وقد يكون البقر والغنم والأغلب عليها الإبل وقال الزجاج النعم في اللغة الإبل والبقر والغنم فان انفردت الابل قيل لها نعم وإن انفردت البقر والغنم لم تسم نعما

(٤٢٣/٢)

فصل

قال القاضي أبو يعلى والصيد الذي يجب الجزاء بقتله ما كان مأكول اللحم كالغزال وحمار الوحش والنعامة ونحو ذلك أو كان متولدا من حيوان يؤكل لحمه كالسمع فانه متولد من الضبع والذئب وما عدا ذلك من السباع كلها فلا جزاء على قاتلها سواء ابتدأ قتلها أو عدت عليه فقتلها دفعا عن نفسه لأن السبع لا مثل له صورة ولا قيمة فلم يدخل تحت الآية ولأن النبي صلى الله عليه و سلم أجاز للمحرم قتل الحية والعقرب والفويسقة والغراب والحدأة والكلب العقور والسبع العادي قال والواجب بقتل الصيد فيما له مثل من الأنعام مثله وفيما لا مثل له قيمته وهو قول مالك والشافعي وقال أبو حنيفة الواجب فيه القيمة وحمل المثل على القيمة وظاهر الآية يرد ما قال ولأن

(٤٢٤/٢)

الصحابة حملوا الآية على المثل من طريق الصورة فقال ابن عباس المثل النظير ففي الظبية شاة وفي النعامة بعير

قوله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم يعني بالجزاء وإنما ذكر اثنين لأن الصيد يختلف في نفسه فافتقر

الحكم بالمثل إلى عدلين

قوله تعالى منكم يعني من أهل ملتكم

قوله تعالى هديا بالغ الكعبة قال الزجاج هو منصوب على الحال والمعنى يحكمان به مقدرا أن يهدى ولفظ قوله بالغ الكعبة لفظ معرفة ومعناه النكرة والمعنى بالغا الكعبة إلا أن التنوين حذف استخفافا قال ابن عباس إذا أتى مكة ذبحه وتصدق به

قوله تعالى أو كفارة قرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي أو كفارة منونا طعام رفعا وقرأ نافع وابن عامر أو كفارة رفعا غير منون طعام المساكين على الاضافة قال أبو علي من رفع ولم يضف جعله عطفا على الكفارة عطف بيان لأن الطعام هو الكفارة ولم يضف الكفارة إلى الطعام لأن الكفارة لقتل الصيد لا للطعام ومن أضاف الكفارة إلى الطعام فلأنه لما خير المكفر بين الهدي والطعام والصيام جازت الإضافة لذلك فكأنه قال كفارة طعام لا كفارة هدي ولا صيام والمعنى أو عليه بدل الجزاء والكفارة وهي طعام مساكين وهل يعتبر في إخراج الطعام قيمة النظير أو قيمة الصيد فيه قولان

أحدهما قيمة النظير وبه قال عطاء والشافعي وأحمد

والثاني قيمة الصيد وبه قال قتادة وأبو حنيفة ومالك

وفي قدر الإطعام لكل مسكين قولان

أحدهما مدان من بر وبه قال ابن عباس وأبو حنيفة

والثاني مد بر وبه قال الشافعي وعن أحمد روايتان كالقولين

قوله تعالى أو عدل ذلك صياما قرأ أبو رزين والضحاك وقتادة والجحدري وطلحة أو عدل ذلك بكسر العين وقد شرحنا هذا المعنى في البقرة قال أصحابنا يصوم عن كل مد بر أو نصف صاع تمر أو شعير يوما وقال أبو حنيفة يصوم يوما عن نصف صاع في الجميع وقال مالك والشافعي يصوم يوما عن كل مد من الجميع

فصل

وهل هذا الجزاء على الترتيب أم على التخيير فيه قولان

أحدهما أنه على التخيير بين إخراج النظير وبين الصيام وبين الإطعام

والثاني أنه على الترتيب إن لم يجد الهدي اشترى طعاما فان كان معسرا صام قاله ابن سيرين والقولان مرويان عن ابن عباس وبالأول قال جمهور الفقهاء

قوله تعالى ليذوق وبال أمره أي جزاء ذنبه قال الزجاج الوبال ثقل الشيء في المكروه ومنه قولهم طعام

وبيل وماء وبيل إذا كانا ثقيلين قال الله عز و جل فأخذناه أخذا وبيلا المزمل ١٦ أي ثقيلا شديدا
قوله تعالى عفا الله عما سلف فيه قولان
أحدهما ما سلف في الجاهلية من قتلهم الصيد وهم محرمون قاله عطاء

(٤٢٦/٢)

والثاني ما سلف من قتل الصيد في أول مرة حكاه ابن جرير والأول أصح فعلى القول الأول يكون معنى قوله ومن عاد في الإسلام وعلى الثاني ومن عاد ثانية بعد أولى قال أبو عبيدة عاد في موضع يعود وأنشد ... إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا ... وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا ...
قوله تعالى فينتقم الله منه الانتقام المبالغة في العقوبة وهذا الوعيد بالانتقام لا يمنع إيجاب جزاء ثان إذا عاد وهذا قول الجمهور وبه قال مالك والشافعي وأحمد وقد روي عن ابن عباس والنخعي وداود أنه لا جزاء عليه في الثاني إنما وعد بالانتقام أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي إليه تحشرون
قوله تعالى أحل لكم صيد البحر قال أحمد يؤكل كل ما في البحر إلا الضفدع والتمساح لأن التمساح يأكل الناس يعني أنه يفرس وقال

(٤٢٧/٢)

أبو حنيفة والثوري لا يباح منه إلا السمك وقال ابن أبي ليلى ومالك يباح كل ما فيه من ضفدع وغيره فأما طعامه ففيه ثلاثة أقوال
أحدها ما نبذه البحر ميتا قاله أبو بكر وعمر وابن عمر وأبو أيوب وقتادة
والثاني أنه مليحه قاله سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والسدي وعن ابن عباس ومجاهد وعكرمة كالقولين واختلفت الرواية عن النخعي فروي عنه كالقولين وروي عنه أنه جمع بينهما فقال طعامه المليح وما لفظه
والثالث أنه ما نبت بمائة من زروع البر وإنما قيل لهذا طعام البحر لأنه ينبت بمائه حكاه الزجاج وفي المتاع قولان
أحدهما أنه المنفعة قاله ابن عباس والحسن وقتادة
والثاني أنه الحل قاله النخعي قال مقاتل متاعا لكم يعني المقيمين وللسيارة يعني المسافرين
قوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما أما الاصطياد فمحرم على المحرم فان صيد لأجله حرم

عليه أكله خلافا لأبي حنيفة فان أكل فعليه الضمان خلافا لأحد قولي الشافعي فان ذبح المحرم صيدا فهو ميتة خلافا لأحد قولي الشافعي أيضا فان ذبح الحلال صيدا في الحرم فهو ميتة أيضا خلافا لأكثر الحنفية جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في

(٤٢٨/٢)

السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم إعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم
قوله تعالى جعل الله الكعبة جعل بمعنى صير وفي تسمية الكعبة كعبة قولان
أحدهما لأنها مربعة قاله عكرمة ومجاهد
والثاني لعلوها ونتوئها يقال كعبت المرأة كعابة وهي كاعب إذا نتأ ثديها ومعنى تسمية البيت بأنه حرام أنه حرم أن يصاد عنده وأن يختلى ما عنده من الخلا وأن يعضد شجره وعظمت حرمته والمراد بتحريم البيت سائر الحرم كما قال هديا بالغ الكعبة وأراد الحرم والقيام

(٤٢٩/٢)

بمعنى القوام وقرأ ابن عامر قيما بغير ألف قال أبو علي وجهه على أحد أمرين إما أن يكون جعله مصدرا كالشبع أو حذف الألف وهو يريدها كما يقصر الممدود وفي معنى الكلام ستة أقوال
أحدها قياما للدين ومعالم للحج رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس
والثاني قياما لأمر من توجه إليها رواه العوفي عن ابن عباس قال قتادة كان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ إليها لم يتناول ولم يقرب وكان الرجل لو لقي قاتل أبيه في الشهر الحرام لم يعرض له ولم يقربه وكان الرجل إذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر فأحمته ومنعته من الناس وكان إذا نفر تقلد قلادة من الاذخر أو من لحاء السمر فمنعته من الناس حتى يأتي أهله حواجز ألقاها الله بين الناس في الجاهلية
والثالث قياما لبقاء الدين فلا يزال في الأرض دين ما حجت واستقبلت قاله الحسن
والرابع قوام دنيا وقوام دين قاله أبو عبيدة
والخامس قياما للناس أي مما أمروا أن يقوموا بالفرض فيه ذكره الزجاج
والسادس قياما لمعايشهم ومكاسبهم بما يحصل لهم من التجارة عندها ذكره بعض المفسرين
فأما الشهر الحرام فالمراد به الأشهر الحرم كانوا يأمن بعضهم بعضا فيها فكان ذلك قواما لهم وكذلك إذا أهدى الرجل هديا أو قلد بعيره أمن

كيف تصرف فجعل الله تعالى هذه الأشياء عصمة للناس بما جعل في صدورهم من تعظيمها
قوله تعالى ذلك لتعلموا ذكر ابن الأنباري في المشار إليه بذلك أربعة أقوال
أحدها أن الله تعالى أخبر في هذه السورة بغيوب كثيرة من أخبار الأنبياء وغيرهم وأطلع على أشياء من أحوال اليهود والمنافقين فقال ذلك لتعلموا أي ذلك الغيب الذي أنبأتكم به عن الله يدلكم على أنه يعلم ما في السموات وما في الأرض ولا تخفى عليه خافية
والثاني أن العرب كانت تسفك الدماء بغير حلها وتأخذ الأموال بغير حقها ويقتل أحدهم غير القاتل فاذا دخلوا البلد الحرام أو دخل الشهر الحرام كفوا عن القتل والمعنى جعل الله الكعبة أمنا والشهر الحرام أمنا إذ لو لم يجعل للجاهلية وقتا يزول فيه الخوف لهلكوا فذلك يدل على أنه يعلم ما في السموات وما في الأرض
والثالث أن الله تعالى صرف قلوب الخلق إلى مكة في الشهور المعلومة فاذا وصلوا إليها عاش أهلها معهم ولولا ذلك ماتوا جوعا لعلمه بما في ذلك من صلاحهم وليستدلوا بذلك على أنه يعلم ما في السموات وما في الأرض
والرابع أن الله تعالى جعل مكة أمنا وكذلك الشهر الحرام فاذا دخل الظبي الوحشي الحرم أنس بالناس ولم ينفر من الكلب ولم يطلبه الكلب فاذا خرجا عن حدود الحرم طلبه الكلب وذعر هو منه والطائر يأنس بالناس في الحرم ولا يزال يطير حتى يقرب من البيت فاذا قرب منه عدل عنه ولم

يطر فوقه إجلالا له فاذا لحقه وجع طرح نفسه على سقف البيت استشفاء به فهذه الأعاجيب في ذلك المكان وفي ذلك الشهر قد دللن على أن الله تعالى يعلم ما في السموات وما في الأرض
ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون
قوله تعالى ما على الرسول إلا البلاغ في هذه الآية تهديد شديد وزعم مقاتل أنها نزلت والتي بعدها في أمر شريح بن ضبيعة وأصحابه وهم حجاج اليمامة حين هم المسلمون بالغارة عليهم وقد سبق ذكر ذلك في أول السورة وهل هذه الآية محكمة أم لا فيه قولان
أحدهما أنها محكمة وأنها تدل على أن الواجب على الرسول التبليغ وليس عليه الهدى والثاني أنها كانت قبل الأمر بالقتال ثم نسخت بآية السيف قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون

قوله تعالى لا يستوي الخبيث والطيب روى جابر بن عبد الله أن رجلا قال يا رسول الله إن الخمر كانت تجارتي فهل ينفعني ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله فقال له النبي صلى الله عليه و سلم إن الله لا يقبل إلا الطيب فنزلت هذه الآية تصديقا لقول رسول الله صلى الله عليه و سلم وفي الخبيث والطيب أربعة أقوال

(٤٣٢/٢)

أحدها الحلال والحرام قاله ابن عباس والحسن والثاني المؤمن والكافر قاله السدي والثالث المطيع والعاصي والرابع الرديء والجيد ذكرهما الماوردي ومعنى الاعجاب هاهنا السرور بما يتعجب منه

يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء إن تبد لكم تسوءكم وإن تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم

قوله تعالى لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم في سبب نزولها ستة أقوال

أحدها أن الناس سألوا النبي صلى الله عليه و سلم حتى أحفوه بالمسألة فقام مغضبا خطيبا فقال سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا إلا بينته لكم فقام رجل من قريش يقال له عبد الله بن حذافة كان إذا لاحى يدعى إلى غير أبيه فقال يا نبي الله من أبي قال أبوك حذافة فقام آخر فقال أين أبي قال في النار فقام عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن إماما إنا حديثو عهد بجاهلية والله أعلم من أباؤنا فسكن غضبه ونزلت هذه الآية رواه أبو صالح عن أبي هريرة وقتادة عن أنس

(٤٣٣/٢)

والثاني أن رسول الله صلى الله عليه و سلم خطب الناس فقال إن الله كتب عليكم الحج فقام عكاشة بن محصن فقال أفي كل عام يا رسول الله فقال أما إني لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ثم تركتم لضللتم اسكتوا عني ما سكت عنكم فانما هلك من هلك ممن كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فنزلت هذه الآية رواه محمد بن زياد عن أبي هريرة وقيل إن السائل عن ذلك الأفرع بن حابس

والثالث أن قوما كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه و سلم استهزاء فيقول الرجل من أبي ويقول الرجل تضل ناقته أين ناقتي فنزلت هذه الآية رواه أبو الجورية عن ابن عباس

والرابع أن قوما سألوا الرسول صلى الله عليه و سلم عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام فنزلت هذه الآية رواه مجاهد عن ابن عباس وبه قال ابن جبير

والخامس أن قوما كانوا يسألون الآيات والمعجزات فنزلت هذه الآية روي هذا المعنى عن عكرمة

والسادس أنها نزلت في تمنيهم الفرائض وقولهم وددنا أن الله تعالى أذن لنا في قتال المشركين وسؤالهم عن أحب الأعمال إلى الله ذكره أبو سليمان الدمشقي قال الزجاج أشياء في موضع خفض إلا أنها فتحت لأنها لا تنصرف و تبد لكم تظهر لكم فأعلم الله تعالى أن السؤال عن مثل هذا الجنس لا ينبغي أن يقع لأنه يسوء الجواب عنه وقال ابن عباس إن تبد لكم أي إن نزل القرآن فيها بغليظ ساءكم ذلك قوله تعالى وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن أي حين ينزل القرآن فيها بفرض أو إيجاب أو نهي أو حكم وليس في ظاهر ما نزل دليل على شرح ما بكم إليه حاجة فاذا سألتم حينئذ عنها تبد لكم وفي قوله عفا الله عنها قولان

أحدهما أنه إشارة إلى الأشياء

والثاني إلى المسألة فعلى القول الأول في الآية تقديم وتأخير والمعنى لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم عفا الله عنها ويكون معنى عفا الله عنها أمسك عن ذكرها فلم يوجب فيها حكما وعلى القول الثاني الآية على نظمها ومعنى عفا الله عنها لم يؤاخذ بها

قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين

قوله تعالى قد سألها قوم من قبلكم في هؤلاء القوم أربعة أقوال

أحدها أنهم الذين سألوا عيسى نزول المائدة قاله ابن عباس والحسن

والثاني أنهم قوم صالح حين سألوا الناقة هذا على قول السدي وهذان القولان يخرجان على أنهما سألوا الآيات

والثالث أن القوم هم الذين سألوا في شأن البقرة وذبحها فلو ذبحوا بقرة لأجزأت ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم قاله ابن زيد وهذا يخرج على سؤال من سأل عن الحج إذ لو أراد الله أن يشدد عليهم بالزيادة في الفرض لشدد

والرابع أنهم الذين قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله وهذا عن ابن زيد أيضا وهو يخرج على من قال إنما سألوا عن الجهاد والفرائض تمنيا لذلك قال مقاتل كان بنو إسرائيل يسألون أنبياءهم

عن أشياء فاذا أخبروهم بها تركوا قولهم ولم يصدقوهم فأصبحوا بتلك الأشياء كافرين ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون

قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة أي ما أوجب ذلك ولا أمر به

وفي البحيرة أربعة أقوال

أحدها أنها الناقة إذا نتجت خمسة أبطن نظروا إلى الخامس فان كان ذكرا نحروه فأكله الرجال والنساء وإن كان أنثى شقوا أذنها وكانت حراما على النساء لا ينتفعن بها ولا يذقن من لبنها ومنافعها للرجال خاصة فاذا ماتت إشترك فيها الرجال والنساء قاله ابن عباس واختاره ابن قتيبة

(٤٣٦/٢)

والثاني أنها الناقة تلد خمس إناث ليس فيهن ذكر فيعمدون إلى الخامسة فيبتكون أذنها قاله عطاء

والثالث أنها ابنة السائبة قاله إبن إسحاق والفراء قال ابن إسحاق كانت الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس فيهن ذكر سيبت فاذا نتجت بعد ذلك أنثى شقت أذنها وسميت بحيرة وخليت مع أمها

والرابع أنها الناقة كانت إذا نتجت خمسة أبطن وكان آخرها ذكرا بحروا أذنها أي شقوها وامتنعوا من ركوبها وذبحها ولا تطرد عن ماء ولا تمنع عن مرعى وإذا لقيها لم يركبها قاله الزجاج فأما السائبة فهي فاعلة بمعنى مفعولة وهي المسيبة كقوله في عيشة راضية أي مرضية وفي السائبة خمسة أقوال

أحدها أنها التي تسيب من الأنعام للآلهة لا يركبون لها ظهرا ولا يحلبون لها لبنا ولا يجزون منها وبرا ولا يحملون عليها شيئا رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس

والثاني أن الرجل كان يسيب من ماله ما شاء فيأتي به خزنة الآلهة فيطعمون ابن السبيل من ألبانه ولحومه إلا النساء فلا يطعمونهن شيئا منه إلا أن يموت فيشترك فيه الرجال والنساء رواه أبو صالح عن ابن عباس وقال

(٤٣٧/٢)

الشعبي كانوا يهدون لآلهتهم الإبل والغنم ويتركونها عند الآلهة فلا يشرب منها إلا رجل فان مات منها شيء أكله الرجال والنساء

والثالث أنها الناقة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سيبت فلم تركب ولم يجز لها وبر ولم يشرب لبنها إلا ضيف أو ولدها حتى تموت فاذا ماتت أكلها الرجال والنساء ذكره الفراء

والرابع أنها البعير يسيب بنذر يكون على الرجل إن سلمه الله تعالى من مرض أو بلغه منزله أن يفعل

ذلك قاله ابن قتيبة قال الزجاج كان الرجل إذا نذر لشيء من هذا قال ناقتي سائبة فكانت كالبحيرة في أن لا ينتفع بها ولا تمنع من ماء ومرعى

والخامس أنه البعير يحج عليه الحج فيسيب ولا يستعمل شكرا لنجحها حكاه الماوردي عن الشافعي

وفي الوصيلة خمسة أقوال

أحدها أنها الشاة كانت إذا نتجت سبعة أبطن نظروا إلى السابع فان كان أنثى لم ينتفع النساء منها بشيء إلا أن تموت فيأكلها الرجال والنساء وإن كان ذكرا ذبحوه فأكلوه جميعا وإن كان ذكران وأنثى قالوا وصلت أخاها فتترك مع أخيها فلا تذبح ومنافعها للرجال دون النساء فاذا ماتت اشترك فيها الرجال والنساء رواه أبو صالح عن ابن عباس وذهب إلى نحوه ابن قتيبة فقال إن كان السابع ذكرا ذبح فأكل منه الرجال والنساء وإن كان أنثى تركت في النعم وإن كان ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم تذبح لمكانها وكانت لحومها حراما على النساء ولبن الأنثى حراما على النساء إلا أن يموت منها شيء فيأكله الرجال والنساء

(٤٣٨/٢)

والثاني أنها الناقة البكر تبتكر في أول نتاج الإبل بالأنثى ثم تثني بالأنثى فكانوا يستبقونها لطواغيتهم ويدعونها الوصيلة أي وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر رواه الزهري عن ابن المسيب

والثالث أنها الشاة تنتج عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن فيدعونها الوصيلة وما ولدت بعد ذلك فللذكور دون الإناث قاله ابن إسحاق

والرابع أنها الشاة تنتج سبعة أبطن عناقين عناقين فاذا ولدت في سابعها عناقا وجديا قيل وصلت أخاها فجرت مجرى السائبة قاله الفراء

والخامس أن الشاة كانت إذا ولدت أنثى فهي لهم وإذا ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم فان ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم قاله الزجاج

وفي الحام ستة أقوال

أحدها أنه الفحل ينتج من صلبه عشرة أبطن فيقولون قد حمى ظهره فيسيبونه لأصنامهم ولا يحمل عليه قاله ابن مسعود وابن عباس واختاره أبو عبيدة والزجاج

والثاني أنه الفحل يولد لولده فيقولون قد حمى هذا ظهره فلا يحملون عليه ولا يجزون وبره ولا يمنعونه ماء ولا مرعى رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس واختاره الفراء وابن قتيبة

والثالث أنه الفحل يظهر من أولاده عشر إناث من بناته وبنات بناته قاله عطاء

(٤٣٩/٢)

والرابع أنه الذي ينتج له سبع إناث متواليات قاله ابن زيد
والخامس أنه الذي لصلبه عشرة كلها تضرب في الإبل قاله أبو روق
والسادس أنه الفحل يضرب في إبل الرجل عشر سنين فيخلى ويقال قد حمى ظهره ذكره الماوردي عن الشافعي قال الزجاج والذي ذكرناه في البحيرة والسائبة والوصيلة والحام أثبت ما روينا عن أهل اللغة وقد أعلم الله عز و جل في هذه الآية أنه لم يحرم من هذه الأشياء شيئا وان الذين كفروا افتروا على الله عز و جل قال مقاتل وافتراؤهم قولهم إن الله حرمه وأمرنا به وفي قوله وأكثرهم لا يعقلون قولان أحدهما وأكثرهم يعني الأتباع لا يعقلون أن ذلك كذب على الله من الرؤساء الذين حرموا قاله الشعبي والثاني لا يعقلون أن هذا التحريم من الشيطان قاله قتادة
وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون
قوله تعالى وإذا قيل لهم يعني إذا قيل لهؤلاء المشركين الذين حرموا على أنفسهم هذه الأنعام تعالوا إلى ما أنزل الله في القرآن من تحليل ما حرمتهم على أنفسكم قالوا حسبنا أي يكفينا ما وجدنا عليه آباءنا من الدين والمنهاج أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين ولا يهتدون له أيتبعونهم في خطئهم يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من

(٢/٤٤٠)

ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم في سبب نزولها قولان
أحدهما أن النبي صلى الله عليه و سلم كتب إلى هجر وعليهم المنذر بن ساوي يدعوهم إلى الاسلام فان أبوا فليؤدوا الجزية فلما أتاه الكتاب عرضه على من عنده من العرب واليهود والنصارى والمجوس فأقروا بالجزية وكرهوا الاسلام فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه و سلم أما العرب فلا تقبل منهم إلا الاسلام أو السيف وأما أهل الكتاب والمجوس فاقبل منهم الجزية فلما قرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه و سلم أسلمت العرب وأعطى أهل الكتاب والمجوس الجزية فقال منافقوا مكة عجبا لمحمد يزعم أن الله بعثه ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا وقد قبل من مجوس هجر وأهل الكتاب الجزية فهلا أكرههم على الاسلام وقد ردها على إخواننا من العرب فشق ذلك على المسلمين فنزلت هذه الآية رواه أبو صالح عن ابن عباس وقال مقاتل كان رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب فلما أسلمت العرب طوعا وكرها قبلها من مجوس هجر فطعن المنافقون في ذلك

فنزلت هذه الآية
والثاني أن الرجل كان إذا أسلم قالوا له سفهت آباءك وضللتهم وكان ينبغي لك أن تنصرهم فنزلت هذه الآية قاله ابن زيد قال الزجاج ومعنى الآية إنما ألزمكم الله أمر أنفسكم ولا يؤاخذكم بذنوب غيركم وهذه الآية لا توجب ترك الأمر بالمعروف لأن المؤمن إذا تركه وهو مستطيع له فهو

(٤٤١/٢)

ضال وليس بمهتد وقال عثمان بن عفان لم يأت تأويلها بعد وقال ابن مسعود تأويلها في آخر الزمان قولوا ما قبل منكم فاذا غلبتم فعليكم أنفسكم
وفي وقاله لا يضركم من ضل إذا اهتديتم قولان

(٤٤٢/٢)

أحدهما لا يضركم من ضل بترك الأمر بالمعروف إذا اهتديتم أنتم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قاله حذيفة بن اليمان وابن المسيب
والثاني لا يضركم من ضل من أهل الكتاب إذا أدوا الجزية قاله مجاهد
وفي قوله فينبئكم بما كنتم تعملون تنبيه على الجزاء
فصل
فعلى ما ذكرنا عن الزجاج في معنى الآية هي محكمة وقد ذهب قوم من المفسرين إلى أنها منسوخة ولهم في ناسخها قولان
أحدهما أنه آية السيف
والثاني أن آخرها نسخ أولها روي عن أبي عبيد أنه قال ليس في القرآن آية جمعت الناسخ والمنسوخ غير هذه وموضع المنسوخ منها إلى قوله لا يضركم من ضل والناسخ قوله إذا اهتديتم والهدى هاهنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

(٤٤٣/٢)

يآ أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله

إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان تميم الداري وعدي بن بداء يختلفان إلى مكة فصحبهما رجل من قريش من بني سهم فمات بأرض ليس فيها أحد من المسلمين فأوصى إليهما بتركته فلما قدما دفعاها إلى أهله وكتما جاما كان معه من فضة وكان مخوصا بالذهب فقالا لم نره فأتي بهما إلى النبي صلى الله عليه و سلم فاستحلفهما بالله ما كتما وخلى سبيلهما ثم إن الجام وجد عند قوم من أهل مكة فقالوا ابتعناه من تميم الداري وعدي بن بداء فقام أولياء السهمي فأخذوا الجام وحلف رجلان منهم بالله إن هذا الجام جام صاحبنا وشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا فنزلت هذه الآية والتى بعدها قال مقاتل واسم الميت بزيل بن أبي

(٤٤٤/٢)

مارية مولى العاص بن وائل السهمي وكان تميم وعدي نصرانيين فأسلم تميم ومات عدي نصرانيا فأما التفسير فقال الفراء معنى الآية ليشهدكم اثنان إذا حضر أحدكم الموت قال الزجاج المعنى شهادة هذه الحال شهادة اثنين فحذف شهادة ويقوم اثنان مقامهما وقال ابن الأنباري معنى الآية ليشهدكم في سفركم إذا حضركم الموت وأردتم الوصية اثنان وفي هذه الشهادة ثلاثة أقوال
أحدها أنها الشهادة على الوصية التي ثبتت عند الحكام وهو قول ابن مسعود وأبي موسى وشريح وابن أبي ليلى والأوزاعي والثوري والجمهور
والثاني أنها أيمان الوصي بالله تعالى إذا ارتاب الورثة بهما وهو قول مجاهد
والثالث أنها شهادة الوصية أي حضورها كقوله أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت البقرة ١٣٣
جعل الله الوصي هاهنا اثنين تأكيدا واستدل أرباب هذا القول بقوله فيقسمان بالله قالوا والشاهد لا يلزمه يمين فأما حضور الموت فهو حضور أسبابه ومقدماته وقوله حين الوصية أي وقت الوصية وفي قوله منكم قولان

(٤٤٥/٢)

أحدهما من أهل دينكم وملتكم قاله ابن مسعود وابن عباس وسعيد ابن المسيب وسعيد بن جبير وشريح وابن سيرين والشعبي وهو قول أصحابنا
والثاني من عشيرتكم وقبيلتكم وهم مسلمون أيضا قاله الحسن وعكرمة والزهري والسدي
قوله تعالى أو آخران من غيركم تقديره أو شهادة آخرين من غيركم وفي قوله من غيركم قولان

أحدهما من غير ملتكم ودينكم قاله أرباب القول الأول
والثاني من غير عشيرتكم وقبيلتكم وهم مسلمون أيضا قاله أرباب القول الثاني وفي أو قولان
أحدهما أنها ليست للتخيير وإنما المعنى أو آخران من غيركم إن لم تجدوا منكم وبه قال ابن عباس وابن جبير والثاني أنها للتخيير ذكره الماوردي
فصل
فالقائل بأن المراد بالآية شهادة مسلمين من القبيلة أو من غير القبيلة لا يشك في إحكام هذه الآية فأما القائل بأن المراد بقوله أو آخران من غيركم أهل الكتاب إذا شهدوا على الوصية في السفر فلهم فيها قولان
أحدهما أنها محكمة والعمل على هذا باق وهو قول ابن عباس وابن المسيب وابن جبير وابن سيرين وقتادة والشعبي والثوري وأحمد في آخرين
والثاني أنها منسوخة بقوله وأشهدوا ذوي عدل منكم وهو قول

(٢/٤٤٦)

زيد بن أسلم وإليه يميل أبوحنيفة ومالك والشافعي قالوا وأهل الكفر ليسوا بعدول والأول أصح لأن هذا موضع ضرورة كما يجوز في بعض الأماكن شهادة نساء لا رجل معهن بالحيض والنفاس والاستهلال
قوله تعالى إن أنتم ضربتم في الأرض هذا الشرط متعلق بالشهادة والمعنى ليشهدكم اثنان إن أنتم ضربتم في الأرض أي سافرتم فأصابتكم مصيبة الموت فيه محذوف تقديره وقد أسندتم الوصية إليهما ودفعتم إليهما مالكم تحبسونهما من بعد الصلاة خطاب للورثة إذا ارتابوا وقال ابن عباس هذا من صلة قوله أو آخران من غيركم أي من الكفار فأما إذا كانا مسلمين فلا يمين عليهما وفي هذه الصلاة قولان

(٢/٤٤٧)

أحدهما صلاة العصر رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال شريح وابن جبير وإبراهيم وقتادة والشعبي والثاني من بعد صلاتهما في دينهما حكاه السدي عن ابن عباس وقال به
وقال الزجاج كان الناس بالحجاز يحلفون بعد صلاة العصر لأنه وقت اجتماع الناس وقال ابن قتيبة لأنه وقت يعظمه أهل الأديان
قوله تعالى فيقسمان بالله أي فيحلفان إن ارتبتم أي شككتم يا أولياء الميت ومعنى الآية إذا قدم الموصى إليهما بتركة المتوفي فاتهمهما الوارث استحلفا بعد صلاة العصر أنهما لم يسرقا ولم يخونا

فالشرط في قوله إن ارتبتم متعلق بتحبسونهما كأنه قال إن إرتبتم حبستموهما فاستحلفتموهما فيحلفان بالله لا نشتري به أي بأيماننا وقيل بتحريف شهادتنا فالهاء عائدة على المعنى ثمنا أي عرضا من الدنيا ولو كان ذا قربى أي ولو كان المشهود له ذا قرابة منا وخص ذا القرابة لميل القريب إلى قريبه والمعنى لا نحابي في شهادتنا أحدا ولا نميل مع ذي القربى في قول الزور ولا نكتم شهادة الله إنما أضيفت إليه لأمره باقامتها ونهيه عن كتمانها وقرأ سعيد بن جبير ولا نكتم شهادة بالتنوين الله بقطع الهمزة وقصرها وكسر الهاء ساكنة النون في الوصل وقرأ سعيد بن المسيب وعكرمة شهادة بالتنوين والوصل منصوبة الهاء وقرأ أبو عمران الجوني شهادة بالتنوين وإسكانها في الوصل الله بقطع الهمزة وقصرها مفتوحة الهاء وقرأ الشعبي وابن السميفع شهادة بالتنوين وإسكانها في الوصل

(٤٤٨/٢)

الله بقطع الهمزة ومدها وكسر الهاء وقرأ أبوالعالية وعمرو بن دينار مثله إلا أنهما نصبا الهاء واختلف العلماء لأي معنى وجبت اليمين على هذين الشاهدين على ثلاثة أقوال

أحدها لكونهما من غير أهل الإسلام روي هذا المعنى عن أبي موسى الأشعري والثاني لوصية وقعت بخط الميت وفقد ورثته بعض ما فيها رواه أبو صالح عن ابن عباس والثالث لأن الورثة كانوا يقولون كان مال ميتنا أكثر فاستخانوا الشاهدين قاله الحسن ومجاهد

فان عثر على أنهما استحقا إثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنا إذا لمن الظالمين

قوله تعالى فان عثر على أنهما استحقا إثما قال المفسرون لما نزلت الآية الأولى دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم عديا وتميما فاستحلفهما عند المنبر أنهما لم يخونا شيئا مما دفع إليهما فحلفا وخلى سبيلهما ثم ظهر الإناء الذي كتماه فرفعهما أولياء الميت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فنزلت فان عثر على أنهما استحقا إثما ومعنى عثر اطلع أي إن عثر أهل الميت أو من يلي أمره على أن الشاهدين اللذين هما آخران من غيرنا استحقا إثما لميلهما عن الاستقامة في شهادتهما فآخران يقومان مقامهما أي مقام هذين الخائنين من الذين استحق عليهم الأوليان

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي استحق بضم التاء الأوليان على التثنية وفي قوله من الذين استحق عليهم قولان

(٤٤٩/٢)

أحدهما أنهما الذميان والثاني الوليان فعلى الأول في معنى استحق عليهم أربعة أقوال
أحدها استحق عليهم الإيصاء قال ابن الأنباري المعنى من القوم الذين استحق فيهم الإيصاء استحقه الأوليان بالميت وكذلك قال الزجاج المعنى من الذين استحقت الوصية أو الإيصاء عليهم
والثاني أنه الظلم والمعنى من الذين استحق عليهم ظلم الأوليان فحذف الظلم وأقام الأوليين مقامه ذكره ابن القاسم أيضا
والثالث أنه الخروج مما قاما به من الشهادة لظهور خيانتهما
والرابع أنه الاثم والمعنى استحق منهم الاثم ونابت على عن من كقوله على الناس يستوفون المطففين ٢ أي منهم وقال الفراء على بمعنى في كقوله على ملك سليمان البقرة ١٠٢ أي في ملكه ذكر القولين أبو علي الفارسي وعلى هذه الأقوال مفعول استحق محذوف مقدر وعلى القول الثاني في معنى استحق عليهم قولان
أحدهما استحق منهم الأوليان وهو اختيار ابن قتيبة
والثاني جني عليهم الاثم ذكره الزجاج
فأما الأوليان فقال الأخفش الأوليان اثنان واحدهما الأولى والجمع الأولون ثم للمفسرين فيهما قولان
أحدهما أنهما أولياء الميت قاله الجمهور قال الزجاج الأوليان في قول أكثر البصريين يرتفعان على البدل مما في يقومان والمعنى فليقم الأوليان بالميت مقام هذين الخائنين وقال أبو علي لا يخلو الأوليان أن يكون

ارتفاعهما على الابتداء أو يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قال فآخران يقومان مقامهما هما الأوليان أو يكون بدلا من الضمير الذي في يقومان والتقدير فيقوم الأوليان
والقول الثاني أن الأوليان هما الذميان والمعنى أنهما الأوليان بالخيانة فعلى هذا يكون المعنى يقومان إلا من الذين استحق عليهم قال الشاعر ... فليت لنا من ماء زمزم شربة ... مبردة باتت على طهيان ... أي بدلا من ماء زمزم وروى قرة عن ابن كثير وحفص وعاصم استحق بفتح التاء والحاء الأوليان على التثنية والمعنى استحق عليهم الأوليان بالميت وصيته التي أوصى بها فحذف المفعول وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم استحق برفع التاء وكسر الحاء الأولين بكسر اللام وفتح النون على الجمع والتقدير من الأولين الذين استحق فيهم الإثم أي جني عليهم لأنهم كانوا أولين في الذكر ألا ترى أنه قد تقدم ذوا عدل منكم على قوله أو آخران من غيركم وروى الحلبي عن عبد الوارث الأولين بفتح الواو وتشديدها وفتح اللام وسكون الياء وكسر النون وهي تثنية أول وقرأ الحسن البصري استحق بفتح التاء والحاء

الأولون تثنية أول على البدل من قوله فآخران وقال ابن قتيبة أشبه الأقوال بالآية أن الله تعالى أراد أن يعرفنا كيف يشهد بالوصية عند حضور الموت فقال ذوا عدل منكم أي عدلان من المسلمين تشهدونهما على الوصية وعلم أن من الناس من يسافر فيصحبه في سفره أهل الكتاب دون المسلمين وينزل القرية التي لا يسكنها غيرهم ويحضره الموت فلا يجد

(٤٥١/٢)

من يشهده من المسلمين فقال أو آخران من غيركم أي من غير أهل دينكم إذا ضربتم في الأرض أي سافرتم فأصابتكم مصيبة الموت وتم الكلام فالعدلان من المسلمين للحضر والسفر خاصة إن أمكن إشهادهما في السفر والذميان في السفر خاصة إذا لم يوجد غيرهما ثم قال تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن إرتبتم أراد تحبسونهما من بعد صلاة العصر إن ارتبتم في شهادتهما وخشيتم أن يكونا قد خانا أو بدلا فاذا حلفا مضت شهادتهما فان عثر بعد هذه اليمين أي ظهر على أنهما استحقا إثما أي حنثا في اليمين بكذب في قول أو خيانة في وديعة فآخران أي قام في اليمين مقامهما رجلان من قرابة الميت الذين استحق منهم الأوليان وهما الوليان يقال هذا الأولى بفلان ثم يحذف من الكلام بفلان فيقال هذا الأولى وهذان الأوليان وعليهم بمعنى منهم فيحلفان بالله لقد ظهرنا على خيانة الذميين وكذبهما وما اعتدينا عليهما ولشهادتنا أصح لكفرهما وإيماننا فيرجع على الذميين بما اختانا وينقض ما مضى من الحكم بشهادتهما تلك وقال غيره لشهادتنا أي ليميننا أحق وسميت اليمين شهادة لأنها كالشهادة على ما يحلف عليه أنه كذلك

قال المفسرون فلما نزلت هذه الآية قام عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة السهميان فحلفا بالله ودفع الإناء إليهما وإلى أولياء الميت ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين

(٤٥٢/٢)

قوله تعالى ذلك أدنى أي ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين أقرب إلى إتيان أهل الذمة بالشهادة على وجهها أي على ما كانت وأقرب أن يخافوا أن ترد أيمان أولياء الميت بعد أيمانهم فيحلفون على خيانتهم فيفتضحوا ويغرموا فلا يحلفون كاذبين إذا خافوا ذلك واتقوا الله أن تحلفوا كاذبين أو تخونوا أمانة واسمعوا الموعظة

يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب

قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل قال الزجاج نصب يوم محمول على قوله واتقوا الله واتقوا يوم جمعة للرسل ومعنى مسألته للرسل توبيخ الذين أرسلوا إليهم فأما قول الرسل لا علم لنا ففيه ستة أقوال

أحدها أنهم طاشت عقولهم حين زفرت جهنم فقالوا لا علم لنا ثم ترد إليهم عقولهم فينطلقون بحجتهم رواه أبو الضحى عن ابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد والسدي

والثاني أن المعنى لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس

والثالث أن المراد بقوله ماذا أجبتم ماذا عملوا بعدكم وأحدثوا فيقولون لا علم لنا قاله ابن جريج وفيه بعد

والرابع أن المعنى لا علم لنا مع علمك لأنك تعلم الغيب ذكره الزجاج

والخامس أن المعنى لا علم لنا كعلمك إذ كنت تعلم ما أظهر القوم وما أضمروا ونحن نعلم ما أظهروا ولا نعلم ما أضمروا فعلمك فيهم أنفذ من علمنا هذا اختيار بن الأنباري

(٤٥٣/٢)

والسادس لا علم لنا بجميع أفعالهم إذ كنا نعلم بعضها وقت حياتنا ولا نعلم ما كان بعد وفاتنا وإنما يستحق الجزاء بما تقع به الخاتمة حكاه ابن الأنباري قال المفسرون إذا رد الأنبياء العلم إلى الله أبلست الأمم وعلمت أن ما أتته في الدنيا غير غائب عنه وأن الكل لا يخرجون عن قبضته

قوله تعالى علام الغيوب قال الخطابي العلام بمنزلة العليم وبناء فعال بناء التكثير فأما الغيوب فجمع غيب وهو ما غاب عنك إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص باذني وإذ تخرج الموتى باذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين

قوله تعالى إذ قال الله يا عيسى قال ابن عباس معناه وإذ يقول

قوله تعالى اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك في تذكيره النعم فائدتان

إحداهما إسماع الأمم ما خصه به من الكرامة

والثانية توكيد حجته على جاحده ومن نعمه على مريم أنه اصطفاها وطهرها وأتاها برزقها من غير سبب وقال الحسن المراد بذكر النعمة الشكر فأما النعمة فلفظها لفظ الواحد ومعناها الجمع فان قيل لم قال هاهنا فتنفخ فيها وفي آل عمران فيه فالجواب أنه جائز أن يكون ذكر الطير على معنى الجميع

(٤٥٤/٢)

وأنث على معنى الجماعة وجاز أن يكون فيه للطير وفيها للهيأة ذكره أبو علي الفارسي
قوله تعالى إن هذا إلا سحر مبين قرأ ابن كثير وعاصم هاهنا وفي هود و الصف إلا سحر مبين وقرأ في يونس لساحر مبين بألف وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر الأربعة سحر مبين بغير ألف فمن قرأ سحر أشار إلى ما جاء به ومن قرأ ساحر أشار إلى الشخص وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون
وفي الوحي الى الحواريين قولان
أحدهما أنه بمعنى الإلهام قاله الفراء وقال السدي قذف في قلوبهم
والثاني أنه بمعنى الأمر فتقديره أمرت الحواريين وإلى صلة قاله أبو عبيدة وفي قوله واشهد قولان
أحدهما أنهم يعنون الله تعالى والثاني عيسى عليه السلام
وقوله بأننا مسلمون أي مخلصون للعبادة والتوحيد وقد سبق شرح ما أهمل هاهنا فيما تقدم
إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مآئدة من السمآء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين
قوله تعالى هل يستطيع ربك قال الزجاج أي هل يقدر وقرأ الكسائي هل تستطيع بالتاء ونصب الرب قال الفراء معناه هل تقدر

(٤٥٥/٢)

أن تسأل ربك قال ابن الأنباري ولا يجوز لأحد أن يتوهم أن الحواريين شكوا في قدرة الله وإنما هذا كما يقول الانسان لصاحبه هل تستطيع أن تقوم معي وهو يعلم أنه مستطيع ولكنه يريد هل يسهل عليك وقال أبو علي المعنى هل يفعل ذلك بمسألتك إياه وزعم بعضهم أنهم قالوا ذلك قبل استحكام إيمانهم ومعرفتهم فرد عليهم عيسى بقوله اتقوا الله أن تنسبوه إلى عجز والأول أصح فأما المائدة فقال اللغويون المائدة كل ما كان عليه من الأخونة طعام فاذا لم يكن عليه طعام فليس بمائدة والكأس كل إناء فيه شراب فاذا لم يكن فيه شراب فليس بكأس ذكره الزجاج قال الفراء وسمعت بعض العرب يقول للطبق الذي تهدى عليه الهدية هو المهدى مقصور ما دامت عليه الهدية فاذا كان فارغا رجع إلى اسمه إن كان طبقا أو خوانا أو غير ذلك وذكر الزجاج عن أبي عبيدة أن لفظها فاعلة وهي في المعنى مفعولة مثل عيشة راضية الحاقة ٢١ قال أبو عبيدة وهي من العطاء والممتاد المفتعل المطلوب منه العطاء قال الشاعر ... إلى أمير المؤمنين الممتاد

(٤٥٦/٢)

وماد زيد عمرا إذا أعطاه قال الزجاج والأصل عندي في مائدة أنها فاعلة من ماد يميد إذا تحرك فكأنها تميد بما عليها وقال ابن قتيبة المائدة الطعام من مادني يميدني كأنها تميد الآكلين أي تعطيهم أو تكون فاعلة بمعنى مفعول بها أي ميد بها الآكلون

قوله تعالى اتقوا الله إن كنتم مؤمنين فيه ثلاثة أقوال

أحدها اتقوه أن تسألوه البلاء لأنها إن نزلت وكذبتم عذبتم قاله مقاتل

والثاني أن تسألوه ما لم تسأله الأمم قبلكم ذكره أبو عبيد

والثالث أن تشكوا في قدرته قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين

قوله تعالى قالوا نريد أن نأكل منها هذا اعتذار منهم بينوا به سبب سؤالهم حين نهوا عنه وفي إرادتهم للأكل منها ثلاثة أقوال

أحدها أنهم أرادوا ذلك للحاجة وشدة الجوع قاله ابن عباس

والثاني ليزدادوا إيمانا ذكره ابن الأنباري

والثالث للتبرك بها ذكره الماوردي وفي قوله وتطمئن قلوبنا ثلاثة أقوال

أحدها تطمئن إلى أن الله تعالى قد بعثك إلينا نبيا

والثاني إلى أن الله تعالى قد إختارنا أعوانا لك

والثالث إلى أن الله تعالى قد أجابك وقال ابن عباس قال لهم عيسى هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يوما ثم لا تسألونه شيئا إلا أعطاكم فصاموا ثم سألوا المائدة فمعنى ونعلم أن صدقتنا في أنا إذا صمنا ثلاثين يوما لم نسأل الله شيئا إلا أعطانا وفي هذا العلم قولان

أحدهما أنه علم يحدث لهما لم يكن وهو قول من قال كان سؤالهم قبل استحكام معرفتهم

والثاني أنه زيادة علم إلى علم ويقين إلى يقين وهو قول من قال كان سؤالهم بعد معرفتهم وقرأ الأعمش وتعلم بالتاء والمعنى وتعلم القلوب أن قد صدقتنا وفي قوله من الشاهدين أربعة أقوال

أحدها من الشاهدين لله بالقدرة ولك بالنبوة والثاني عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم وذلك أنهم كانوا مع عيسى في البرية عند هذا السؤال والثالث من الشاهدين عند من يأتي من قومنا بما شاهدنا من الآيات الدالة على أنك نبي

والرابع من الشاهدين لك عند الله بأداء ما بعثت به قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين

قوله تعالى تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وقرأ ابن محيصن وابن السميفع والجحدري لأولانا وأخرانا برفع الهمزة وتخفيف الواو والمعنى يكون اليوم الذي نزلت فيه عيدا لنا نعظمه نحن ومن بعدنا قاله قتادة والسدي وقال كعب أنزلت عليهم يوم الأحد فاتخذوه عيدا وقال ابن قتيبة عيدا أي مجمعا قال الخليل بن أحمد العيد كل يوم يجمع كأنهم عادوا إليه وقال ابن الأنباري سمي عيدا للعود من الترح إلى الفرح قوله تعالى وآية منك أي علامة منك تدل على توحيدك وصحة نبوة نبيك وقرأ ابن السميفع وابن محيصن والضحاك وأنه منك بفتح الهمزة

(٤٥٨/٢)

وبنون مشددة وفي قوله وارزقنا قولان أحدهما ارزقنا ذلك من عندك
والثاني ارزقنا الشكر على ما أنعمت به من إجابتك لنا
قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين
قوله تعالى قاله الله إني منزلها عليكم قرأ نافع وعاصم وابن عامر منزلها بالتشديد وقرأ الباقون خفيفة
وهذا وعد باجابة سؤال عيسى واختلف العلماء هل نزلت أم لا على قولين
أحدهما أنها نزلت قاله الجمهور فروى وهب بن منبه عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال لما رأى عيسى أنهم قد جدوا في طلبها لبس جبة من شعر ثم توضأ واغتسل وصف قدميه في محرابه حتى استويا وألصق الكعب بالكعب وحاذى الأصابع بالأصابع ووضع يده اليمنى على اليسرى فوق صدره وطأطأ رأسه خضوعا ثم أرسل عينيه بالبكاء فما زالت تسيل دموعه على خده وتقطر من أطراف لحيته حتى ابتلت الأرض من دموعه حيال وجهه ثم رفع رأسه إلى السماء فقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء فبينما عيسى كذلك هبطت علينا مائدة من السماء سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من تحتها وغمامة من فوقها وعيسى يبكي ويتضرع ويقول إلهي اجعلها سلامة لا تجعلها عذابا حتى استقرت بين يديه والحواريون من حوله فأقبل هو وأصحابه حتى قعدوا حولها وإذا عليهم منديل مغطى فقال عيسى أيكم أوثق بنفسه وأقل بلاء عند ربه فليأخذ هذا المنديل وليكشف لنا عن هذه الآية قالوا يا روح الله أنت أولانا بذلك فاكشف عنها فاستأنف وضوءا جديدا وصلى ركعتين وسأل

(٤٥٩/٢)

ربه أن يأذن له بالكشف عنها ثم قعد إليها وتناول المنديل فاذا عليها سمكة مشوية ليس فيها شوك وحولها من كل البقل ما خلا الكراث وعند رأسها الخل وعند ذنبها الملح وحولها خمسة أرغفة على

رغيف تمر وعلى رغيف زيتون وعلى رغيف خمس رمانات فقال شمعون رأس الحواريين يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أمن طعام الجنة فقال عيسى سبحان الله أما تنتهون ما أخوفني عليكم قال شمعون لا وإله بني إسرائيل ما أردت بهذا سوءا قال عيسى ليس ما ترون عليها من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة إنما هو شيء ابتدعه الله فقال له كن فكان أسرع من طرفة عين فقال الحواريون يا روح الله إنما نريد أن ترينا في هذه الآية آية فقال سبحان الله ما اكتفيتم بهذه الآية ثم أقبل على السمكة فقال عودي باذن الله حية طرية فعادت تضطرب على المائدة ثم قال عودي كما كنت فعادت مشوية فقال يا روح الله كن أنت أول من يأكل منها فقال معاذ الله بل يأكل منها من سألها فلما رأوا امتناعه خافوا أن يكون نزولها عقوبة فلما رأى عيسى ذلك دعا لها الفقراء والزمنى واليتامى فقال كلوا من رزق ربكم ودعوة نبيكم ليكون منؤها لكم وعقوبتها على غيركم فأكل منها ألف وسبعمائة إنسان يصدرون عنها شباعا وهي كهيئتها حين نزلت فصح كل مريض واستغنى كل فقير أكل منها ثم نزلت بعد ذلك عليهم فازدحموا عليها فجعلها عيسى نوبا بينهم فكانت تنزل عليهم أربعين يوما تنزل يوما وتغب يوما وكانت تنزل عند ارتفاع الضحى فيأكلون منها حتى إذا قالوا ارتفعت إلى السماء وهم ينظرون إلى ظلها في الأرض وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشية

(٢/٤٦٠)

حيث كانوا وقال غيره نزلت يوم الأحد مرتين وقيل نزلت غدوة وعشية يوم الأحد فلذلك جعلوه عيدا وفي الذي كان على المائدة ثمانية أقوال

أحدها أنه خبز ولحم روي عن عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال نزلت المائدة من السماء خبزا ولحما والثاني أنها سمكة مشوية وخمس أرغفة وتمر وزيتون ورمان وقد ذكرناه عن سلمان

والثالث ثمر من ثمار الجنة قاله عمار بن ياسر وقال قتادة ثمر من ثمار الجنة وطعام من طعامها

والرابع خبز وسمك رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال الحسن وأبو عبد الرحمن السلمي والخامس قطعة من ثريد رواه الضحاك عن ابن عباس

والسادس أنه أنزل عليها كل شيء إلا اللحم قاله سعيد بن جبير

والسابع سمكة فيها طعم كل شيء من الطعام قاله عطية العوفي

والثامن خبز أرز وبقل قاله ابن السائب

والقول الثاني أنها لم تنزل روى قتادة عن الحسن أن المائدة لم تنزل لأنه لم قال الله تعالى فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين قالوا لا حاجة لنا فيها وروى ابن أبي نجيح عن

مجاهد قال أنزلت مائدة عليها ألوان من الطعام فعرضها عليهم وأخبرهم أنه العذاب إن كفروا فأبوها فلم تنزل وروى ليث عن مجاهد قال هذا مثل ضربه الله تعالى

(٤٦١/٢)

لخلقه لينهاهم عن مسألة الآيات لأنبيائه ولم ينزل عليهم شيء والأول أصح
قوله تعالى فمن يكفر بعد منكم أي بعد إنزال المائدة
وفي العذاب المذكور قولان
أحدهما أنه المسخ والثاني جنس من العذاب لم يعذب به أحد سواهم
قال الزجاج ويجوز أن يعجل لهم في الدنيا ويجوز أن يكون في الآخرة وفي العالمين قولان أحدهما أنه عام والثاني عالمو زمانهم وقد ذكر المفسرون أن جماعة من أصحاب المائدة مسخوا وفي سبب مسخهم ثلاثة أقوال
أحدها أنهم أمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا فخانوا وادخروا فمسخوا قردة وخنازير رواه عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه و سلم
والثاني أن عيسى خص بالمائدة الفقراء فتكلم الأغنياء بالقبيح من القول وشككوا الناس فيها وارتابوا فلما أمسى المرتابون بها وأخذوا مضاجعهم مسخهم الله خنازير قاله سلمان الفارسي
والثالث أن الذين شاهدوا المائدة ورجعوا إلى قومهم فأخبروهم فضحك بهم من لم يشهد وقالوا إنما سحر أعينكم وأخذ بقلوبكم فمن أراد الله به خيرا ثبت على بصيرته ومن أراد به فتنة رجع إلى كفره فلعنهم عيسى فأصبحوا خنازير فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا قاله ابن عباس

(٤٦٢/٢)

وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب
قوله تعالى وإذ قال الله يا عيسى بن مريم في زمان هذا القول قولان
أحدهما أنه يقول له يوم القيامة قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج
والثاني أنه قاله له حين رفعه إليه قاله السدي والأول أصح
وفي إذ ثلاثة أقوال

أحدها أنها زائدة والمعنى وقال الله قاله أبو عبيدة
والثاني أنها على أصلها والمعنى وإذ يقوله الله له قاله ابن قتيبة
والثالث أنها بمعنى إذا كقوله ولو ترى إذ فزعوا سبأ ٥١ والمعنى إذا قال أبو النجم ... ثم جزاك الله عني إذ جزى ... جنات عدن في السموات العلا ...
ولفظ الآية لفظ الاستفهام ومعناها التوبيخ لمن ادعى ذلك على عيسى قال أبو عبيدة وإنما قال آلهين لأنهم إذ أشركوا فعل ذكر مع فعل أنثى غلب فعل الذكر ذكروهما فان قيل فالنصارى لم يتخذوا مريم إلها فكيف

(٤٦٣/٢)

قال الله تعالى ذلك فيهم فالجواب أنهم لما قالوا لم تلد بشرا وإنما ولدت إلها لزمهم أن يقولوا إنها من حيث البعضية بمثابة من ولدته فصاروا بمثابة من قاله
قوله تعالى قال سبحانك أي براءة لك من السوء ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق أي لست أستحق العبادة فأدعو الناس إليها وروى عطاء بن السائب عن ميسرة قال لما قال الله تعالى لعيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي آلهين من دون الله رعد كل مفصل منه حتى وقع مخافة أن يكون قد قاله وما قال إني لم أقل ولكنه قال إن كنت قلته فقد علمته فان قيل ما الحكمة في سؤال الله تعالى له عن ذلك وهو يعلم أنه ما قاله فالجواب أنه تثبيت للحجة على قومه وإكذاب لهم في ادعائهم عليه أنه أمرهم بذلك ولإنه إقرار من عيسى بالعجز في قوله ولا أعلم ما في نفسك وبالعبودية في قوله أن اعبدوا الله ربي وربكم
قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك قال الزجاج تعلم ما أضمره ولا أعلم ما عندك علمه والتأويل تعلم ما أعلم وأنا لا أعلم ما تعلم ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد
قوله تعالى أن اعبدوا الله قال مقاتل وحدوه
قوله تعالى وكنت عليهم شهيدا أي على ما يفعلون ما كنت مقيما فيهم وقوله فلما توفيتني فيه قولان

(٤٦٤/٢)

أحدهما بالرفع إلى السماء والثاني بالموت عند انتهاء الأجل والرقيب مشروح في سورة النساء والشهيد في آل عمران

إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم
قوله تعالى إن تعذبهم فإنهم عبادك قال الحسن وأبو العالية إن تعذبهم فبإقامتهم على كفرهم وإن تغفر لهم فبتوبة كانت منهم وقال الزجاج علم عيسى أن منهم من آمن ومنهم من أقام على الكفر فقال في جملتهم تعذبهم أي إن تعذب من كفر منهم فإنهم عبادك وأنت العادل فيهم لأنك قد أوضحت لهم الحق فكفروا وإن تغفر لهم أي وإن تغفر لمن أقلع منهم وآمن فذلك تفضل منك لأنه قد كان لك أن لا تغفر لهم بعد عظيم فريتهم وأنت في مغفرتك لهم عزيز لا يمتنع عليك ما تريد حكيم في ذلك وقال ابن الأنباري معنى الكلام لا ينبغي لأحد أن يعترض عليك فإن عذبتهم فلا اعتراض عليك وإن غفرت لهم ولست فاعلا إذا ماتوا على الكفر فلا اعتراض عليك

(٢/٤٦٥)

وقال غيره العفو لا ينقص عزك ولا يخرج عن حكمك وقد روى أبو ذر قال قام رسول الله صلى الله عليه و سلم قيام ليلة بآية يرددها إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم
قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير
قوله تعالى قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم قرأ الجمهور برفع اليوم وقرأ نافع بنصبه على الظرف قال الزجاج المعنى قال الله هذا لعيسى في يوم ينفع الصادقين صدقهم ويجوز أن يكون على معنى قال الله هذا الذي ذكرناه يقع في ينفع الصادقين صدقهم والمراد باليوم يوم القيامة وإنما خص نفع الصدق به لأنه يوم الجزاء وفي هذا الصدق قولان
أحدهما أنه صدقهم في الدنيا ينفعهم في الآخرة
والثاني صدقهم في الآخرة ينفعهم هنالك وفي هذه الآية تصديق لعيسى فيما قال

(٢/٤٦٦)

قوله تعالى رضي الله عنهم أي بطاعتهم ورضوا عنه بثوابه وفي قوله لله ملك السموات والأرض على عبودية عيسى وتحريض على تعليق الآمال بالله وحده تم بعون الله الجزء الثاني من كتاب زاد المسير في علم التفسير ويليه الجزء الثالث وأوله تفسير سورة الأنعام

(٢/٤٦٧)

بسم الله الرحمن الرحيم سورة الأنعام

فصل في نزولها

روى مجاهد عن ابن عباس أن الأنعام مما نزل بمكة وهذا قول الحسن وقتادة وجابر بن زيد

وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال نزلت سورة الأنعام جملة ليلا بمكة وحولها سبعون ألف ملك

وروى أبو صالح عن ابن عباس قال هي مكية نزلت جملة واحدة ونزلت ليلا وكتبوها من ليلتهم غير ست آيات وهي قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم إلى آخر الثلاث آيات وقوله وما قدروا الله حق قدره الآية وقوله ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي إلى آخر الآيتين وذكر مقاتل نحو هذا وزاد آيتين قوله والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق وقوله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه

وروى عن ابن عباس وقتادة قالا هي مكية إلا آيتين نزلتا بالمدينة قوله وما قدروا الله حق قدره الآية وقوله وهو الذي أنشا جنات معروشات وغير معروشات وذكر أبو الفتح ابن شيطا أنها مكية غير آيتين نزلتا بالمدينة قل تعالوا والتي بعدها

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون

فأما التفسير فقال كعب فاتحة الكهف فاتحة الأنعام وخاتمتها خاتمة هود وإنما ذكر السموات والأرض لأنهما من أعظم المخلوقات

والمراد بالجعل الخلق وقيل إن جعل ههنا صلة والمعنى والظلمات وفي المراد بالظلمات والنور ثلاثة أقوال أحدها الكفر والإيمان قاله الحسن والثاني الليل والنهار قاله السدي والثالث جميع الظلمات والأنوار

قال قتادة خلق الله السموات قبل الأرض والظلمات قبل النور والجنة قبل النار

قوله تعالى ثم الذين كفروا يعني المشركين بعد هذا البيان بربهم يعدلون أي يجعلون له عديلا فيعبدون الحجارة الموات مع إقرارهم بأنه الخالق لما وصف يقال عدلت هذا بهذا إذا ساويته به قال أبو عبيدة هو مقدم ومؤخر تقديره يعدلون بربهم وقال النضر بن شميل الباء بمعنى عن

هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون

قوله تعالى هو الذي خلقكم من طين يعني آدم وذلك أنه لما شك

المشركون في البعث وقالوا من يحيي هذه العظام أعلمهم أنه خلقهم من طين فهو قادر على إعادة خلقهم

قوله تعالى ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده فيه ستة اقوال

أحدها أن الأجل الأول أجل الحياة إلى الموت والثاني أجل الموت إلى البعث روي عن ابن عباس والحسن وابن المسيب وقتادة والضحاك ومقاتل

والثاني أن الأجل الأول النوم الذي تقبض فيه الروح ثم ترجع في حال اليقظة والأجل المسمى عنده أجل موت الإنسان رواه العوفي عن ابن عباس

والثالث أن الأجل الأول أجل الآخرة متى يأتي والأجل الثاني أجل الدنيا قاله مجاهد في رواية

والرابع أن الأول خلق الأشياء في ستة أيام والثاني ما كان بعد ذلك إلى يوم القيامة قاله عطاء الخراساني

والخامس أن الأول قضاه حين أخذ الميثاق على خلقه والثاني الحياة في الدنيا قاله ابن زيد كأنه يشير إلى أجل الذرية حين أحياهم وخاطبهم

والسادس أن الأول أجل من قد مات من قبل والثاني أجل من يموت بعد ذكره الماوردي

قوله تعالى ثم أنتم أي بعد هذا البيان تمترون وفيه قولان

أحدهما تشكون قاله قتادة والسدي وفيما شكوا فيه قولان أحدهما الوحدانية والثاني البعث

والثاني يختلفون مأخوذ من المراء ذكره الماوردي

وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون

قوله تعالى وهو الله في السماوات وفي الأرض فيه أربعة اقوال

أحدها هو المعبود في السماوات وفي الأرض قاله ابن الأنباري

والثاني وهو المنفرد بالتدبير في السماوات وفي الأرض قاله الزجاج

والثالث وهو الله في السماوات ويعلم سركم وجهركم في الأرض قاله ابن جرير

والرابع أنه مقدم ومؤخر والمعنى وهو الله يعلم سركم وجهركم في السماوات والأرض ذكره بعض المفسرين

وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جآءهم فسوف يأتيهم أنباؤا ما كانوا به يستهزؤن

قوله تعالى وما تأتيهم من آية من آيات ربهم نزلت في كفار قريش وفي الآية قولان أحدهما أنها الآية من

القرآن والثاني المعجزة مثل انشقاق القمر
والمراد بالحق القرآن والأنباء الأخبار والمعنى سيعلمون عاقبة استهزائهم
ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا
وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين
قوله تعالى كم أهلكنا من قبلهم من قرن القرن اسم أهل كل عصر

(٤/٣)

وسموا بذلك لاقترانهم في الوجود وللمفسرين في المراد بالقرن سبعة اقوال
أحدها أنه أربعون سنة ذكره ابن سيرين عن النبي صلى الله عليه و سلم
والثاني ثمانون سنة رواه أبو صالح عن ابن عباس
والثالث مائة سنة قاله عبد الله بن بشر المازني وأبو سلمة بن عبد الرحمن
والرابع مائة وعشرون سنة قاله زرارة بن أوفى وإياس بن معاوية
والخامس عشرون سنة حكاه الحسن البصري
والسادس سبعون سنة ذكره الفراء
والسابع أن القرن أهل كل مدة كان فيها نبي أو طبقة من العلماء قلت السنون أو كثرت بدليل قوله صلى الله عليه و سلم خيركم قرني يعني أصحابي ثم الذين يلونهم يعني التابعين ثم الذين يلونهم يعني الذين أخذوا عن التابعين فالقرن مقدار التوسط في أعمار أهل الزمان فهو في كل قوم على مقدار أعمارهم واشتقاق القرن من الاقتران وفي معنى ذلك الاقتران قولان
أحدهما أنه سمي قرنا لأنه المقدار الذي هو أكثر ما يقترن فيه أهل ذلك الزمان في بقائهم هذا اختيار الزجاج

(٥/٣)

والثاني أنه سمي قرنا لأنه يقرن زمانا بزمان وأمة بأمة قاله ابن الأنباري وحكى ابن قتيبة عن أبي عبيدة قال يرون أن أقل ما بين القرنين ثلاثون سنة
قوله تعالى مكناهم في الأرض قال ابن عباس أعطيناهم ما لم نعطكم يقال مكنته ومكنت له إذا أقدرته على الشيء باعطاء ما يصح به الفعل من العدة وفي هذه الآية رجوع من الخبر إلى الخطاب
فأما السماء فالمراد بها المطر ومعنى أرسلنا أنزلنا والمدرار مفعال من در يدر والمعنى نرسلها كثيرة الدر

ومفعال من أسماء المبالغة كقولهم امرأة مذكار إذا كانت كثيرة الولادة للذكور وكذلك مئناث
فان قيل السماء مؤنثة فلم ذكرا مدرارا
فالجواب أن حكم ما انعدل من النعوت عن منهاج الفعل وبنائه أن يلزم التذكير في كل حال سواء كان وصفا لمذكر أو مؤنث كقولهم امرأة مذكار ومعطار وامرأة مذكر ومؤنث وهي كفور وشكور ولو بنيت هذه الأوصاف على الفعل لقيل كافرة وشاكرة ومذكرة فلما عدل عن بناء الفعل جرى مجرى ما يستغني بقيام معنى التأنيث فيه عن العلامة كقولهم النعل لبستها والفأس كسرتها وكان إيثارهم التذكير للفرق بين المبني على الفعل والمعدول عن مثل الأفاعيل والمراد بالمدرار المبالغة في اتصال المطر ودوامه يعني أنها تدر وقت الحاجة إليها لا أنها تدوم ليلا ونهارا فتفسد ذكره ابن الأنباري

(٦/٣)

ولو أنزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين
قوله تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس سبب نزولها أن مشركي مكة قالوا يا محمد والله لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون أنه من عند الله وأنك رسوله فنزلت هذه الآية قاله ابن السائب قال ابن قتيبة والقرطاس الصحيفة يقال للرامي إذا اصاب الصحيفة قرطس قال شيخنا أبو منصور اللغوي القرطاس قد تكلموا به قديما ويقال إن أصله غير عربي والجمهور على كسر قافه وضمها أبو رزين وعكرمة وطلحة ويحيى بن يعمر
فأما قوله تعالى فلمسوه بأيديهم فهو توكيد لنزوله وقيل إنما علقه باللمس باليد إبعادا له عن السحر لأن السحر يتخيل في المرئيات دون الملموسات ومعنى الآية إنهم يدفعون الصحيح
وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون

(٧/٣)

قوله تعالى وقالوا لولا أنزل عليه ملك قال مقاتل نزلت في النضر ابن الحارث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد ولولا بمعنى هلا أنزل عليه ملك نصدقه ولو أنزلنا ملكا فعاينوه ولم يؤمنوا لقضي الأمر وفيه ثلاثة اقوال
أحدها أن المعنى لماتوا ولم يؤخروا طرفة عين لتوبة قاله ابن عباس
والثاني لقامت الساعة قاله عكرمة ومجاهد
والثالث لعجل لهم العذاب قاله قتادة

ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون

قوله تعالى ولو جعلناه أي ولو جعلنا الرسول إليهم ملكا لجعلناه في صورة رجل لأنهم لا يستطيعون رؤية الملك على صورته وللبسنا عليهم أي لشبهنا عليهم يقال ألبست الأمر على القوم ألبسه أي شبهته عليهم وأشكلته والمعنى لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدرون أملك هو أم آدمي فأضللناهم بما به ضلوا قبل أن يبعث الملك وقال الزجاج كانوا يلبسون على ضعفتهم في أمر النبي صلى الله عليه و سلم فيقولون إنما هذا بشر مثلكم فقال تعالى لو رأوا الملك رجلا لكان يلحقهم فيه من اللبس مثل ما لحق ضعفتهم منه وقرأ الزهري ومعاذ القارئ وأبو رجاء وللبسنا بالتشديد عليهم ما يلبسون مشددة أيضا

ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين

قوله تعالى فحاق بالذين سخروا أي أحاط قال الزجاج الحيق في اللغة ما اشتمل على الإنسان من مكروه فعله ومنه ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله أي لا ترجع عاقبة مكروهه إلا عليهم قال السدي وقع بهم العذاب الذي استهزؤا به

قل لمن ما في السماوات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون

قوله تعالى قل لمن ما في السماوات والأرض المعنى فان أجابوك وإلا ف قل لله كتب على نفسه الرحمة قال ابن عباس قضى لنفسه أنه أرحم الراحمين قال الزجاج ومعنى كتب أوجب ذلك إيجابا مؤكدا وجائز أن يكون كتب في اللوح المحفوظ وإنما خوطب الخلق بما يعقلون فهم يعقلون أن توكيد الشيء المؤخر أن يحفظ بالكتاب وقال غيره رحمته عامة فمنها تأخير العذاب عن مستحقه وقبول توبة العاصي

قوله تعالى ليجمعنكم إلى يوم القيامة اللام لام القسم كأنه قال والله ليجمعنكم إلى اليوم الذي أنكرتموه وذهب قوم إلى أن إلى بمعنى في ثم اختلفوا فقال قوم في يوم القيامة وقال آخرون في قبوركم إلى يوم القيامة

قوله تعالى الذين خسروا أنفسهم أي بالشرك فهم لا يؤمنون لما سبق فيهم من القضاء وقال ابن قتيبة قوله الذين خسروا أنفسهم مردود إلى قوله كيف كان عاقبة المكذبين مردود إلى قوله كيف كان عاقبة المكذبين الذين خسروا

وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم
قوله تعالى وله ما سكن في الليل والنهار سبب نزولها أن كفار مكة

قالوا للنبي صلى الله عليه و سلم قد علمنا أنه إنما يحملك على ما تدعونا إليه الحاجة فنحن نجعل لك نصيبا في أموالنا حتى تكون من أغنانا رجلا وترجع عما أنت عليه فنزلت هذه الآية قاله ابن عباس
وفي معنى سكن قولان
أحدهما أنه من السكنى قال ابن الأعرابي سكن بمعنى حل
والثاني أنه من السكون الذي يضاد الحركة قال مقاتل من المخلوقات ما يستقر بالنهار وينتشر بالليل ومنها ما يستقر بالليل وينتشر بالنهار
فان قيل لم خص السكون بالذكر دون الحركة فعنه ثلاثة أجوبة
احدها أن السكون أعم وجودا من الحركة
والثاني أن كل متحرك قد يسكن وليس كل ساكن يتحرك
والثالث أن في الآية إضمارا والمعنى وله ما سكن وتحرك كقوله تقيكم الحر أراد والبرد فاختصر
قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين
قوله تعالى قل أغير الله أتخذ وليا ذكر مقاتل أن سبب نزولها أن كفار قريش قالوا يا محمد ألا ترجع إلى دين آبائك فنزلت هذه الآية وهذا الاستفهام معناه الإنكار أي لا أتخذ وليا غير الله أتولاه وأعبده وأستعينه
قوله تعالى فاطر السماوات والأرض الجمهور على كسر راء فاطر وقرأ ابن أبي عبلة برفعها قال أبو عبيدة الفاطر معناه الخالق وقال ابن

قتيبة المبتدئ ومنه كل مولود يولد على الفطرة أي على ابتداء الخلقة وهو الإقرار بالله حين أخذ العهد عليهم في أصلاب آبائهم وقال ابن عباس كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي أنا ابتدأتها قال الزجاج إن قيل كيف يكون الفطر بمعنى الخلق والانفطار الانشقاق في قوله تعالى إذا السماء انفطرت فالجواب إنما يرجعان إلى شيء واحد لأن

معنى فطرهما خلقهما خلقا قاطعا والانفطار والفطور تقطع وتشقق
قوله تعالى وهو يطعم ولا يطعم قرأ الجمهور بضم الياء من الثاني ومعناه وهو يرزق ولا يرزق لأن بعض العبيد يرزق مولاه وقرأ عكرمة والأعمش ولا يطعم بفتح الياء قال الزجاج وهذا الاختيار عند البصراء بالعربية ومعناه وهو يرزق ويطعم ولا يأكل
قوله تعالى إني أمرت أن أكون أول من أسلم أي أول مسلم من هذه الأمة ولا تكونن من المشركين قال الأخفش معناه وقيل لي لا تكونن فصارت أمرت بدلا من ذلك لأنه حين قال أمرت قد أخبر أنه قيل له

قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم
قوله تعالى قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم زعم بعض المفسرين أنه كان يجب عليه أن يخاف عاقبة الذنوب ثم نسخ ذلك بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر والصحيح أن الآيتين خبر والخبر لا يدخله النسخ وإنما هو معلق بشرط ومثله لئن أشركت ليحبطن عملك
من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين
قوله تعالى من يصرف عنه قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم من يصرف بضم الياء وفتح الراء يعنون العذاب وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم يصرف بفتح الياء وكسر الراء الضمير قوله إن عصيت ربي ومما يحسن هذه القراءة قوله فقد رحمه فقد اتفق إسناد الضميرين إلى اسم الله تعالى ويعني بقوله يصرف العذاب يومئذ يعني يوم القيامة وذلك يعني صرف العذاب
وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير
قوله تعالى وإن يمسسك الله بضر الضر اسم جامع لكل ما يتضرر به الإنسان من فقر ومرض وغير ذلك والخير اسم جامع لكل ما ينتفع به الإنسان
وللمفسرين في الضر والخير قولان
أحدهما أن الضر السقم والخير العافية
والثاني أن الضر الفقر والخير الغنى

وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير
قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده القاهر الغالب والقهر الغلبة والمعنى أنه قهر الخلق فصرفهم على ما

أراد طوعا وكرها فهو المستعلي عليهم وهم تحت التسخير والتذليل
قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله إلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون
قوله تعالى قل أي شيء أكبر شهادة سبب نزولها أن رؤساء مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا يا محمد ما نرى أحدا يصدقك بما تقول ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد أنك رسول الله فنزلت هذه الآية رواه أبو صالح عن ابن عباس
ومعنى الآية قل لقريش أي شيء أعظم شهادة فان أجابوك وإلا فقل الله وهو شهيد بيني وبينكم على ما أقول
وقال الزجاج أمر الله أن يحتج عليهم بأن شهادة الله في نبوته أكبر شهادة وأن القرآن الذي أتى به يشهد له أنه رسول الله وهو قوله وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ففي الإنذار به دليل على نبوته لأنه لم يأت أحد بمثله ولا يأتي وفيه خبر ما كان وما يكون ووعد فيه بأشياء فكانت كما قال وقرأ عكرمة وابن السميفع والجحدري وأوحي إلي بفتح الهمزة والحاء القرآن بالنصب فأما الإنذار فمعناه التخويف ومعنى ومن بلغ أي من بلغ إليه هذا القرآن فإني نذير له قال القريظي من بلغه القرآن

فكأنما رأى النبي صلى الله عليه و سلم وكلمه وقال أنس بن مالك لما نزلت هذه الآية كتب رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى كسرى وقيصر وكل جبار يدعوهم إلى الله عز و جل
قوله تعالى أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى هذا استفهام معناه الانكار عليهم قال الفراء وإنما قال أخرى ولم يقل آخر لأن الآلهة جمع والجمع يقع عليه التأنيث كما قال ولله الأسماء الحسنى وقال فما بال القرون الأولى
الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب في الكتاب قولان
أحدهما أنه التوراة والإنجيل وهذا قول الجمهور
والثاني أنه القرآن
وفي هاء يعرفونه ثلاثة أقوال
أحدها أنها ترجع إلى النبي صلى الله عليه و سلم قاله السدي وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال لعبد الله بن سلام إن الله قد أنزل على نبيه بمكة الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فكيف

هذه المعرفة فقال لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ولأنا أشد معرفة بمحمد صلى الله عليه و سلم مني بابني فقال عمر وكيف ذاك فقال إني أشهد أنه رسول الله حقا ولا أدري ما يصنع النساء

(١٤/٣)

والثاني أنها ترجع إلى الدين والنبي فالمعنى يعرفون الإسلام أنه دين الله عز و جل وأن محمدا رسول الله قاله قتادة

والثالث أنها ترجع إلى القرآن فالمعنى يعرفون الكتاب الدال على صدقه ذكره الماوردي

وفي الذين خسروا أنفسهم قولان

أحدهما أنهم مشركو مكة

والثاني كفار أهل الكتابين

ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون

قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أي اختلق على الله الكذب في ادعاء شريك معه وفي آياته قولان

أحدهما أنها محمد والقرآن قاله ابن السائب والثاني القرآن قاله مقاتل والمراد بالظلم المذكور في هذه الآية الشرك

ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون

قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا انتصب اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نحشرهم قال ابن جرير والمعنى لا يفلحون اليوم ولا يوم نحشرهم وقرأ يعقوب يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما

وفي الذين عني قولان

أحدهما المسلمون والمشركون والثاني العابدون والمعبودون

(١٥/٣)

وقوله أين شركاؤكم سؤال توبيخ والمراد بشركاؤكم الأوثان وإنما أضافها إليهم لأنهم زعموا أنها شركاء الله

وفي معنى يزعمون قولان أحدهما يزعمون أنهم شركاء مع الله والثاني يزعمون أنها تشفع لهم

ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين

قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم قرأ ابن كثير وابن عامر وحفص بم عاصم ثم لم تكن بالتاء فتنتهم بالرفع

وقرأ نافع وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم تكن بالتاء أيضا فتنتهم بالنصب وقد رويت عن ابن كثير ايضا وقرأ حمزة والكسائي يكن بالياء فتنتهم بالنصب

وفي الفتنة أربعة أقوال

أحدها أنها بمعنى الكلام والقول قال ابن عباس والضحاك لم يكن كلامهم

والثاني أنها المعذرة قال قتادة وابن زيد لم تكن معذرتهم قال ابن الأنباري فالمعنى اعتذروا بما هو مهلك لهم وسبب لفضيحتهم

والثالث أنها بمعنى البلية قال عطاء الخراساني لم تكن بليتهم وقال ابو عبيد لم تكن بليتهم التي ألزمتهم الحجة وزادتهم لائمة

والرابع أنها بمعنى الافتتان والمعنى لم تكن عاقبة فتنتهم

قال الزجاج لم يكن افتتانهم بشركهم وإقامتهم عليه إلا أن تبرؤوا منه ومثل ذلك في اللغة أن ترى إنسانا يحب غاويا فاذا وقع في هلكة تبرأ منه فيقول ما كانت محبتك لفلان إلا أن انتفيت منه قال وهذا تأويل لطيف لا يعرفه إلا من عرف معاني الكلام وتصرف العرب في ذلك

(١٦/٣)

وقال ابن الأنباري المعنى أنهم افتتنوا بقولهم هذا إذا كذبوا فيه ونفوا عن أنفسهم ما كانوا معروفين به في الدنيا

قوله تعالى إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر والله ربنا بكسر الباء وقرأ حمزة والكسائي وخلف بنصب الراء

وفي هؤلاء القوم الذين هذا وصفهم قولان

أحدهما أنهم المشركون والثاني المنافقون

ومتى يحلفون فيه ثلاثة أقوال

أحدها إذا رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا من كان مسلما قالوا تعالوا نكابر عن شركنا فحلفوا قاله ابن عباس

والثاني أنهم إذا دخلوا النار ورأوا أهل التوحيد يخرجون حلفوا واعتذروا قاله سعيد بن جبير ومجاهد

(١٧/٣)

والثالث أنهم إذا سئلوا أين شركاؤكم تبرؤوا وحلفوا ما كنا مشركين قاله مقاتل

انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون

قوله تعالى أنظر كيف كذبوا على أنفسهم أي باعتذارهم بالباطل
وضل عنهم ما كانوا يفترون أي ذهب ما كانوا يدعون ويختلقون من أن الاصنام شركاء لله وشفعاؤهم في الآخرة
ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جآؤك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا اساطير الأولين وهم ينهون عنه وينؤن عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون
قوله تعالى ومنهم من يستمع إليك سبب نزولها أن نفرا من المشركين منهم عتبة وشيبة والنضر بن الحارث وأمية وأبي ابنا خلف جلسوا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم واستمعوا إليه ثم قالوا للنضر بن الحارث ما يقول محمد فقال والذي جعلها بنية ما أدري ما يقول إلا أني أرى تحرك شفتيه وما يقول إلا أساطير الأولين مثلما كنت أحدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الأولى فنزلت هذه الآية رواه أبو صالح عن ابن عباس
فأما الأكنة فقال الزجاج هي جمع كنان وهو الغطاء مثل عنان وأعنة

وأما أن يفقهوه فمنصوب على انه مفعول له المعنى وجعلنا على قلوبهم أكنة لكراهة أن يفقهوه فلما حذفت اللام نصبت الكراهة ولما حذفت الكراهة انتقل نصبها إلى أن
الوقر ثقل السمع يقال في أذنه وقر وقد وقرت الأذن توقر
قال الشاعر ... وكلام سيء قد وقرت ... أذني عنه وما بي من صمم ...
والوقر بكسر الواو أن يحمل البعير وغيره مقدار ما يطيق يقال عليه وقر ويقال نخلة موقر وموقرة وإنما فعل ذلك بهم مجازاة لهم باقامتهم على كفرهم وليس المعنى أنهم لم يفهموه ولم يسمعوه ولكنهم لما عدلوا عنه وصرفوا فكرهم عما عليهم في سوء العاقبة كانوا بمنزلة من لم يعلم ولم يسمع وإن يروا كل آية أي كل علامة تدل على رسالتك لا يؤمنوا بها
ثم أعلم الله عز و جل مقدار احتجاجهم وجدلهم وأنهم إنما يستعملون في الاحتجاج أن يقولوا إن هذا أي ما هذا إلا اساطير الأولين وفيها قولان
أحدهما أنها ما سطر من أخبارهم وأحاديثهم روى ابو صالح عن ابن عباس قال أساطير الأولين كذبهم وأحاديثهم في دهرهم وقال أبو الحسن الاخفش يزعم بعضهم أن واحدة الأساطير أسطورة وقال بعضهم أساطيرة ولا أراه إلا من الجمع الذي ليس له واحد نحو عباديد ومذاكير وأبابيل وقال ابن قتيبة أساطير الأولين أخبارهم وما سطر منها أي ما كتب ومنه قوله ن والقلم وما يسطرون أي يكتبون واحدها سطر

ثم اسطار ثم اساطير جمع الجمع مثل قول وأقوال وأقاويل
والقول الثاني أن معنى أساطير الأولين الترهات قال أبو عبيدة واحد الأساطير أسطورة وإسطارة ومجازها مجاز الترهات قال ابن الأنباري الترهات عند العرب طرق غامضة ومسالك مشكلة يقول قائلهم قد أخذنا في ترهات البسابس يعني قد عدلنا عن الطريق الواضح إلى المشكل وعما يعرف إلى مالا يعرف والبسابس الصحاري الواسعة والترهات طرق تتشعب من الطريق الأعظم فتكثر وتشكل فجعلت مثلا لما لا يصح وينكشف
فان قيل لم عابوا القرآن بأنه أساطير الأولين وقد سطر الأولون ما فيه علم وحكمة وما لا عيب على قائله فعنه جوابان
أحدهما أنهم نسبوه إلى أنه ليس بوحي من الله
والثاني أنهم عابوه بالإشكال والغموض استراحة منهم إلى البهت والباطل فعلى الجواب الأول تكون أساطير من التسطير وعلى الثاني تكون بمعنى الترهات وقد شرحنا معنى الترهات
قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه في سبب نزولها قولان
أحدهما أن أبا طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه و سلم ويتباعد عما جاء به فنزلت فيه هذه الآية رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وهو قول عمرو بن دينار وعطاء بن دينار والقاسم بن مخيمرة وقال مقاتل

كان رسول الله صلى الله عليه و سلم عند أبي طالب يدعوه إلى الإسلام فاجتمعت قريش إلى أبي طالب يريدون بالنبي صلى الله عليه و سلم سوءا فسألوا أبا طالب أن يدفعه إليهم فيقتلوه فقال مالي عنه صبر فقالوا ندفع إليك من شبابنا من شئت مكان ابن أخيك فقال أبو طالب حين تروح الإبل فان حنت ناقة إلى غير فصيلها دفعته إليكم وقال ... والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا ... فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر وقر بذاك منك عيونا ... وعرضت دينا لا محالة أنه ... من خير أديان البرية دينا ... لولا الملامة أو حذاري سبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا ...
فنزلت فيه هذه الآية
والثاني أن كفار مكة كانوا ينهون الناس عن اتباع النبي صلى الله عليه و سلم ويتباعدون بأنفسهم عنه رواه الوالبي عن ابن عباس وبه قال ابن الحنفية والضحاك والسدي فعلى القول الأول يكون قوله وهم

كناية عن واحد وعلى الثاني عن جماعة
وفي هاء عنه قولان
أحدهما أنها ترجع إلى النبي صلى الله عليه و سلم ثم فيه قولان أحدهما ينهون عن اذاه والثاني عن اتباعه
والقول الثاني أنها ترجع إلى القرآن قاله مجاهد وقتادة وابن زيد وينأون بمعنى يبعدون وفي هاء عنه قولان أحدهما أنها راجعة إلى النبي صلى الله عليه و سلم والثاني إلى القرآن

(٢١/٣)

قوله تعالى وإن يهلكون أي وما يهلكون إلا أنفسهم بالتباعد عنه وما يشعرون أنهم يهلكونها
ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين
قوله تعالى ولو ترى إذ وقفوا على النار في معنى وقفوا ستة اقوال
أحدها حبسوا عليها قاله ابن السائب والثاني عرضوا عليها قاله مقاتل
والثالث عاينوها والرابع وقفوا عليها وهي تحتهم
والخامس دخلوا إليها فرفعوا مقدار عذابها تقول وقفت على ما عند فلان أي فهمته وتبينته ذكر هذه الأقوال الثلاثة الزجاج واختار الأخير وقال ابن جرير على هاهنا بمعنى في
والسادس جعلوا عليها وقفا كالوقوف المؤبدة على سبلها ذكره الماوردي والخطاب بهذه الآية للنبي صلى الله عليه و سلم والوعيد للكفار وجواب لو محذوف ومعناه لو رأيتهم في تلك الحال لرأيت عجبا
قوله تعالى ولا نكذب بآيات ربنا قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي وأبو بكر عن عاصم برفع الباء من نكذب والنون من نكون
قال الزجاج والمعنى أنهم تمنوا الرد وضمنوا أنهم لا يكذبون والمعنى يا ليتنا نرد ونحن لا نكذب بآيات ربنا رددنا أو لم نرد ونكون من المؤمنين لأنا قد عاينا مالا نكذب معه أبدا
قال ويجوز الرفع على وجه آخر على معنى يا ليتنا نرد يا ليتنا لا نكذب كأنهم تمنوا الرد والتوفيق للتصديق

(٢٢/٣)

وقال الأخفش إذا رفعت جعلته على مثل اليمين كأنهم قالوا ولا نكذب والله بآيات ربنا ونكون والله من المؤمنين وقرأ حمزة إلا العجلي وحفص عن عاصم ويعقوب بنصب الباء من نكذب والنون من نكون

قال مكي بن أبي طالب وهذا النصب على جواب التمني وذلك بإضمار أن حملا على مصدر نرد فأضمرت أن لتكون مع الفعل مصدرا فعطف بالواو مصدرا على مصدر وتقديره يا ليت لنا ردا وانتفاءا من التكذيب وكونا من المؤمنين وقرأ ابن عامر برفع الباء من نكذب ونصب النون من نكون فالرفع قد بينا علته والنصب على جواب التمني

بل بدل لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين

قوله تعالى بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل بل هاهنا رد لكلامهم أي ليس الأمر على ما قالوا من أنهم لو ردوا لآمنوا

وقال الزجاج بل استدراك وإيجاب بعد نفي تقول ما جاء زيد بل عمرو وفي معنى الآية أربعة أقوال

أحدها بدا ما كان يخفيه بعضهم عن بعض قاله الحسن

والثاني بدا بنطق الجوارح ما كانوا يخفون من قبل بألسنتهم قاله مقاتل

والثالث بدا لهم جزاء ما كانوا يخفونه قاله المبرد

والرابع بدا للأتباع ما كان يخفيه الرؤساء قاله الزجاج

قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه قال ابن عباس لعادوا إلى ما نهوا عنه من الشرك وإنهم لكاذبون في قولهم ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين

قال ابن الانباري كذبهم الله في إخبارهم عن أنفسهم أنهم إن ردوا آمنوا ولم يكذبوا ولم يكذبهم في التمني

قوله تعالى وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا هذا إخبار عن منكري البعث قال مقاتل لما أخبر النبي صلى الله عليه و سلم كفار مكة بالبعث قالوا هذا وكان عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم يقول هذا حكاية قولهم لو ردوا لقالوه

ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون

قوله تعالى ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال مقاتل عرضوا على ربهم قال لأليس هذا العذاب بالحق

وقال غيره أليس هذا البعث حقا فعلى قول مقاتل بما كنتم تكفرون بالعذاب وعلى قول غيره تكفرون بالبعث

قد خسر الذين كذبوا بلقآء الله حتى إذا جآءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون

قوله تعالى قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله إنما وصفوا بالخسران لأنهم باعوا الإيمان بالكفر فعظم خسرانهم

والمراد بلقاء الله البعث والجزاء والساعة القيامة والبغتة الفجأة

(٢٤/٣)

قال الزجاج كل ما أتى فجأة فقد بغت يقال قد بغته الأمر يبغته بغتا وبغتة إذا أتاه فجأة قال الشاعر ...

ولكنهم بانوا ولم أخش بغتة ... وأفظع شيء حين يفجؤك البغت ...

قوله تعالى يا حسرتنا الحسرة التلهف على الشيء الفائت وأهل التفسير يقولون يا ندامتنا

فإن قيل ما معنى دعاء الحسرة وهي لا تعقل

فالجواب أن العرب إذا اجتهدت في المبالغة في الإخبار عن عظيم ما تقع فيه جعلته نداء فتدخل عليه يا للتنبيه والمراد تنبيه الناس لا تنبيه المنادي ومثله قولهم لا أرينك هاهنا لفظه لفظ الناهي لنفسه والمعنى للمنهي ومن هذا قولهم يا خيل الله اركبي يراد يا فرسان خيل الله وقال سيبويه إذا قلت يا عجباه فكأنك قلت احضر وتعال يا عجب فهذا زمانك فأما التفريط فهو التضييع

وقال الزجاج التفريط في اللغة تقدمه العجز وفي المكني عنه بقوله فيها ثلاثة أقوال

أحدها أنها الدنيا فالمعنى على ما ضيعنا في الدنيا من عمل الآخرة قاله مقاتل

(٢٥/٣)

والثاني أنها الصفقة لأن الخسران لا يكون إلا في صفقة وترك ذكرها اكتفاء بذكر الخسران قاله ابن جرير

والثالث أنها الطاعة ذكره بعض المفسرين

فأما الأوزار فقال ابن قتيبة هي الآثام واصل الوزر الحمل على الظهر وقال ابن فارس الوزر الثقل وهل هذا الحمل حقيقة فيه قولان

أحدهما أنه على حقيقته قال عمير بن هانئ يحشر مع كل كافر عمله في صورة رجل قبيح كلما كان هول عظمه عليه وزاده خوفا فيقول بئس الجليس أنت مالي ولك فيقول أنا عملك طالما ركبتني في الدنيا فلأركبنك اليوم حتى إخزيك على رؤوس الناس فيركبه ويتخطى به الناس حتى يقف بين يدي ربه فذلك قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وهذا قول السدي وعمرو بن قيس الملائي ومقاتل

والثاني أنه مثل والمعنى يحملون ثقل ذنوبهم قاله الزجاج قال فجعل ما ينالهم من العذاب بمنزلة أثقل ما

يتحمل ومعنى ألا ساء ما يزرون بئس الشيء شيئا يزرونه أي يحملونه
وما الحيوة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون
قوله تعالى وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو فيه ثلاثة اقوال

(٢٦/٣)

أحدها وما الحياة الدنيا في سرعة انقطاعها وقصر عمرها إلا كالشيء يلعب به
والثاني وما أمر الدنيا والعمل لها إلا لعب ولهو فأما فعل الخير فهو من عمل الآخرة لا من الدنيا
والثالث وما أهل الحياة الدنيا إلا أهل لعب ولهو لاشتغالهم عما أمروا به واللعب مالا يجدي نفعا
قوله تعالى وللدار الآخرة خير اللام لام القسم والدار الآخرة الجنة افلا يعقلون فيعملون لها قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي يعقلون بالياء في الأنعام والأعراف ويوسف ويس وقرؤوا في القصص بالتاء وقرأ نافع كل ذلك بالياء وروى حفص عن عاصم كل ذلك بالتاء إلا في يس في الخلق أفلا يعقلون بالياء وقرأ ابن عامر الذي في يس بالياء والباقي بالتاء
قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون
قوله تعالى قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون
في سبب نزولها أربعة أقوال
أحدها أن رجلا من قريش يقال له الحارث بن عامر قال والله يا محمد ما كذبتنا قط فنتهمك اليوم ولكنا إن نتبعك نتخطف من ارضنا فنزلت هذه الآية رواه أبو صالح عن ابن عباس وقال مقاتل كان الحارث بن عامر يكذب النبي في العلانية فاذا خلا مع أهل بيته قال ما محمد من أهل الكذب فنزلت فيه هذه الآية

(٢٧/٣)

والثاني أن المشركين كانوا إذا رأوا النبي صلى الله عليه و سلم قالوا فيما بينهم إنه لنبي فنزلت هذه الآية قاله أبو صالح
والثالث أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه و سلم إنا لا نكذبك ولكن نكذب الذي جئت به فنزلت هذه الآية قاله ناجية بن كعب
وقال أبو يزيد المدني لقي رسول الله صلى الله عليه و سلم أبا جهل فصافحه أبو جهل فقيل له أتصافح هذا الصابئ فقال والله إني لأعلم أنه نبي ولكن متى كنا تبعا لبني عبد مناف فأنزل الله هذه الآية

والرابع أن الأخنس بن شريق لقي أبا جهل فقال الأخنس يا ابا الحكم أخبرني عن محمد اصادق هو أم كاذب فليس هاهنا من يسمع كلامك غيري فقال أبو جهل والله إن محمدا لصادق وما كذب قط ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت هذه الآية قاله السدي فأما الذي يقولون فهو التكذيب للنبي صلى الله عليه و سلم والكفر بالله وفي الآية تسلية للنبي صلى الله عليه و سلم وتعزية عما يواجهون به

قوله تعالى فانهم لا يكذبونك قرأ نافع والكسائي يكذبونك بالتخفيف وتسكين الكاف وفي معناها قولان

(٢٨/٣)

أحدهما لا يلفونك كاذبا قاله ابن قتيبة

والثاني لا يكذبون الشيء الذي جئت به إنما يجحدون آيات الله ويتعرضون لقعوباته قال ابن الانباري وكان الكسائي يحتج لهذه القراءة بأن العرب تقول كذبت الرجل إذا نسبته إلى الكذب وصنعة الاباطيل من القول وأكذبته إذا أخبرت أن الذي يحدث به كذب ليس هو الصانع له قال وقال غير الكسائي يقال أكذبت الرجل إذا أدخلته في جملة الكذابين ونسبته إلى صفتهم كما يقال أبخلت الرجل إذا نسبته إلى البخل وأجبنته إذا وجدته جبانا قال الشاعر ... فطائفة قد أكفروني بحبكم ... وطائفة قالوا مسيء ومذنب ...

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة وابن عامر يكذبونك بالتشديد وفتح الكاف وفي معناها خمسة اقوال

أحدها لا يكذبونك بحجة وإنما هو تكذيب عناد وبهت قاله قتادة والسدي

والثاني لا يقولون لك إنك كاذب لعلمهم بصدقك ولكن يكذبون ما جئت به قاله ناجية بن كعب

والثالث لا يكذبونك في السر ولكن يكذبونك في العلانية عداوة لك قاله ابن السائب ومقاتل

والرابع لا يقدرون أن يقولوا لك فيما أنبأت به مما في كتبهم كذبت

والخامس لا يكذبونك بقلوبهم لأنهم يعلمون أنك صادق ذكر القولين الزجاج

(٢٩/٣)

وقال أبو علي يجوز أن يكون معنى القراءتين واحدا وإن اختلفت اللفظتان إلا أن فعلت إذا ارادوا أن ينسبوه إلى أمر أكثر من أفعلت ويؤكد أن القراءتين بمعنى ما حكاه سيبويه أنهم قالوا قللت وأقللت

وكثرت وأكثرت بمعنى
قال أبو علي ومعنى لا يكذبونك لا يقدرون أن ينسبوك إلى الكذب فيما أخبرت به مما جاء في كتبهم ويجوز أن يكون معنى الحقيقة لا يصادفونك كاذبا كما يقال أحمدت الرجل إذا اصبته محمودا لأنهم يعرفونك بالصدق والأمانة ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون بألسنتهم ما يعلمونه يقينا لعنادهم
وفي آيات الله هاهنا ثلاثة أقوال
أحدها أنها محمد صلى الله عليه و سلم قاله السدي
والثاني محمد والقرآن قاله ابن السائب
والثالث القرآن قاله مقاتل
ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جآءك من نبأي المرسلين
قوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك هذه تعزية له على ما يلقى منهم قال ابن عباس فصبروا على ما كذبوا رجاء ثوابي وأوذوا حتى نشروا بالمناشير وحرقوا بالنار حتى أتاهم نصرنا بتعذيب من كذبهم

قوله تعالى ولا مبدل لكلمات الله فيه خمسة أقوال
أحدها لا خلف لمواعيده قاله ابن عباس
والثاني لا مبدل لما أخبر به وما أمر به قاله الزجاج
والثالث لا مبدل لحكوماته وأقضيته النافذة في عباده فعبرت الكلمات عن هذا المعنى كقوله ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين أي وجب ما قضي عليهم فعلى هذا القول والذي قبله يكون المعنى لا مبدل لحكم كلمات الله ولا ناقض لما حكم به وقد حكم بنصر أنبيائه بقوله لأغلبن أنا ورسلي
والرابع أن معنى الكلام معنى النهي وإن كان ظاهره الإخبار فالمعنى لا يبدلن أحد كلمات الله فهو كقوله لا ريب فيه
والخامس أن المعنى لا يقدر أحد على تبديل كلام الله وإن زخرف واجتهد لأن الله تعالى صانه برصين اللفظ وقويم الحكم أن يختلط بألفاظ أهل الزيغ ذكر هذه الأقوال الثلاثة ابن الأنباري
قوله تعالى ولقد جاءك من نبأ المرسلين أي فيما صبروا عليه من الأذى فنصروا وقيل إن من صلة
وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين

قوله تعالى وإن كان كبر عليك إعراضهم سبب نزولها أن الحارث ابن عامر أتى النبي صلى الله عليه و سلم في نفر من قريش فقال يا محمد ائتنا بآية كما كانت الأنبياء تأتي قومها بالآيات فإن فعلت آمنا بك فنزلت هذه الآية رواه أبو صالح عن ابن عباس وكبر بمعنى عظم وفي إعراضهم قولان

أحدهما عن استماع القرآن والثاني عن اتباع النبي صلى الله عليه و سلم

فأما النفق فقال ابن قتيبة النفق في الأرض المدخل وهو السرب والسلم في السماء المصعد وقال الزجاج النفق الطريق النافذ في الأرض والنافقاء ممدود أحد جحره اليربوع يخرقه من باطن الأرض إلى جلدة الأرض فاذا بلغ الجلدة أرقها حتى إن رابه ريب دفع برأسه ذلك المكان وخرج ومنه سمي المنافق لأنه أبطن غير ما أظهر كالنافقاء الذي ظاهره غير بين وباطنه حفر في الأرض

والسلم مشتق من السلامة وهو الشيء الذي يسلمك إلى مصعدك والمعنى فان استطعت هذا فافعل وحذف فافعل لأن في الكلام دليلا عليه

وقال أبو عبيدة السلم السبب والمرقاة تقول اتخذتني سلما لحاجتك أي سببا

وفي قوله فتأتيهم بآية قولان

أحدهما بآية قد سألوك إياها وذلك أنهم سألوا نزول ملك ومثل آيات الأنبياء كعصا موسى وناقة صالح

والثاني بآية هي أفضل من آيتك

قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فيه ثلاثة أقوال

أحدها لو شاء أن يطبعهم على الهدى لطبعهم

والثاني لو شاء لأنزل ملائكة تضطرهم إلى الإيمان ذكرهما الزجاج

والثالث لو شاء لآمنوا كلهم فأخبر إنما تركوا الإيمان بمشيئته ونافذ قضائه

قوله تعالى فلا تكونن من الجاهلين فيه ثلاثة أقوال

أحدها لا تجهل أنه لو شاء لجمعهم على الهدى

والثاني لا تجهل أنه يؤمن بك بعضهم ويكفر بعضهم

والثالث لا تكونن ممن لا صبر له لأن قلة الصبر من أخلاق الجاهلين

إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون

قوله تعالى إنما يستجيب الذين يسمعون أي إنما يجيبك من يسمع والمراد هـ سماع قبول

وفي المراد بالموتى قولان

أحدهما أنهم الكفار قاله الحسن ومجاهد وقتادة فيكون المعنى إنما يستجيب المؤمنون فأما الكفار فلا يستجيبون حتى يبعثهم الله ثم يحشرهم كفارا فيجيبون اضطرارا

(٣٣/٣)

والثاني أنهم الموتى حقيقة ضربهم الله مثلا والمعنى أن الموتى لا يستجيبون حتى يبعثهم الله فكذلك الذين لا يسمعون

قوله تعالى ثم إليه يرجعون يعني المؤمنين والكافرين فيجازي الكل

وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون

قوله تعالى وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قال ابن عباس نزلت في رؤساء قريش ولولا بمعنى هلا وقد شرحناها في سورة النساء وقال مقاتل أرادوا بالآية مثل آيات الأنبياء وقال غيره أرادوا نزول ملك يشهد له بالنبوة

وفي قوله تعالى ولكن أكثرهم لا يعلمون ثلاثة أقوال

أحدها لا يعلمون بأن الله قادر على إنزال الآية

والثاني لا يعلمون ما عليهم من البلاء في إنزالها لأنهم إن لم يؤمنوا بها زاد عذابهم

والثالث لا يعلمون المصلحة في نزول الآية

وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحية إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون

قوله تعالى وما من دابة في الأرض قال ابن عباس يريد كل ما دب على الأرض قال الزجاج وذكر الجناحين توكيد وجميع ما خلق لا يخلو إما أن يدب وإما أن يطير

(٣٤/٣)

قوله تعالى إلا أمم أمثالكم قال مجاهد أصناف مصنفة

وقال أبو عبيدة أجناس يعرفون الله ويعبدونه

وفي معنى أمثالكم أربعة أقوال

أحدها أمثالكم في كون بعضها يفقه عن بعض رواه أبو صالح عن ابن عباس

والثاني في معرفة الله قاله عطاء

والثالث أمثالكم في الخلق والموت والبعث قاله الزجاج

والرابع أمثالكم في كونها تطلب الغذاء وتبتغي الرزق وتتوقى المهالك قاله ابن قتيبة قال ابن الانباري وموضع الاحتجاج من هذه الآية أن اله تعالى ركب في المشركين عقولا وجعل لهم أفهاما ألزمهم بها أن يتدبروا أمر النبي صلى الله عليه و سلم ويتمسكوا بطاعته كما جعل للطير أفهاما يعرف بها بعضها إشارة بعض وهدى الذكر منها لإتيان الأنثى وفي كل ذلك دليل على نفاذ قدرة المركب ذلك فيها

قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء في الكتاب قولان

أحدهما أنه اللوح المحفوظ روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ما تركنا شيئا إلا وقد كتبناه في أم الكتاب وإلى هذا المعنى ذهب قتادة وابن زيد

والثاني أنه القرآن روى عطاء عن ابن عباس ما تركنا من شيء إلا وقد بيناه لكم فعلى هذا يكون من العام الذي أريد به الخاص فيكون المعنى ما فرطنا في شيء بكم إليه حاجة إلا وبيناه في الكتاب إما نصا وإما مجملا وإما دلالة كقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء أي لكل شيء يحتاج إليه في أمر الدين

قوله تعالى ثم إلى ربهم يحشرون فيه قولان

(٣/٣٥)

أحدهما أنه الجمع يوم القيامة روى أبو ذر قال انتطحت شاتان عند النبي صلى الله عليه و سلم فقال يا أبا ذر أتدري فيما انتطحتا قلت لا قال لكن الله يدري وسيقضي بينهما وقال أبو هريرة يحشر الله الخلق يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدله أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فيقول الكافر ياليتني كنت ترابا

والثاني أن معنى حشرها موتها قاله ابن عباس والضحاك

والذين كذبوا بآياتنا صم بكم وفي الظلمات من يشا لله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم

قوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا يعني ما جاء به محمد صلى الله عليه و سلم صم عن القرآن لا يسمعونه وبكم عنه لا ينطقون به في الظلمات أي في الشرك والضلالة من يشأ الله يضلله فيموت على الكفر ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم وهو الإسلام

قل أرأيتكم إن أتكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين

قوله تعالى قل أرأيتكم قرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وابن عامر وحمزة أرأيتم وأرأيتكم وأرأيت بالألف في كل القرآن

(٣/٣٦)

مهموزا ولين الهمزة نافع في الكل وقرأ الكسائي بغير همز ولا ألف قال الفراء العرب تقول أرأيتك وهم يريدون أخبرني

فأما عذاب الله ففي المراد به هاهنا قولان

أحدهما أنه الموت قاله ابن عباس

والثاني العذاب الذي كان يأتي الأمم الخالية قاله مقاتل

فأما الساعة فهي القيامة قال الزجاج وهو اسم للوقت الذي يصعق فيه العباد وللوقت الذي يبعثون فيه

قوله تعالى أغير الله تدعون أي أتدعون صنما أو حجرا لكشف ما بكم فاحتج عليهم بما لا يدفعونه لأنهم كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله

وقوله تعالى إن كنتم صادقين جواب لقوله أرأيتكم لأنه بمعنى أخبروا كأنه قيل لهم إن كنتم صادقين فأخبروا من تدعون عند نزول البلاء بكم

بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون

قوله تعالى بل آياه تدعون قال الزجاج أعلمهم أنهم لا يدعون في الشدائد إلا إياه وفي ذلك أعظم الحجج عليهم لأنهم عبدوا الأصنام

فيكشف ما تدعون إليه إن شاء المعنى فيكشف الضر الذي من أجله دعوتهم وهذا على اتساع الكلام مثل قوله واسأل القرية أي اهل القرية

وتنسون يجوز أن يكون بمعنى تتركون ويجوز أن يكون المعنى إنكم في تركككم دعاءهم بمنزلة من قد نسيهم

ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون

قوله تعالى ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك في الآية محذوف تقديره ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك رسلا فخالفوهم فأخذناهم بالبأساء وفيها ثلاثة أقوال

أحدها أنها الزمانة والخوف رواه أبو صالح عن ابن عباس

والثاني أنها البؤس وهو الفقر قاله ابن قتيبة

والثالث أنها الجوع ذكره الزجاج

وفي الضراء ثلاثة أقوال

أحدها البلاء والجوع رواه أبو صالح عن ابن عباس

والثاني النقص في الأموال والأنفس ذكره الزجاج

والثالث الاسقام والأمراض قاله أبو سليمان
قوله تعالى لعلهم يتضرعون أي لكي يتضرعوا والتضرع التذلل والاستكانة وفي الكلام محذوف تقديره فلم يتضرعوا
فلولا إذا جآءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون
قوله تعالى فلولا معناه فهلا والبأس العذاب ومقصود الآية أن الله تعالى أعم نبيه صلى الله عليه و سلم أنه قد أرسل إلى قوم قبله بلغوا من القسوة أنهم أخذوا بالشدائد فلم يخضعوا وأقاموا على كفرهم وزين لهم الشيطان ضلالتهم فأصروا عليها

(٣٨/٣)

فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون
قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به قال ابن عباس تركوا ما وعظوا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء يريد رخاء الدنيا وسرورها وقرأ أبو جعفر وابن عامر فتحنا بالتشديد هنا وفي الأعراف وفي الأنبياء فتحت وفي القمر فتحنا والجمهور على تخفيفهن قال الزجاج أبواب كل شيء كان مغلقا عنهم من الخير حتى إذا ظنوا أن ما كان نزل بهم لم يكن انتقاما وما فتح عليهم باستحقاقهم أخذناهم بغتة أي فاجأهم عذابنا وقال ابن الانباري إنما أراد بقوله كل شيء التأكيد كقول القائل أكلنا عند فلان كل شيء وكنا عنده في كل سرور يريد بهذا العموم تكثير ما يصفه والإطناب فيه كقوله وأوتيت من كل شيء وقال الحسن من وسع عليه فلم ير أنه لم يمكر به فلا رأي له ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر له فلا رأي له ثم قرأ هذه الآية وقال مكر بالقوم ورب الكعبة أعطوا حاجاتهم ثم أخذوا
قوله تعالى فاذا هم مبلسون في المبلس خمسة اقوال
أحدها أنه الآيس من رحمة الله عز و جل رواه الضحاك عن ابن عباس وقال في رواية أخرى الآيس من كل خير وقال الفراء المبلس اليائس

(٣٩/٣)

المنقطع رجاؤه ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجته فلا يكون عنده جواب قد أبلس قال العجاج ... يا صاح هل تعرف رسما مكرسا ... قال نعم أعرفه وأبلسا ...
أي لم يحر جوابا وقيل المكرس الذي قد بعرت فيه الإبل وبولت فيركب بعضه بعضا

والثاني أنه المفتضح قال مجاهد الإبلاس الفضيحة

والثالث أنه المهلك قاله السدي

والرابع أنه المجهود المكروب الذي قد نزل به من الشر مالا يستطيعه قاله ابن زيد

والخامس أنه الحزين النادم قاله أبو عبيدة وأنشد لرؤبة ... وحضرت يوم الخميس الأخماس ... وفي الوجوه صفرة وإبلاس ...

أي اكتئاب وكسوف وحزن

وقال الزجاج هو الشديد الحسرة الحزين اليائس وقال في موضع آخر المبلس الساكت المتحير

فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين

قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا قال ابن السائب دابرهم

(٣/٤٠)

الذي يتخلف في آخرهم والمعنى أنهم استؤصلوا وقال أبو عبيدة دابرهم آخرهم الذي يدبرهم قال ابن قتيبة هو كما يقال اجتث أصلهم

قال المفسرون وإنما حمد نفسه على قطع دابرهم لأن ذلك إنعام على رسلهم الذين كذبوهم وعلم الحمد على كفايته شر الظالمين

قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به أنظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون

قوله تعالى قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم أي أذهبها وختم على قلوبكم حتى لا تعرفون شيئا من آله غير الله يأتيكم به في هاء به ثلاثة اقوال

أحدها أنها تعود على الفعل والمعنى يأتيكم بما أخذ الله منكم قاله الزجاج وقال الفراء إذا كنيت عن الأفاعيل وإن كثرت وحدت الكناية كقوله للرجل إقبالك وإدبارك يؤذيني

والثاني أنها تعود إلى الهدى ذكره الفراء فعلى هذا تكون الكناية عن غير مذكور ولكن المعنى يشتمل عليه لأن من أخذ سمعه وبصره وختم على قلبه لم يهتد

والثالث أنها تعود على السمع ويكون ما عطف عليه داخلا معه في القصة لأنه معطوف عليه ذكره الزجاج والجمهور يقرؤون من إله غير الله يأتيكم به انظر بكسر هاء به وروى المسيبي عن نافع به انظر

(٣/٤١)

بالضم قال أبو علي من كسر حذف الياء التي تلحق الهاء في نحو بهي عيب ومن ضم فعلى قول من قال فخصفنا بهو وبدارهو الأرض فحذف الواو

قوله تعالى انظر كيف نصرف الآيات قال مقاتل يعني تكون العلامات في أمور شتى فيخوفهم بأخذ الأسماع والأبصار والقلوب وبما صنع بالأمم الخالية ثم هم يصدفون أي يعرضون فلا يعتبرون

قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون

قوله تعالى قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة قال الزجاج البغتة المفاجأة والجهرة أن يأتيهم وهم يرونه هل يهلك إلا القوم الظالمون أي هل يهلك إلا أنتم ومن أشبهكم لأنكم كفرتم معاندين فقد علمتم أنكم ظالمون

وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون

قوله تعالى وما نرسل المرسلين إلا مبشرين أي بالثواب ومنذرين بالعقاب وليس إرسالهم ليأتوا بما يقترحونه من الآيات ثم ذكر ثواب من صدق وعقاب من كذب في تمام الآية والتي بعدها وقال ابن عباس يفسقون بمعنى يكفرون

قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير افلا تتفكرون

قوله تعالى قل لا أقول لكم عندي خزائن الله سبب نزولها أن أهل مكة قالوا يا محمد لو أنزل الله عليك كنزا فتستغني به فانك فقير محتاج أو تكون لك جنة تأكل منها فانك تجوع فنزلت هذه الآية رواه أبو صالح عن ابن عباس

قال الزجاج وهذه الآية متصلة بقوله لولا أنزل عليه آية من ربه فأعلمهم أنه لا يملك خزائن الله التي منها يرزق ويعطي ولا يعلم الغيب فيخبرهم به إلا بوحي ولا يقول إنه ملك لأن الملك يشاهد من أمور الله تعالى مالا يشاهده البشر وقرأ ابن مسعود وابن جبير وعكرمة والجحدري إني ملك بكسر اللام وفي الأعمى والبصير قولان

أحدهما أن الأعمى الكافر والبصير المؤمن قاله ابن عباس وقتادة

والثاني الأعمى الضال والبصير المهتدي قاله سعيد بن جبير ومجاهد وفي قوله أفلا تتفكرون قولان

أحدهما فيما بين لكم من الآيات الدالة على وحدانيته وصدق رسوله

والثاني فيما ضرب لكم من مثل الأعمى والبصير وأنهما لا يستويان

وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون
قوله تعالى وأنذر به قال الزجاج يعني بالقرآن وإنما ذكر الذين يخافون الحشر دون غيرهم وإن كان منذرا لجميع الخلق لأن الحجة على الخائفين الحشر أظهر لاعترافهم بالمعاد فهم أحد رجلين إما مسلم فينذر ليؤدي حق الله عليه في إسلامه وإما كتابي فأهل الكتاب مجمعون على البعث

(٤٣/٣)

وذكر الولي والشفيع لأن اليهود والنصارى ذكرت أنها أبناء الله وأحباؤه فأعلم عز و جل أن أهل الكفر ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع وقال غيره ليس لهم من دونه ولي أي ليس لهم غير الله ولي ولا شفيع لأن شفاعة الشافعين بأمره
وقال أبو سليمان الدمشقي هذه الآية متعلقة بقوله وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليه من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين
قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم روى سعد بن أبي وقاص قال نزلت هذه الآية في ستة في وفي ابن مسعود وصهيب وعمار والمقداد وبلال قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه و سلم إنا لا نرضى أن نكون أتباعا لهؤلاء فاطردهم عنك فدخل على رسول الله من ذلك ما شاء الله أن يدخل فنزلت هذه الآية
وقال خباب بن الأرت نزلت فينا كنا ضعفاء عند النبي صلى الله عليه و سلم يعلمنا بالغداة والعشي ما ينفعنا فجاء الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فقالا إنا من أشراف قومنا وإنا نكره أن يرونا معهم فاطردهم إذا جالسناك قال نعم

(٤٤/٣)

فقالوا لا نرضى حتى تكتب بيننا كتابا فأتى بأديم ودواة ودعا عليا ليكتب فلما أراد ذلك ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبريل بقوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم إلى قوله فتنا بعضهم ببعض فرمى بالصحيفة ودعانا فأتيناه وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فدنونا منه يومئذ حتى وضعنا ركبنا على ركبته وقال ابن مسعود مر الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه و سلم وعنده خباب وصهيب وبلال وعمار فقالوا يا محمد رضيت بهؤلاء أتريد أن نكون تبعا لهم فنزلت ولا تطرد الذين يدعون ربهم وقال عكرمة جاء عتبة وشيبة ابنا ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل في

أشراف بني عبد مناف إلى أبي طالب فقالوا لو أن ابن أخيك يطرد عنه موالينا وعبيدنا كان أعظم في صدورنا وأدنى لاتباعنا إياه فأتاه أبو طالب فحدثه بذلك فقال عمر بن الخطاب لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون فنزلت هذه الآيات فأقبل عمر يعتذر من مقالته وروى أبو صالح عن ابن عباس أن هذه الآيات نزلت في الموالي منهم بلال وصهيب وخباب وعمار ومهجع وسلمان وعامر ابن فهيرة وسالم مولى أبي حذيفة وأن قوله وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم نزلت فيهم أيضا وقد روى العوفي عن ابن عباس أن ناسا من

(٣/٤٥)

الأشراف قالوا للنبي صلى الله عليه و سلم نؤمن لك وإذا صلينا فأخر هؤلاء الذين معك فليصلوا خلفنا فعلى هذا إنما سألوه تأخيرهم عن الصف وعلى الأقوال التي قبله سألوه طردهم عن مجلسه

قوله تعالى يدعون ربهم في هذا الدعاء خمسة أقوال

أحدها أنه الصلاة المكتوبة قاله ابن عمر وابن عباس وقال مجاهد هي الصلوات الخمس وفي رواية عن مجاهد وقتادة قالا يعني صلاة الصبح والعصر وزعم مقاتل أن الصلاة يومئذ كانت ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي ثم فرضت الصلوات الخمس بعد ذلك

والثاني أنه ذكر الله تعالى قاله إبراهيم النخعي وعنه كالقول الأول

والثالث أنه عبادة الله قاله الضحاك

والرابع أنه تعلم القرآن غدوة وعشية قاله أبو جعفر

والخامس أنه دعاء الله بالتوحيد والإخلاص له وعبادته قاله الزجاج وقرأ الجمهور بالغداة وقرأ ابن عامر هاهنا وفي الكهف أيضا بالغدوة بضم الغين وإسكان الدال وبعدها واو

قال الفراء والعرب لا تدخل الألف واللام على الغدوة لأنها معرفة بغير ألف ولام ولا تضيفها العرب يقولون أتيتك غداة الخميس ولا يقولون غدوة الخميس فهذا دليل على أنها معرفة

وقال أبو علي الوجه الغداة لأنها تستعمل نكرة وتتعرف باللام وأما غدوة فمعرفة

وقال الخليل يجوز أن تقول أتيتك اليوم غدوة وبكرة فجعلها بمنزلة ضحوة فهذا وجه قراءة ابن عامر

(٣/٤٦)

فان قيل دعاء القوم كان متصلا بالليل والنهار فلماذا خص الغداة والعشي فالجواب أنه نبه بالغداة على جميع النهار وبالعشي على الليل لأنه إذا كان عمل النهار خالصا له كان عمل الليل أصفى

قوله تعالى يريدون وجهه قال الزجاج أي يريدون الله فيشهد الله لهم بصحة النيات وأنهم مخلصون في ذلك

وأما الحساب المذكور في الآية ففيه ثلاثة أقوال

أحدها أنه حساب الأعمال قاله الحسن

والثاني حساب الأرزاق والثالث أنه بمعنى الكفاية والمعنى ما عليك من كفايتهم ولا عليهم كفايتك

قوله تعالى فتكون من الظالمين قال ابن الأنباري عظم هذا الأمر على النبي صلى الله عليه و سلم وخوف بالدخول في جملة الظالمين لأنه كان قد هم بتقديم الرؤساء على الضعفاء

وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين

قوله تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض المعنى وكما ابتلينا قبلك الغني بالفقير ابتلينا أيضا بعضهم ببعض وفتنا بمعنى ابتلينا واختبرنا ليقولوا يعني الكبراء أهؤلاء يعنون الفقراء والضعفاء من الله عليهم بالهدى وهذا استفهام معناه الانكار كأنهم أنكروا أن يكونوا سبقوهم بفضيلة

قال ابن السائب ابتلى الله الرؤساء بالموالي فاذا نظر الشريف إلى الوضيع قد آمن قبله أنف أن يسلم ويقول سبقني هذا

(٤٧/٣)

قوله تعالى أليس الله بأعلم بالشاكرين أي بالذين يشكرون نعمته إذا من عليهم بالهداية والمعنى إنما يهدي الله من يعلم أنه يشكر والاستفهام في أليس معناه التقرير أي إنه كذلك

وإذا جآءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم

قوله تعالى وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال

أحدها أنها نزلت في رجال أتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا إنا أصبنا ذنوبا عظيمة فسكت عنهم رسول الله صلى الله عليه و سلم فنزلت هذه الآية قاله أنس بن مالك

والثاني أنها نزلت في الذين نهى عن طردهم فكان النبي صلى الله عليه و سلم إذا رآهم بدأهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام قاله الحسن وعكرمة

والثالث أنها نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون وأبي عبيدة ومصعب بن عمير وسالم وأبي سلمة والأرقم ابن أبي الأرقم وعمار وبلال قاله عطاء

والرابع أن عمر بن الخطاب كان اشار على رسول الله صلى الله عليه و سلم بتأخير الفقراء

(٤٨/٣)

استمال للرؤساء إلى الإسلام فلما نزلت ولا تطرد الذين يدعون ربهم جاء عمر يعتذر من مقالته ويستغفر منها فنزلت فيه هذه الآية قاله ابن السائب

والخامس أنها نزلت مبشرة باسلام عمر بن الخطاب فلما جاء وأسلم تلاها عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم حكاه أبو سليمان الدمشقي

فأما قوله تعالى يؤمنون بآياتنا فمعناه يصدقون بحججنا وبراهيننا

قوله تعالى فقل سلام عليكم فيه قولان

أحدهما أنه أمر بالسلام عليهم تشريفا لهم وقد ذكرناه عن الحسن وعكرمة

والثاني أنه أمر بابلاغ السلام إليهم عن الله تعالى قاله ابن زيد قال الزجاج ومعنى السلام دعاء للانسان بأن يسلم من الآفات وفي السوء قولان

أحدهما أنه الشرك والثاني المعاصي

وقد ذكرنا في سورة النساء معنى الجهالة قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي أنه من عمل منكم سوءا فانه غفور بكسر الألف فيهما وقرأ عاصم وابن عامر بفتح الألف فيهما وقرأ نافع بنصب ألف أنه وكسر ألف فانه غفور قال أبو علي من كسر ألف إنه جعله تفسيرا للرحمة ومن كسر ألف فانه غفور فلأن ما بعد الفا حكمة الابتداء ومن فتح ألف انه من عمل جعل أن بدلا من الرحمة والمعنى كتب ربكم أنه من عمل ومن فتحها بعد الفاء أضمر خبرا تقديره فله أنه غفور رحيم والمعنى فله غفرانه وكذلك قوله تعالى فإن له نار جهنم معناه فله أن له نار جهنم وأما قراءة نافع فانه أبدل من الرحمة واستأنف ما بعد الفاء

وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين

قوله تعالى وكذلك نفصل الآيات أي وكما فصلنا لك في هذه السورة دلائلنا وأعلامنا على المشركين كذلك نبين لك حجتنا في كل حق ينكره أهل الباطل قال ابن قتيبة ومعنى تفصيلها إتيانها متفرقة شيئا بعد شيء

قوله تعالى ولتستبين وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ولتستبين بالتاء سبيل بالرفع وقرأ نافع وزيد عن يعقوب بالتاء أيضا إلا أنهما نصبا السبيل وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم وليستبين بالياء سبيل بالرفع فمن قرأ ولتستبين بالياء أو التاء فلأن السبيل تذكر وتؤنث على ما بينا في آل عمران ومن نصب اللام فالمعنى ولتستبين أنت يا محمد سبيل المجرمين وفي سبيلهم التي بينت له قولان

أحدهما أنها طريقهم في الشرك ومصيرهم إلى الخزي قاله ابن عباس
والثاني أنها مقصودهم في طرد الفقراء عنه وذلك إنما هو الحسد لا إيثار مجالسته واتباعه قاله أبو سليمان
فان قيل كيف انفردت لام كي في قوله ولتستبين وسبيلها أن تكون شرطا لفعل يتقدمها أو يأتي بعدها فقد أجاب عنه ابن الأنباري بجوابين
أحدهما أنها شرط لفعل مضمر يراد به ونفعل ذلك لكي تستبين
والثاني انها معطوفة على لام مضمرة تأويله نفصل الآيات ليتكشف أمرهم ولتستبين سبيلهم
قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين

قوله تعالى قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله يعني الأصنام وفي معنى تدعون قولان
أحدهما تدعونهم آلهة
والثاني تعبدون قاله ابن عباس وأهواءهم دينهم قال الزجاج أراد إنما عبدتموها على طريق الهوى لا على طريق البينة والبرهان ومعنى إذا معنى الشرط والمعنى قد ضللت إن عبدتها وقرأ طلحة وابن أبي ليلى قد ضللت بكسر اللام
قل إني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به إن الحكم إلا الله يقص الحق وهو خير الفاصلين
قوله تعالى قل إني على بينة من ربي سبب نزولها أن النضر بن الحارث وسائر قريش قالوا للنبي صلى الله عليه و سلم يا محمد ائتنا بالعذاب الذي تعدنا به استهزاء وقام النضر عند الكعبة وقال اللهم إن كان ما يقول حقا فائتنا بالعذاب فنزلت هذه الآية رواه أبو صالح عن ابن عباس فأما البينة فهي الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل قال الزجاج أنا على أمر بين لا متبع لهوى
قوله تعالى وكذبتم به في هاء الكناية ثلاثة أقوال
أحدها أنها ترجع إلى الرب والثاني ترجع إلى البيان والثالث ترجع إلى العذاب الذي طلبوه استهزاء
قوله تعالى ما عندي ما تستعجلون به أي ما بيدي وفي الذي استعجلوا به قولان
أحدهما أنه العذاب قاله ابن عباس والحسن
والثاني أنه الآيات التي كانوا يقترحونها ذكره الزجاج

قوله تعالى إن الحكم إلا لله فيه قولان
أحدهما أنه الحكم الذي يفصل به بين المختلفين بايجاب الثواب والعقاب
والثاني أنه القضاء بانزال العذاب على المخالف
قوله تعالى يقص الحق قرأ ابن كثير وعاصم ونافع يقص الحق بالصاد المشددة من القصص والمعنى أن كل ما أخبر به فهو حق وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي يقضي الحق من القضاء والمعنى يقضي القضاء الحق
قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين
قوله تعالى قل لو أن عندي ما تستعجلون به أي من العذاب لقضي الأمر بيني وبينكم قال ابن عباس يقول لم أمهلكم ساعة ولأهلكتكم
قوله تعالى والله أعلم بالظالمين فيه قولان
أحدهما أن المعنى إن شاء عاجلهم وإن شاء أخر عقوبتهم
والثاني اعلم بما يؤول إليه أمرهم وأنه قد يهتدي منهم قوم ولا يهتدي آخرون فلذلك يؤخروهم
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين
قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب قال ابن جرير المفاتح جمع مفتح

يقال مفتح ومفتاح فمن قال مفتح جمعه مفاتح ومن قال مفتاح جمعه مفاتيح وفي مفاتح الغيب سبعة أقوال
أحدها أنها خمس لا يعلمها إلا الله عز و جل روى البخاري في أفراده من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم ما في غد إلا الله ولا تعلم نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى ينزل الغيث إلا الله قال ابن مسعود أوتى نبيكم علم كل شيء إلا مفاتيح الغيب
والثاني أنها خزائن غيب السموات من الأقدار والأرزاق قاله ابن عباس
والثالث ما غاب عن الخلق من الثواب والعقاب وما تصير إليه الأمور قاله عطاء
والرابع خزائن غيب العذاب متى ينزل قاله مقاتل

والخامس الوصلة إلى علم الغيب إذا استعلم قاله الزجاج
والسادس عواقب الأعمار وخواتيم الأعمال
والسابع ما لم يكن هل يكون أم لا يكون وما يكون كيف يكون وما لا يكون إن كان كيف يكون فأما البر فهو القفر وفي البحر قولان أحدهما أنه الماء قاله الجمهور والثاني أنه القرى قاله مجاهد
قوله تعالى وما تسقط من ورقة إلا يعلمها قال الزجاج المعنى أنه يعلمها ساقطة وثابتة كما تقول ما يجيئك أحد إلا وأنا أعرفه ليس تأويله اعرفه في حال مجيئه فقط فأما ظلمات الأرض فالمراد بها بطن الأرض
وفي الرطب واليابس خمسة أقوال
أحدها أن الرطب الماء واليابس البادية والثاني الرطب ما ينبت واليابس مالا ينبت والثالث الرطب الحي واليابس الميت والرابع الرطب لسان المؤمن يذكر الله واليابس لسان الكافر لا يتحرك بذكر الله
والخامس أنهما الشيء ينتقل من إحدى الحالتين إلى الأخرى فهو يعلمه رطبا ويعلمه يابسا وفي الكتاب المبين قولان
أحدهما أنه اللوح المحفوظ قاله مقاتل والثاني أنه علم الله المتقن ذكره الزجاج فان قيل ما الفائدة في إحصاء هذه الأشياء في كتاب فعنه ثلاثة أجوبة ذكرهن ابن الأنباري
أحدها أنه أحصاها في كتاب لتقف الملائكة على نفاذ علمه
والثاني أنه نبه بذلك عباده على تعظيم الحساب وأعلمهم أنه لا يفوته ما يصنعون لأن من يثبت مالا ثواب فيه ولا عقاب فهو إلى إثبات ما فيه ثواب وعقاب أسرع

والثالث أن المراد بالكتاب العلم فالمعنى أنها مثبتة في علمه
وهو الذي يتوفكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضي أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون
قوله تعالى وهو الذي يتوفكم بالليل يريد به النوم لأنه يقبض الأرواح عن التصرف بالنوم كما يقبض بالموت وقال ابن عباس يقبض أرواحكم في منامكم وجرحتم بمعنى كسبتم ثم يبعثكم أي يوقظكم فيه أي في النهار ليقضى أجل مسمى أي لتبلغوا الأجل المسمى لانقطاع حياتكم فدل باليقظة بعد النوم على البعث بعد الموت
وهو القاهر فوق عبادة ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون
قوله تعالى ويرسل عليكم حفظة الحفظة الملائكة واحدهما حافظ والجمع حفظة مثل كاتب وكتبة

وفاعل وفعلة وفيما يحفظونه قولان
أحدهما أعمال بني آدم قاله ابن عباس والثاني أعمالهم وأجسادهم قاله السدي
قوله تعالى توفته رسلنا وقرأ حمزة توفاه رسلنا وحجته أنه فعل مسند إلى مؤنث غير حقيقي وإنما التأنيث للجمع فهو مثل وقال نسوة وفي المراد بالرسل ثلاثة أقوال
أحدها أنهم أعوان ملك الموت قاله ابن عباس وقال النخعي أعوانه يتوفون النفوس وهو يأخذها منهم

(٥٥/٣)

والثاني أن المراد بالرسل ملك الموت وحده قاله مقاتل
والثالث أنهم الحفظة قاله الزجاج
قوله تعالى وهم لا يفرطون قال ابن عباس لا يضيعون فان قيل كيف الجمع بين قوله توفته رسلنا وبين قوله قل يتوفاكم ملك الموت فعنه جوابان
أحدهما أنه يجوز أن يريد بالرسل ملك الموت وحده وقد يقع الجمع على الواحد والثاني أن أعوان ملك الموت يفعلون بأمره فأضيف الكل إلى فعله
وقيل توفي أعوان ملك الموت بالنزع وتوفي ملك الموت بأن يأمر الأرواح فتجيب ويدعوها فتخرج وتوفي الله تعالى بأن يخلق الموت في الموت
ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين
قوله تعالى ثم ردوا إلى الله يعني العباد وفي متولي الرد قولان
أحدهما أنهم الملائكة ردتهم بالموت إلى الله تعالى
والثاني أنه الله عز و جل ردهم بالبعث في الآخرة وفي معنى ردهم إلى الله تعالى قولان
أحدهما أنهم ردوا إلى المكان الذي لا يملك الحكم فيه إلا الله وحده
والثاني أنهم ردوا إلى تدبيره وحده لأنه لما أنشأهم كان منفردا بتدبيرهم فلما مكنهم من التصرف صاروا في تدبير أنفسهم ثم كفهم عنه بالموت فصاروا مردودين إلى تدبيره

(٥٦/٣)

قوله تعالى الا له الحكم يعني القضاء وبيان سرعة الحساب في البقرة
قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين
قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون

قوله تعالى قل من ينجيكم قرأ عاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر قل من ينجيكم قل الله ينجيكم مشددين وقرأ يعقوب والقزاز عن عبد الوارث بسكون النون وتخفيف الجيم قال الزجاج والمشددة أجود للكثرة وظلمات البر والبحر شدائدها والعرب تقول لليوم الذي تلقى فيه شدة يوم مظلم حتى إنهم يقولون يوم ذو كواكب أي قد اشتدت ظلمته حتى صار كالليل قال الشاعر ... فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي ... إذا كان يوما ذا كواكب أشعنا

(٥٧/٣)

قوله تعالى تدعونه تضرعا أي مظهرين الضراعة وهي شدة الفقر إلى الشيء والحاجة
قوله تعالى وخفية قرأ عاصم إلا حفصا وخفية بكسر الخاء وكذلك في الأعراف وقرأ الباقون بضم الخاء وهما لغتان قال الفراء وفيها لغة أخرى بالواو ولا تصلح في القراءة خفوة وخفوة ومعنى الكلام أنكم تدعونه في أنفسكم كما تدعونه ظاهرا لئن أنجيتنا كذلك قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو لئن أنجيتنا وقرأ عاصم وحمزة والكسائي لئن أنجانا بألف لمكان الغيبة في قوله تدعونه وكان حمزة والكسائي وخلف يميلون الجيم
قوله تعالى من هذه يعني في أي شدة وقعتم قلتم لئن أنجيتنا من هذه قال ابن عباس والشاكرون هاهنا المؤمنون وكانت قريش تسافر في البر والبحر فاذا ضلوا الطريق وخافوا الهلاك دعوا الله مخلصين فأنجاهم فأما الكرب فهو الغم الذي يأخذ بالنفس ومنه اشتقت الكربة
قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقون
قوله تعالى قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم فيه قولان

(٥٨/٣)

أحدهما أن الذي فوقهم العذاب النازل من السماء كما حصب قوم لوط وأصحاب الفيل والذي من تحت أرجلهم كما خسف بقارون قاله ابن عباس والسدي ومقاتل وقال غيرهم ومنه الطوفات والريح والصيحة والرجفة
والقول الثاني أن الذي من فوقهم من قبل أمرائهم والذي من تحتهم من سفلتهم رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وقال في رواية أخرى الذي من فوقهم أئمة السوء والذي من تحت أرجلهم عبيد السوء
قوله تعالى أو يلبسكم شيعا قال ابن عباس يبث فيكم الأهواء المختلفة فتصيرون فرقا قال ابن قتيبة

يلبسكم من الالتباس عليهم والمعنى حتى تكونوا شيعا أي فرقا مختلفين ثم يذيق بعضكم باس بعض بالقتال والحرب وقال الزجاج يلبسكم أي يخلط أمركم خلط اضطراب لا خلط اتفاق يقال لبست عليهم الأمر ألبسه إذا لم أبينه ومعنى شيعا أي يجعلكم فرقا فاذا كنتم مختلفين قاتل بعضكم بعضا قوله تعالى ويذيق بعضكم بأس بعض أي يقتل بعضكم بيد بعض وفيمن عني بهذه الآية ثلاثة أقوال أحدها أنها في المسلمين أهل الصلاة هذا مذهب ابن عباس وابي العالية وقتادة وقال أبي بن كعب في هذه الآية هن أربع خلال وكلهن عذاب وكلهن واقع قبل يوم القيامة فمضت اثنتان قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم بخمس وعشرين سنة ألبسوا شيعا وأذيق بعضهم بأس بعض وثنتان واقعتان لا محالة الخسف والرجم

(٥٩/٣)

والثاني أن العذاب للمشركين وباقي الآية للمسلمين قاله الحسن وقد روي عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يصيبكم بعذاب أصاب به من كان قبلكم فأعطانيها وسألته إن لا يسلط عليكم عدوا يستبيح بيضتكم فأعطانيها وسألته أن لا يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض فمنعنيها

والثالث أنها تهدد للمشركين قاله ابن جرير الطبري وأبو سليمان الدمشقي

وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل

قوله تعالى وكذب به قومك في هاء به ثلاثة أقوال

أحدها أنها كناية عن القرآن والثاني عن تصريف الآيات والثالث عن العذاب

(٦٠/٣)

قوله تعالى قل لست عليكم بوكيل فيه قولان

أحدهما لست حفيظا على أعمالكم لأجازيكم بها إنما أنا منذر قاله الحسن

والثاني لست حفيظا عليكم أخذكم بالإيمان إنما أدعوكم إلى الله قاله الزجاج

فصل

وفي هذا القدر من الآية قولان

أحدهما أنه اقتضى الاقتصار في حقهم على الإنذار من غير زيادة ثم نسخ ذلك بآية السيف

والثاني أن معناه لست حفيظا عليكم إنما أطالبكم بالظواهر من الإقرار والعمل لا بالإسرار فعلى هذا هو

محكم
لكل نبا مستقر وسوف تعلمون
قوله تعالى لكل نبأ مستقر أي لكل خبر يخبر الله به وقت يقع فيه من غير خلف ولا تأخير قال السدي فاستقر نبأ القرآن بما كان يعدهم من العذاب يوم بدر وقال مقاتل منه في الدنيا يوم بدر وفي الآخرة جهنم
وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين
قوله تعالى وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فيمن أريد بهذه الآية ثلاثة أقوال

(٦١/٣)

أحدها المشركون والثاني اليهود والثالث أصحاب الأهواء والآيات القرآن وخوض المشركين فيه تكذيبهم به واستهزاؤهم ويقاربه خوض اليهود وخوض أهل الأهواء بالمراء والخصومات
قوله تعالى فأعرض عنهم أي فاترك مجالستهم حتى يكون خوضهم في غير القرآن وإما ينسينك وقرأ ابن عامر ينسينك بفتح النون وتشديد السين والنون الثانية ومثل هذا غرمته وأغرمته وفي التنزيل فمهل الكافرين أمهلهم والمعنى إذا أنساك الشيطان فقعدت معهم ناسيا نهينا لك فلا تقعد بعد الذكرى والذكر والذكرى واحد قال ابن عباس قم إذا ذكرته والظالمون المشركون
وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون
قوله تعالى وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء في سبب نزولها ثلاثة أقوال
أحدها أن المسلمين قالوا لئن كنا كلما استهزأ المشركون بالقرآن
وخاضوا فيه فمنعناهم لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام ولا أن نطوف بالبيت فنزلت هذه الآية
والثاني أن المسلمين قالوا إنا نخاف الإثم إن لم ننههم عن الخوض فنزلت هذه الآية
والثالث أن المسلمين قالوا لو قمنا عنهم إذا خاضوا فانا نخشى الإثم في مجالستهم فنزلت هذه الآية هذا عن مقاتل والأولان عن ابن عباس

(٦٢/٣)

قوله تعالى وما على الذين يتقون فيه قولان
أحدهما يتقون الشرك والثاني يتقون الخوض

قوله تعالى من حسابهم يعني حساب الخائضين وفي حسابهم قولان
أحدهما أنه كفرهم وآثامهم والثاني عقوبة خوضهم
قوله تعالى ولكن ذكرى أي ولكن عليكم أن تذكروهم وفيما تذكرونهم به قولان
أحدهما المواعظ والثاني قيامكم عنهم قال مقاتل إذا قمتم عنهم منعهم من الخوض الحياء منكم والرغبة في مجالستكم
قوله تعالى لعلهم يتقون فيه قولان
أحدهما يتقون الاستهزاء والثاني يتقون الوعيد
فصل
وقد ذهب قوم إلى أن هذه الآية منسوخة لأنها اقتضت جواز مجالسة الخائضين والاقتصار على تذكيرهم ثم نسخت بقوله وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم والصحيح أنها محكمة لأنها خبر وإنما دلت على أن كل عبد يختص بحساب نفسه ولا يلزمه حساب غيره
وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحيواة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون

الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون
قوله تعالى وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا فيهم قولان
أحدهما أنها الكفار والثاني اليهود والنصارى
وفي اتخاذهم دينهم لعبا ولهوا ثلاثة اقوال أحدها أنه استهزاؤهم بآيات الله إذا سمعوها
والثاني أنهم دانوا بما اشتهوا كما يلهون بما يشتهون
والثالث أنهم يحافظون على دينهم إذا اشتهوا كما يلهون إذا اشتهوا قال الفراء ويقال إنه ليس من قوم إلا ولهم عيد فهم يلهون في أعيادهم إلا أمة محمد صلى الله عليه و سلم فان أعيادهم صلاة وتكبير وبر وخير
فصل
ولعلماء الناسخ والمنسوخ في هذا القدر من الآية قولان
أحدهما أنه خرج مخرج التهديد كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا فعلى هذا هو محكم وإلى هذا المعنى

ذهب مجاهد

والثاني أنه اقتضى المسامحة لهم والإعراض عنهم ثم نسخ بآية السيف وإلى هذا ذهب قتادة والسدي قوله تعالى وذكر به أي عظ بالقرآن وفي قوله أن تبسل قولان

(٦٤/٣)

أحدهما لئلا تبسل نفس كقوله أن تضلوا

والثاني ذكرهم إبسال المبسلين بجناياتهم لعلهم يخافون

وفي معنى تبسل سبعة اقوال

أحدها تسلم رواه عكرمة عن ابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد والسدي وقال ابن قتيبة تسلم إلى الهلكة قال الشاعر ... وإبسالي بني بغير جرم ... بعوناه ولا بدم مراق ...

أي بغير جرم أجرمناه والبعو الجناية وقال الزجاج تسلم بعملها غير قادرة على التخلص والمستبسل المستسلم الذي لا يعلم أنه يقدر على التخلص

والثاني تفضح رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس والثالث تدفع رواه الضحاك عن ابن عباس والرابع تهلك روي عن ابن عباس أيضا والخامس تحبس وتؤخذ قاله قتادة وابن زيد والسادس تجزي قاله ابن السائب والكسائي والسابع ترتهن قاله الفراء وقال أبو عبيدة ترتهن وتسلم وأنشد ... هنالك لا أرجو حياة تسرني ... سمير الليالي مبسلا بالجرائر

(٦٥/٣)

سمير الليالي أبد الليالي فأما الولي فهو الناصر الذي يمنعها من عذاب الله والعدل الفداء قال ابن زيد وإن تفتد كل فداء لا يقبل منها فأما الحميم فهو الماء الحار قال ابن قتيبة ومنه سمي الحمام

قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدي الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلواة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون

قوله تعالى قل أندعوا من دون الله أي أنعبد مالا يضرنا إن لم نعبده ولا ينفعنا إن عبدناه وهي الأصنام ونرد على أعقابنا أي نرجع إلى الكفر بعد إذ هدانا الله إلى الإسلام فنكون كالذي استهوته الشياطين

وقرأ حمزة استهواه الشياطين على قياس قراءته توفاه رسلنا وفي معنى استهوائها قولان

أحدهما أنها هوت به وذهبت قاله ابن قتيبة وقال أبو عبيدة تشبه له الشياطين فيتبعها حتى تهوي به في

الأرض فتضله
والثاني زينت له هواه قاله الزجاج قال وحيران منصوب على الحال أي استهوته في حال حيرته قال السدي قال المشركون للمسلمين اتبعوا سبيلنا واتركوا دين محمد فقال تعالى قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله فنكون كرجل كان مع قوم

(٦٦/٣)

على طريق فضل فخيرته الشياطين وأصحابه على الطريق يدعونه يا فلان هلم إلينا فانا على الطريق فيأبى وقال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق دعاه أبوه وأمه إلى الإسلام فأبى قال مقاتل والمراد بأصحابه أبواه
قوله تعالى قل إن هدى الله هو الهدى هذا رد على من دعا إلى عبادة الأصنام وزجر عن إجابته كأنه قيل له لا تفعل ذلك لأن هدى الله هو الهدى لا هدى غيره
قوله تعالى وأمرنا لنسلم قال الزجاج العرب تقول أمرتك أن تفعل وأمرتك لتفعل وأمرتك بأن تفعل فمن قال بأن فالباء للالصاق والمعنى وقع الأمر بهذا الفعل ومن قال أن تفعل فعلى خذف الباء ومن قال لتفعل فقد أخبر بالعلة التي لها وقع الامر قال وفي قوله وأن أقيموا الصلاة وجهان
أحدهما أمرنا لأن نسلم ولأن نقيم الصلاة
والثاني أن يكون محمولا على المعنى لأن المعنى أمرنا بالإسلام وباقامة الصلاة
وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير
قوله تعالى وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق فيه أربعة أقوال
أحدها خلقهما للحق والثاني خلقهما حقا والثالث خلقهما بكلامه وهو الحق والرابع خلقهما بالحكمة

(٦٧/٣)

قوله تعالى ويوم يقول كن فيكون قال الزجاج الأجود أن يكون منصوبا على معنى واذكر يوم يقول كن فيكون لأن بعدع وإذ قال إبراهيم فالمعنى واذكر هذا وهذا وفي الذي يقول له كن فيكون ثلاثة أقوال
أحدها أنه يوم القيامة قاله مقاتل والثاني ما يكون في القيامة
والثالث أنه الصور وما ذكر من أمر الصور يدل عليه قالهما الزجاج قال وخص ذلك اليوم بسرعة إيجاد الشيء ليدل على سرعة أمر البعث

قوله تعالى قوله الحق أي الصدق الكائن لا محالة وله الملك يوم ينفخ في الصور وروى إسحاق بن يوسف الأزرق عن أبي عمرو ننفخ بنونين ومعنى الكلام أن الملوك يومئذ لا ملك لهم فهو المنفرد بالملك وحده كما قال والأمر يومئذ لله وفي الصور قولان

أحدهما أنه قرن ينفخ فيه روى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن الصور فقال هو قرن ينفخ فيه وقال مجاهد الصور كهيأة البوق وحكى ابن قتيبة أن الصور القرن في لغة قوم من أهل اليمن وأنشد ... نحن نطحناهم غداة الجمعين ... بالضابحات في غبار النقعين ... نطحا شديدا لا كنطح الصورين

(٦٨/٣)

وأنشد الفراء ... لولا ابن جعدة لم يفتح قهندزكم ... ولا خراسان حتى ينفخ الصور ...

وهذا اختيار الجمهور

والثاني أن الصور جمع صورة يقال صورة وصور بمنزلة سورة وسور كسورة البناء والمراد نفخ الأرواح في صورة الناس قاله قتادة وأبو عبيدة وكذلك قرأ الحسن ومعاذ القارئ وأبو مجلز وأبو المتوكل في الصور بفتح الواو قال ثعلب الأجود أن يكون الصور القرن لأنه قال عز و جل ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض ثم قال ثم نفخ فيه أخرى ولو كان الصور كان ثم نفخ فيها أو فيهن وهذا يدل على أنه واحد وظاهر القرآن يشهد أنه ينفخ في الصور مرتين وقد روى أهل التفسير عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال الصور قرن ينفخ فيه ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيامة لرب العالمين قال ابن عباس وهذه النفخة المذكورة في هذه الآية هي الأولى يعني نفخة الصعق

(٦٩/٣)

قوله تعالى عالم الغيب وهو ما غاب عن العباد مما لم يعاينوه والشهادة وهو ما شاهدوه ورأوه وقال الحسن يعني بذلك السر والعلانية

وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين

قوله تعالى وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر في آزر أربعة أقوال

أحدها أنه أسم أبيه روي عن ابن عباس والحسن والسدي وابن إسحاق

والثاني أنه اسم صنم فأما اسم أبي إبراهيم فتارح قاله مجاهد فيكون المعنى أتتخذ آزر اصناما فكأنه جعل أصناما بدلا من آزر والاستفهام معناه الإنكار

والثالث أنه ليس باسم إنما هو سب بعيب وفي معناه قولان أحدهما أنه المعوج كأنه عابه نريغه وتعويجه عن الحق ذكره الفراء والثاني أنه المخطئ فكأنه قال يا مخطئ أتتخذ أصناما ذكره الزجاج

والرابع أنه لقب لأبيه وليس باسمه قاله مقاتل بن حيان قال ابن الانباري قد يغلب على اسم الرجل لقبه حتى يكون به أشهر منه باسمه والجمهور على قراءة آزر بالنصب وقرأ الحسن ويعقوب بالرفع قال الزجاج من نصب فموضع آزر خفض بدلا من أبيه ومن رفع فعلى النداء

وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين

قوله تعالى وكذلك نري إبراهيم أي وكما أريناه البصيرة في دينه والحق في خلاف قومه نريه ملكوت السموات والأرض وقيل نري بمعنى أرينا قال الزجاج والملكوت بمنزلة الملك إلا أن الملكوت أبلغ في اللغة لأن الواو والتاء يزادان للمبالغة ومثل الملكوت الرغبوت والرهبوت قال مجاهد ملكوت السموات والأرض آياتها تفرجت له السموات السبع حتى العرش فنظر فيهن وتفرجت به الأرضون السبع فنظر فيهن وقال قتادة ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الأرض الجبال والشجر والبحار وقال السدي أقيم على صخرة وفتحت له السموات والأرض فنظر إلى ملك الله عز و جل حتى نظر إلى العرش وإلى منزله من الجنة وفتحت له الأرضون السبع حتى نظر إلى الصخرة التي عليها الأرضون

قوله تعالى وليكون من الموقنين هذا عطف على المعنى لأن معنى الآية نريه ملكوت السموات والأرض ليستدل به وليكون من الموقنين وفي ما يوقن به ثلاثة أقوال

أحدها وحدانية الله وقدرته والثاني نبوته ورسالته والثالث ليكون موقنا بعلم كل شيء حسا لا خبرا

فلما جن عليه الليل رأ كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين

قوله تعالى فلما جن عليه الله قال الزجاج يقال جن عليه الليل وأجنه الليل إذا أظلم حتى يستر بظلمته ويقال لكل ما ستر جن وأجن والاختيار أن يقال جن عليه الليل وأجنه الليل

الإشارة إلى بدء قصة إبراهيم عليه السلام

روى أبو صالح عن ابن عباس قال ولد إبراهيم في زمن نمروذ وكان لنمروذ كهان فقالوا له يولد في هذه السنة مولود يفسد آلهة أهل الأرض ويدعوهم إلى غير دينهم ويكون هلاك أهل بيتك على يده فعزل

النساء عن الرجال ودخل آزر إلى بيته فوقع على زوجته فحملت فقال الكهان لنمروذ إن الغلام قد حمل به الليلة فقال كل من ولدت غلاما فاقتلوه فلما أخذ أم إبراهيم المخاض خرجت هاربة فوضعته في نهر يابس ولفته في خرقة ثم وضعته في حلفاء وأخبرت به أباه فأتاه فحفر له سربا وسد عليه بصخرة

(٣/٧٢)

وكانت أمه تختلف إليه فترضعه حتى شب وتكلم فقال لأمه من ربي فقالت أنا قال فمن ربك قالت أبوك قال فمن رب أبي قالت اسكت فسكت فرجعت إلى زوجها فقالت إن الغلام الذي كنا نتحدث أنه يغير دين أهل الأرض ابنك فأتاه فقال له مثل ذلك فلما جن عليه الليل دنا من باب السرب فنظر فرأى كوكبا قرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رأى بفتح الراء والهمزة وقرأ أبو عمرو رإى بفتح الراء وكسر الهمزة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم رإى بكسر الراء والهمزة واختلفوا فيها إذا لقيها ساكن وهو آت في ستة مواضع رأى القمر فلما رأى الشمس وفي النحل وإذا رأى الذين ظلموا وإذا رأى الذين أشركوا وفي الكهف ورأى المجرمون النار وفي الأحزاب ولما رأى المؤمنون وقرأ أبو بكر عن عاصم وحمزة إلا العبسي وخلف في اختياره بكسر الراء وفتح الهمزة في الكل وروى العبسي كسرة الهمزة أيضا وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي بفتح الراء والهمزة فان اتصل ذلك بمكنى نحو رآك ورآه ورآها فان حمزة والكسائي وخلف والوليد عن ابن عامر والمفضل وأبان والقزاز عن عبد الوارث والكسائي عن أبي بكر يكسرون الراء ويميلون الهمزة

وفي الكوكب الذي رآه قولان

أحدهما أنه الزهرة قاله ابن عباس وقتادة والثاني المشتري قاله مجاهد والسدي

قوله تعالى قال هذا ربي فيه ثلاثة أقوال

(٣/٧٣)

أحدها أنه على ظاهره روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال هذا ربي فعبده حتى غاب وعبد القمر حتى غاب وعبد الشمس حتى غابت واحتج أرباب هذا القول بقوله لئن لم يهدني ربي وهذا يدل على نوع تحيير قالوا وإنما قال هذا في حال طفولته على ما سبق إلى وهمه قبل أن يثبت عنده دليل وهذا القول لا يرتضى والمتأهلون للنبوة محفوظون من مثل هذا على كل حال

فأما قوله لئن لم يهدني ربي فما زال الأنبياء يسألون الهدى ويتضرعون في دفع الضلال عنهم كقوله واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ولأنه قد آتاه رشده من قبل وأراه ملكوت السموات والأرض ليكون موقنا

فكيف لا يعصمه عن مثل هذا التخيير
والثاني أنه قال ذلك استدراجا للحجة ليعيب آلهتهم ويريهم بغضها عند أفولها ولا بد أن يضمر في نفسه إما على زعمكم أو فيما تظنون فيكون كقوله اين شركائي وإما أن يضمر يقولون فيكون كقوله ربنا تقبل منا أي يقولان ذلك ذكر نحو هذا أبو بكر بن الانباري ويكون مراده استدراج الحجة عليهم كما نقل عن بعض الحكماء أنه نزل بقوم يعبدون صنما فأظهر تعظيمه فأكرموه وصدروا عن رأيه فدهمهم عدو فشاورهم ملكهم فقال ندعو إلهنا ليكشف ما بنا فاجتمعوا يدعونه فلم ينفع فقال هاهنا إله ندعوه فيستجيب فدعوا الله فصرف عنهم ما يحذرون وأسلموا
والثالث أنه قال مستفهما تقديره أهذا ربي فأضمرت ألف الاستفهام كقوله أفان مت فهم الخالدون أي أفهم الخالدون قال الشاعر

(٣/٧٤)

كذبتك عينك أم رأيت بواسط ... غلس الظلام من الرباب خيالا ...
أراد أكذبتك قال ابن الأنباري وهذا القول شاذ لأن حرف الاستفهام لا يضمر إذ كان فارقا بين الإخبار والاستخبار وظاهر قوله هذا ربي أنه إشارة إلى الصانع وقال الزجاج كانوا أصحاب نجوم فقال هذا ربي أي هذا الذي يدبرني فاحتج عليهم أن هذا الذي تزعمون أنه مدبر لا نرى فيه إلا أثر مدبر وأفل بمعنى غاب يقال أفل النجم يأفل ويأفل أفولا
قوله تعالى لا أحب الآفلين أي حب رب معبود لأن ما ظهر وأفل كان حادثا مدبرا
فلما رأ القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأ الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون
قوله تعالى فلما رأى القمر قال ابن قتيبة سمي القمر قمرا لبياضه والأقمر الأبيض وليلة قمراء أي مضيئة فأما البازغ فهو الطالع ومعنى لئن لم يهدني لئن لم يثبتني على الهدى فان قيل لم قال في الشمس هذا ولم يقل هذه فعنه أربعة أجوبه
أحدها أنه رأى ضوء الشمس لا عينها قاله محمد بن مقاتل والثاني

(٣/٧٥)

أنه أراد هذا الطالع ربي قاله الأخفش والثالث أن الشمس بمعنى الضياء والنور فحمل الكلام على المعنى والرابع أن الشمس ليس في لفظها علامة من علامات التأنيث وإنما يشبه لفظها لفظ المذكر

فجاز تذكيرها ذكره والذي قبله ابن الانباري

إني وجهت وجهي للذي فكر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين

وحآجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون

قوله تعالى إني وجهت وجهي قال الزجاج جعلت قصدي بعبادتي وتوحيدي لله رب العالمين عز و جل وباقي الآية قد تقدم

وقوله تعالى وحاجه قومه قال ابن عباس جادلوه في آلهتهم وخوفوه بها فقال منكرا عليهم أتحاجوني قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي أتحاجوني و تأمروني بتشديد النون وقرأ نافع وابن عامر بتخفيفها فحذفا النون الثانية لالتقاء النونين ومعنى أتحاجوني في الله أي في توحيده وقد هدان أي بين لي ما به اهتديت وقرأ الكسائي هداني بامالة الدال والإمالة حسنة فيما كان أصله الياء وهذا من هدي يهدي

قوله تعالى ولا أخاف ما تشركون به أي لا أرهب آلهتكم وذلك أنهم قالوا نخاف أن تمسك آلهتنا بسوء فقال لا أخافها لأنها لا تضر ولا تنفع إلا أن يشاء ربي شيئا فله أخاف وسع ربي كل شيء علما أي علمه علما تاما

(٧٦/٣)

وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون

قوله تعالى وكيف أخاف ما أشركتم أي من هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تخافون أنتم أنكم أشركتم بالله الذي خلقكم ورزقكم وهو قادر على ضركم ونفعكم مالم ينزل به عليكم سلطانا أي حجة فأي الفريقين أحق بالأمن أي بأن يأمن العذاب الموحد الذي يعبد من بيده الضر والنفع أم المشرك الذي يعبد مالا يضر ولا ينفع ثم بين الأحق من هو بقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أي يخلطوه بشرك روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن مسعود قال لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله وأينا ذلك فقال إنما هو الشرك ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه إن الشرك لظلم عظيم

وفيمن عني بهذه الآية ثلاثة أقوال

أحدها أنه إبراهيم وأصحابه وليست في هذه الأمة قاله علي بن أبي طالب وقال في رواية أخرى هذه الآية لإبراهيم خاصة ليس لهذه الأمة منها شيء

والثاني أنه من هاجر إلى المدينة قاله عكرمة

والثالث أنها عامة ذكره بعض المفسرين وهل هي من قول ابراهيم لقومه أم جواب من الله تعالى فيه قولان

(٧٧/٣)

وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشآء إن ربك حكيم عليم
قوله تعالى وتلك حجتنا يعني ما جرى بينه وبين قومه من الاستدلال على حدوث الكوكب والقمر والشمس وعيبهم إذ سووا بين الصغير والكبير وعبدوا من لا ينطق وإلزامه إياهم الحجة آتيناها ابراهيم أرشدناه إليها بالإلهام وقال مجاهد الحجة قول ابراهيم فأي الفريقين أحق بالأمن
قوله تعالى نرفع درجات من نشاء قرأ ابن كثير ونافع وابن عمرو وابن عامر درجات من نشاء مضافا وقرأ عاصم وحمزة والكسائي درجات منونا وكذلك قرؤوا في يوسف ثم في المعنى قولان
أحدهما أن الرفع بالعلم والفهم والمعرفة والثاني بالاصطفاء للرسالة
قوله تعالى إن ربك حكيم قال ابن جرير حكيم في سياسة خلقه وتلقينه أنبياءه الحج على أممهم المكذبة عليم بما يؤول إليه أمر الكل
ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم
قوله تعالى ووهبنا له إسحاق ولدا لصلبه ويعقوب ولدا لإسحاق كلا من هولاء المذكورين هدينا أي أرشدنا

(٧٨/٣)

قوله تعالى ومن ذريته في هاء الكناية قولان
أحدهما أنها ترجع إلى نوح رواه أبو صالح عن ابن عباس واختاره الفرا ومقاتل وابن جرير الطبري والثاني إلى إبراهيم قاله عطاء وقال الزجاج كلا القولين جائز لأن ذكرهما جميعا قد جرى واحتج ابن جرير للقول الأول بأن الله تعالى ذكر في سياق الآيات لوطا وليس من ذرية إبراهيم وأجاب عنه أبو سليمان الدمشقي بأنه يحتمل أن يكون أراد ووهبنا له لوطا في المعاضدة والنصرة ثم قوله وكذلك نجزي المحسنين من أبين دليل على انه إبراهيم لأن افتتاح الكلام إنما هو بذكر ما أثاب به إبراهيم فأما يوسف

فهو اسم أعجمي قال الفراء يوسف بضم السين من غير همز لغة أهل الحجاز وبعض بني أسد يقول يؤسف بالهمز وبعض العرب يقول يوسف بكسر السين وبعض بني عقيل يقول يوسف بفتح السين
قوله تعالى وكذلك نجزي المحسنين أي كما جزينا إبراهيم على توحيده وثباته على دينه بأن رفعنا درجته ووهبنا له أولادا أنبياء أتقياء كذلك نجزي المحسنين فأما عيسى وإلياس واليسع ولوطا فأسماء أعجمية وجمهور القراء يقرؤون اليسع بلام واحدة مخففا منهم ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر وقرأ حمزة والكسائي هاهنا وفي صلى الله عليه و سلم إلليسع بلامين مع التشديد قال الفراء وهي أشبه بالصواب وبأسماء الأنبياء من بني إسرائيل ولأن العرب لا تدخل على يفعل إذا كان في معنى فلان ألفا ولاما يقولون

(٧٩/٣)

هذا يسع قد جاء وهذا يعمر وهذا يزيد فهكذا الفصيح من الكلام وأنشدني بعضهم
وجدنا الوليد بن اليزيد مباركا شديدا بأحناء الخلافة كاهله فلما ذكر الوليد بالألف واللام أتبعه يزيد بالألف واللام وكل صواب وقال مكي من قرأه بلام واحدة فالأصل عنده يسع ومن قرأه بلامين فالأصل عنده ليسع فأدخلوا عليه حرف التعريف وباقي أسماء الأنبياء قد تقدم بيانها والمراد بالعالمين عالمو زمانهم
قوله تعالى ومن آبائهم وذرياتهم من هاهنا للتبعيض قال الزجاج المعنى هدينا هؤلاء وهدينا بعض آبائهم وذرياتهم واجتبيناهم مثل اخترناهم واصطفيناهم وهو مأخوذ من جبيت الشيء إذا أخلصته لنفسك وجبيت الماء في الحوض إذا جمعته فيه فأما الصراط المستقيم فهو التوحيد
ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون
قوله تعالى ذلك هدى الله قال ابن عباس ذلك دين الله الذي هم عليه يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا يعني الأنبياء المذكورين لحبط أي لبطل وزال عملهم لأنه لا يقبل عمل مشرك

(٨٠/٣)

أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين
قوله تعالى أولئك الذين آتيناهم الكتاب يعني الكتب التي أنزلها عليهم والحكم الفقه والعلم فان يكفر بها يعني بآياتنا
وفيمن أشير إليه ب هؤلاء ثلاثة أقوال

أحدها أنهم أهل مكة قاله ابن عباس وسعيد بن المسيب وقتادة
والثاني أنهم قريش قاله السدي والثالث أمة النبي صلى الله عليه و سلم قاله الحسن
قوله تعالى فقد وكلنا بها قال أبو عبيدة فقد رزقناها قوما وقال الزجاج وكلنا بالإيمان بها قوما وفي هؤلاء القوم أربعة أقوال
أحدها أنهم أهل المدينة من الأنصار قاله ابن عباس وابن المسيب وقتادة والسدي
والثاني الأنبياء والصالحون قاله الحسن وقال قتادة هم النبيون الثمانية عشر المذكورون في هذا المكان وهذا اختيار الزجاج وابن جرير
والثالث أنهم الملائكة قاله أبو رجاء والرابع أنهم المهاجرون والأنصار
أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسئلكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين
قوله تعالى أولئك الذين هدى الله يعني النبيين المذكورين
وفي قوله تعالى فبهداهم اقتده قولان
أحدهما بشرائعهم وبسننهم فاعمل قاله ابن السائب

والثاني اقتد بهم في صبرهم قاله الزجاج وكان ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعامص يثبتون الهاء من قوله اقتده في الوصل ساكنة وكان حمزة وخلف ويعقوب والكسائي عن أبي بكر واليزيدي في اختياره يحذفون الهاء في الوصل ولا خلاف في إثباتها في الوقف وإسكانها فيه
قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا يعني على القرآن والذكرى العظة والعالمون هاهنا الجن والإنس
وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا انتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره في سبب نزولها سبعة اقوال
أحدها أن مالك بن الصيف رأس اليهود أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم ذات يوم فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أتجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال فأنت الحبر السمين فغضب ثم قال ما أنزل الله على بشر من شيء فنزلت هذه الآية رواه أبو صالح عن ابن عباس وكذلك قال سعيد بن جبير وعكرمة نزلت في مالك بن الصيف
والثاني أن اليهود قالوا يا محمد أنزل الله عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما أنزل الله من السماء كتابا فنزلت هذه الآية رواه الوالبي عن ابن عباس

والثالث أن اليهود قالوا يا محمد إن موسى جاء بألواح يحملها من عند الله فائتنا بآية كما جاء موسى فنزل يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا

(٨٢/٣)

من السماء إلى قوله عظيما فلما حدثهم بأعمالهم الخبيثة قالوا والله ما أنزل الله عليك ولا على موسى وعيسى ولا على بشر من شيء فنزلت هذه الآية قاله محمد بن كعب

والرابع أنها نزلت في اليهود والنصارى آتاهم الله علما فلم ينتفعوا به قاله قتادة

والخامس أنها نزلت في فنحاص اليهودي وهو الذي قال ما أنزل الله على بشر من شيء قاله السدي

والسادس أنها نزلت في مشركي قريش قالوا والله ما أنزل الله على بشر من شيء رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد

والسابع أن أولها إلى قوله من شيء في مشركي قريش وقوله من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى في اليهود رواه ابن كثير عن مجاهد وفي معنى وما قدروا الله حق قدره ثلاثة أقوال

أحدها ما عظموا الله حق عظمته قاله ابن عباس والحسن والفراء وثعلب والزجاج

والثاني ما وصفه حق وصفته قاله أبو العالية واختاره الخليل

والثالث ما عرفوه حق معرفته قاله أبو عبيدة

(٨٣/٣)

قوله تعالى يجعلونه قراطيس معناه يكتبونه في قراطيس وقيل إنما قال قراطيس لأنهم كانوا يكتبونه في قراطيس مقطعة حتى لا تكون مجموعة ليخفوا منها ما شاؤوا

قوله تعالى يبدونها قرأ ابن كثير وأبو عمرو يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون بالياء فيهن وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء فيهن فمن قرأ بالياء فلأن القوم غيب بدليل قوله وما قدروا الله حق قدره ومن قرأ بالتاء فعلى الخطاب والمعنى تبدون منها ما تحبون وتخفون كثيرا مثل صفة محمد صلى الله عليه و سلم وآية الرجم ونحو ذلك مما كتموه

قوله تعالى وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم في المخاطب بهذا قولان

أحدهما أنهم اليهود قاله الجمهور

والثاني أنه خطاب للمسلمين قاله مجاهد فعلى الأول علموا ما في التوراة وعلى الثاني علموا على لسان محمد صلى الله عليه و سلم

قوله تعالى قل الله هذا جواب لقوله من أنزل الكتاب وتقديره فإن أجابوك وإلا فقل الله أنزله
قوله تعالى ثم ذرهم تهديد وخوضهم باطلهم وقيل إن هذا أمر بالإعراض عنهم ثم نسخ بآية السيف
قوله تعالى وهذا كتاب أنزلناه يعني القرآن قال الزجاج والمبارك الذي يأتي من قبله الخير الكثير والمعنى أنزلناه للبركة والإنذار
وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون

(٨٤/٣)

قوله تعالى مصدق الذي بين يديه من الكتب
قوله تعالى ولتنذر أم القرى قرأ عاصم إلا حفصا ولينذر بالياء فيكون الكتاب هو المنذر وقرأ الباقون بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه و سلم فأما أم القرى فهي مكة قال الزجاج والمعنى لتنذر أهل أم القرى
وفي تسميتها بأم القرى أربعة أقوال
أحدها أنها سميت بذلك لأن الأرض دحيت من تحتها قاله ابن عباس
والثاني لأنها أقدمها قاله ابن قتيبة والثالث لأنها قبلة جميع الناس يؤمونها والرابع لأنها كانت أعظم القرى شأنا ذكرهما الزجاج
قوله تعالى ومن حولها قال ابن عباس يريد الأرض كلها
قوله تعالى والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به في هاء الكناية قولان أحدهما أنها ترجع إلى القرآن والثاني إلى النبي محمد صلى الله عليه و سلم والمعنى من آمن بالآخرة آمن به ومن لم يؤمن به فليس إيمانه بالآخرة حقيقة ولا يعتد به ألا ترى إلى قوله وهم على صلاتهم يحافظون فدل على أنه أراد المؤمنين الذين يحافظون على الصلوات
ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجوزن عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون
قوله تعالى ون أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال

(٨٥/٣)

أحدها أن أولها إلى قوله ولم يوح إليه شيء نزل في مسيلمة الكذاب
وقوله تعالى ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله نزل في عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان قد تكلم بالإسلام وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه و سلم في بعض الأحايين فاذا أملي عليه عزيز حكيم كتب غفور رحيم فيقول لرسول الله صلى الله عليه و سلم هذا وذاك سواء فلما نزلت ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين أملاها عليه فلما انتهى إلى قوله خلقا آخر عجب عبد الله بن سعد فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم كذا أنزلت علي فاكتبها فشك حينئذ وقال لئن كان محمد صادقا لقد أوحي إلي كما أوحي إليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال رواه أبو صالح عن ابن عباس قال عكرمة ثم رجع إلى الإسلام قبل فتح مكة
والقول الثاني أن جميع الآية في عبد الله بن سعد قاله السدي
والثالث أنها نزلت في مسيلمة والأسود العنسي قاله قتادة فان قيل كيف أفرد قوله أو قال أوحي إلي من قوله ومن أظلم ممن افترى وذاك مفتر أيضا فعنه جوابان
أحدهما أن الوصفين لرجل واحد وصف بأمر بعد أمر ليدل على جرأته
والثاني أنه خص بقوله أو قال أوحي إلي بعد أن عم بقوله افترى على الله لأنه ليس كل مفتر على الله يدعي أنه يوحي إليه ذكرهما ابن الأنباري
قوله تعالى سأنزل مثل ما أنزل الله أي سأقول قال ابن عباس يعنون الشعر وهم المستهزؤون وقيل هو قول عبد الله بن سعد بن أبي سرح قال الزجاج وهذا جواب لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا

قوله تعالى ولو ترى إذ الظالمون فيهم ثلاثة أقوال
أحدها أنهم قوم كانوا مسلمين بمكة فأخرجهم الكفار معهم إلى قتال بدر فلما أبصروا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم رجعوا عن الإيمان فنزل فيهم هذا قاله أبو صالح عن ابن عباس
والثاني أنهم الذين قالوا ما أنزل على بشر من شيء قاله أبو سليمان
والثالث الموصوفون في هذه الآية وهم المفترون والمدعون الوحي إليهم ومماثلة كلام الله قال الزجاج وجواب لو محذوف والمعنى لو تراهم في غمرات الموت لرأيت عذابا عظيما ويقال لكل من كان في شيء كبير قد غمر فلانا ذلك قال ابن عباس غمرات الموت سكراته قاله ابن الانباري قال اللغويون سميت غمرات لأن أهوالها يغمرن من يقعن به
قوله تعالى والملائكة باسطو أيديهم فيه ثلاثة أقوال
أحدها بالضرب قاله ابن عباس والثاني بالعذاب قاله الحسن والضحاك والثالث باسطوها لقبض الأرواح

من الأجساد قاله الفراء وفي الوقت الذي يكون هذا فيه ثلاثة أقوال
أحدها عند الموت قال ابن عباس هذا عند الموت الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وملك الموت يتوفاهم
والثاني يوم القيامة رواه أبو صالح عن ابن عباس
والثالث في النار قاله الحسن
قوله تعالى أخرجوا أنفسكم فيه إضمار يقولون وفي معناه قولان
أحدهما استسلموا لإخراج أنفسكم

(٨٧/٣)

والثاني أخرجوا أنفسكم من العذاب إن قدرتم
قوله تعالى تجزون عذاب الهون قال أبو عبيدة الهون مضمون وهو الهوان وإذا فتحوا أوله فهو الرفق والدعة قال الزجاج والمعنى تجزون العذاب الذي يقعد به الهوان الشديد
ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركأ لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون
قوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى سبب نزولها أن النضر بن الحارث قال سوف تشفع لي اللات والعزى فنزلت هذه الآية قاله عكرمة ومعنى فرادى وحدانا وهذا إخبار من الله تعالى بما يوبخ به المشركين يوم القيامة قال أبو عبيدة فرادى أي فرد فرد وقال ابن قتيبة فرادى جمع فرد
وللمفسرين في معنى فرادى خمسة اقوال متقاربة المعنى
أحدها فرادى من الأهل والمال والولد قاله ابن عباس والثاني كل واحد على حدة قاله الحسن والثالث ليس معكم من الدنيا شيء قاله مقاتل والرابع كل واحد منفرد عن شريكه في الغي وشقيقه قاله الزجاج والخامس فرادى من المعبودين قاله ابن كيسان
قوله تعالى كما خلقناكم أول مرة فيه ثلاثة اقوال
أحدها لا مال ولا أهل ولا ولد والثاني حفاة عراة غرلا والغرل القلف والثالث أحياء وخولناكم بمعنى ملكناكم وراء ظهوركم أي

(٨٨/٣)

في الدنيا والمعنى أن ما دأبتم في تحصيله في الدنيا فني وبقي الندم على سوء الاختيار وفي شفعائهم قولان

أحدهما أنها الأصنام قال ابن عباس شفعاؤكم أي آلهتكم الذين زعمتم أنهم يشفعون لكم و زعمتم أنهم فيكم أي عندكم شركاء وقال ابن قتيبة زعمتم أنهم لي في خلقكم شركاء

والثاني أنها الملائكة كانوا يعتقدون شفاعتها قاله مقاتل

قوله تعالى لقد تقطع بينكم قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة وأبو بكر عن عاصم بالرفع والكسائي وحفص عن عاصم بنصب النون على الظرف قال الزجاج الرفع أجود ومعناه لقد تقطع وصلكم والنصب جائز ومعناه لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم وقال ابن الانباري التقدير لقد تقطع ما بينكم فحذف ما لوضوح معناها قال أبو علي الذين رفعوه جعلوه اسما فأسندوا الفعل الذي هو تقطع إليه والمعنى لقد تقطع وصلكم والذين نصبوا أضمروا اسم الفاعل في الفعل والمضمر هو الوصل فالتقدير لقد تقطع وصلكم بينكم وفي الذي كانوا يزعمون قولان

أحدهما شفاعة آلهتهم والثاني عدم البعث والجزاء

إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون

قوله تعالى إن الله فالق الحب والنوى في معنى الفلق قولان

أحدهما أنه بمعنى الخلق فالمعنى خالق الحب والنوى رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال الضحاك ومقاتل

والثاني أن الفلق بمعنى الشق ثم في معنى الكلام قولان

أحدهما أنه فلق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس وبه قال الحسن والسدي وابن زيد

والثاني أنه الشقان اللذان في الحب والنوى قاله مجاهد وأبو مالك قال ابن السائب الحب ما لم يكن له نوى كالبر والشعير والنوى مثل نوى التمر

قوله تعالى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي قد سبق تفسير في ال عمران

قوله تعالى فأنى تؤفكون أي كيف تصرفون عن الحق بعد هذا البيان

فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم

قوله تعالى فالق الإصباح في معنى الفلق قولان قد سبقا فأما الإصباح فقال الأخفش هو مصدر من أصبح وقال الزجاج الإصباح والصبح واحد

وللمفسرين في الإصباح ثلاثة أقوال
أحدها أنه ضوء الشمس بالنهار وضوء القمر بالليل رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس
والثاني أنه إضاءة الفجر قاله مجاهد وقال ابن زيد فلق الإصباح من الليل
والثالث أنه نور النهار قاله الضحاك وقرأ أنس بن ماله والحسن وأبو مجلز وأيوب والجحدري فالق الأصباح بفتح الهمزة قال أبو عبيد ومعناه جمع صبح

(٩٠/٣)

قوله تعالى وجاعل الليل سكنا قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر جاعل بألف وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وجعل بغير ألف الليل نصبا قال أبو علي من قرأ جاعل فلأجل فالق وهم يراعون المشاكلة ومن قرأ جعل فلأن فاعلا هاهنا بمعنى فعل بدليل قوله والشمس والقمر حسبانا فأما السكن فهو ما سكنت إليه والمعنى أن الناس يسكنون فيه سكون راحة وفي الحسبان قولان
أحدهما أنه الحساب قاله الجمهور قال ابن قتيبة يقال خذ من كل شيء بحسبانه أي بحسابه وفي المراد بهذا الحساب ثلاثة أقوال أحدها أنهما يجريان إلى أجل جعل لهما رواه العوفي عن ابن عباس والثاني يجريان في منازلهما بحساب ويرجعان إلى زيادة ونقصان قاله السدي والثالث أن جريانهما سبب لمعرفة حساب الشهور والأعوام قاله مقاتل
والقول الثاني أن معنى الحسبان الضياء قاله قتادة قال الماوردي كأنه أخذه من قوله تعالى ويرسل عليها حسبانا من السماء أي نارا قال ابن جرير وليس هذا من ذاك في شيء
وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون
قوله تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم جعل بمعنى خلق وإنما امتن عليهم بالنجوم لأن سالكي القفاء وراكبي البحار إنما يهتدون في الليل لمقاصدهم بها
وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون

(٩١/٣)

قوله تعالى وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة يعني آدم فمستقر قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب إلا رويسا بكسر القاف وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بفتحها قال الزجاج من كسر فالمعنى فمنكم مستقر ومن نصب فالمعنى فلكم مستقر فأما مستودع فبالفتح لا غير ومعناه على فتح القاف ولكم مستودع وعلى كسر القاف منكم مستودع وللمفسرين في هذا المستقر والمستودع تسعة أقوال

أحدها فمستقر في الأرحام ومستودع في الأصلاب رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء والضحاك والنخعي وقتادة والسدي وابن زيد

والثاني المستقر في الأرحام والمستودع في القبر قاله ابن مسعود

والثالث المستقر في الأرض والمستودع في الأصلاب رواه ابن جبير عن ابن عباس

والرابع المستقر والمستودع في الرحم رواه قابوس عن أبيه عن ابن عباس

والخامس المستقر حيث يأوي والمستودع حيث يموت رواه مقسم عن ابن عباس

والسادس المستقر في الدنيا والمستودع في القبر

والسابع المستقر في القبر والمستودع في الدنيا وهو عكس الذي قبله رويا عن الحسن

والثامن المستقر في الدنيا والمستودع عند الله تعالى قاله مجاهد

والتاسع المستقر في الأصلاب والمستودع في الأرحام قاله ابن بحر وهو عكس الأول

(٩٢/٣)

وهو الذي أنزل من السماء مآء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه أنظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون

قوله تعالى وهو الذي أنزل من السماء ماء يعني المطر فأخرجنا به أي بالمطر وفي قوله تعالى نبات كل شيء قولان

أحدهما نبات كل شيء من الثمار لأن كل ما ينبت فنباته بالماء

والثاني رزق كل شيء غذاؤه وفي قوله تعالى فأخرجنا منه قولان أحدهما من الماء أي به

والثاني من النبات قال الزجاج الخضر بمعنى الأخضر يقال أخضر فهو أخضر وخضر مثل أعور فهو أعور وعور

قوله تعالى نخرج منه أي من الخضر حبا متراكما كالسنبل والشعير والمتراكب الذي بعضه فوق بعض قوله تعالى ومن النخل من طلعها قنوان دانية وروى الخفاف عن أبي عمرو قنوان بضم القاف وروى هارون عنه بفتحها قال الفراء معناه ومن النخل ما قنوانه دانية وأهل الحجاز يقولون قنوان بكسر القاف وقيس يضمونها وضبة وتميم يقولون قنيان وأنشدني المفضل عنهم ... فأثت أعاليه وآدت أصوله ... ومال بقنيان من البسر أحمرا

(٩٣/٣)

ويجتمعون جميعا فيقولون قنو وقنو ولا يقولون قني ولا قني وكلب يقولون ومال بقنيان قال المصنف والبيت لامرئ القيس ورواه أبو سعيد السكري ومال بقنوان مكسورة القاف مع الواو ففيه أربع لغات قنوان وقنوان وقنيان وقنيان وأثت كثرت ومنه شعر أثيت وآدت اشتدت وقال ابن قتيبة القنوان عذوق النخل واحدها قنو جمع على لفظ تثنية ومثله صنو وصنوان في التثنية وصنوان في الجمع وقال الزجاج قنوان جمع قنو وإذا ثنيته فهما قنوان بكسر النون ودانية أي قريبة المتناول ولم يقل ومنها قنوان بعيدة لأن في الكلام دليلا أن البعيدة السحيقة قد كانت غير سحيقة فاجتزئ بذكر القريبة عن ذكر البعيدة كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وقال ابن عباس القنوان الدانية قصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض قوله تعالى وجنات من أعناب قال الزجاج هو نسق على قوله خضرا والزيتون والرمان المعنى وأخرجنا منه شجر الزيتون والرمان وقد روى أبو زيد عن المفضل وجنات بالرفع

قوله تعالى مشتبها وغير متشابه فيه ثلاثة أقوال

أحدها مشتبها في المنظر وغير متشابه في الطعم رواه أبو صالح عن ابن عباس

والثاني مشتبها ورقه مختلفا ثمره قاله قتادة وهو في معنى الأول

والثالث منه ما يشبه بعضه بعضا ومنه ما يخالف قال الزجاج وإنما قرن الزيتون بالرمان لأنهما شجرتان تعرف العرب أن ورقهما يشتمل على الغصن من أوله إلى آخره قال الشاعر

(٣/٩٤)

بورك الميت الغريب كما بورك نضح الرمان والزيتون ...

ومعناه أن البركة في ورقه اشتماله على عوده كله

قوله تعالى انظروا إلى ثمرة قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم انظروا إلى ثمره و كلوا من ثمره و ليأكلوا من ثمره بالفتح في ذلك وقرأ حمزة والكسائي وخلف بالضم فيهن قال الزجاج يقال ثمرة وثمر وثمار وثمر فمن قرأ إلى ثمره بالضم أراد جمع الجمع وقال أبو علي يحتمل وجهين أحدهما هذا وهو أن يكون الثمر جمع ثمار

والثاني أن تكون الثمر جمع ثمرة وكذلك أكمة وأكم وخشبة وخشب قال الفراء يقول انظروا إليه أول ما يعقد وانظروا إلى ينعه وهو نضجه وبلوغه وأهل الحجاز يقولون ينع بفتح الياء وبعض أهل نجد يضمونها قال ابن قتيبة يقال ينعت الثمرة وأينعت إذا أدركت وهو الينع والينع وقرأ الحسن ومجاهد وقتادة والأعمش وابن محيصن وينعه بضم الياء قال الزجاج الينع النضج قال الشاعر ... في قباب حول دسكرة ... حولها الزيتون قد ينعا ...

وبين الله تعالى لهم بتصريف ما خلق ونقله من حال إلى حال لا يقدر عليه الخلق أنه كذلك يبعثهم

(٩٥/٣)

قوله تعالى إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون قال ابن عباس يصدقون أن لذي أخرج هذا النبات قادر على أن يحيي الموتى وقال مقاتل يصدقون بالتوحيد

وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون

قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن جعلوا بمعنى وصفوا قال الزجاج نصب الجن من وجهين

أحدهما أن يكون مفعولا فيكون المعنى وجعلوا لله الجن شركاء ويكون الجن مفعولا ثانيا كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا

والثاني أن يكون الجن بدلا من شركاء ومفسرا للشركاء وقرأ ابو المتوكل وأبو عمران وأبو حيوة والجحدري شركاء الجن برفع النون وقرأ ابن أبي عبلة ومعاذ القارئ الجن بخفض النون

وفي معنى جعلهم الجن شركاء ثلاثة أقوال

أحدها أنهم أطاعوا الشياطين في عبادة الأوثان فجعلوهم شركاء لله قاله الحسن والزجاج

والثاني قالوا إن الملائكة بنات الله فهم شركاؤه كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا فسمى الملائكة جنا لاجتنانهم قاله قتادة والسدي وابن زيد

والثالث أن الزنادقة قالوا الله خالق النور والماء والدواب والأنعام وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب وفيهم نزلت هذه الآية قاله ابن السائب

(٩٦/٣)

قوله تعالى وخلقهم في الكناية قولان

أحدهما أنها ترجع إلى الجاعلين له الشركاء فيكون المعنى وجعلوا للذي خلقهم شركاء لا يخلقون

والثاني أنها ترجع إلى الجن فيكون المعنى والله خلق الجن فكيف يكون الشريك لله محدثا ذكرهما الزجاج

قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات وقرأ نافع وخرقوا بالتشديد للمبالغة والتكثير لأن المشركين ادعوا الملائكة بنات الله والنصارى المسيح واليهود عزيرا وقرأ ابن عباس وأبو رجاء وأبو الجوزاء وحرفوا بحاء غير معجمة وبتشديد الراء وبالفاء وقرأ ابن السميفع والجحدري خارقوا بألف وخاء معجمة قال السدي أما البنون فقول اليهود عزير ابن الله وقول النصارى المسيح ابن الله وأما البنات فقول مشركي العرب الملائكة بنات الله قال الفراء خرقوا واخترقوا وخلقوا واختلقوا بمعنى افتروا وقال أبو عبيدة خرقوا جعلوا قال الزجاج ومعنى بغير علم أنهم لم يذكروه من علم إنما ذكروه تكذبا

بديع السموات والأرض أني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم
ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل
قوله تعالى أنى يكون له ولد قال الزجاج أي من أين يكون له ولد

(٩٧/٣)

والولد لا يكون إلا من صاحبة واحتج عليهم في نفي الولد بقوله وخلق كل شيء فليس مثل خالق
الأشياء فكيف يكون الولد لمن لا مثل له فاذا نسب إليه الولد فقد جعل له مثل
لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير
قوله تعالى لا تدركه الأبصار في الإدراك قولان
أحدهما أنه بمعنى الإحاطة والثاني بمعنى الرؤية وفي الأبصار قولان أحدهما أنها العيون قاله الجمهور
والثاني أنها العقول رواه عبد الرحمن ابن مهدي عن أبي حصين القارئ ففي معنى الآية ثلاثة أقوال
أحدها لا تحيط به الأبصار رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال سعيد ابن المسيب وعطاء وقال الزجاج
معنى الآية الإحاطة بحقيقته وليس فيها دفع للرؤية لما صح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم من
الرؤية وهذا مذهب أهل السنة والعلم والحديث
والثاني لا تدركه الأبصار إذا تجلى بنوره الذي هو نوره رواه عكرمة عن ابن عباس
والثالث لا تدركه الأبصار في الدنيا رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال الحسن ومقاتل ويدل على أن
الآية مخصوصة بالدنيا قوله وجوه

(٩٨/٣)

يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة فقيد النظر إليه بالقيامة وأطلق في هذه الآية والمطلق يحمل على المقيد
وقوله تعالى وهو يدرك الأبصار فيه القولان قال الزجاج وفي هذا الإعلام دليل على أن خلقه لا يدركون
الأبصار أي لا يعرفون حقيقة البصر وما الشيء الذي صار به الإنسان يبصر من عينيه دون أن يبصر من
غيرهما من أعضائه فأعلم الله أن خلقا من خلقه لا يدرك المخلوقون كنهه ولا يحيطون بعلمه فكيف به
عز و جل فأما اللطيف فقال أبو سليمان الخطابي هو البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون
ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون قال ابن الاعرابي اللطيف الذي يوصل إليك أربك في
رفق ومنه قولهم لطف الله بك ويقال هو الذي لطف عن أن يدرك بالكيفية وقد يكون اللطف بمعنى
الدقة والغموض ويكون بمعنى الصغر في نعوت الأجسام وذلك مما لا يليق بصفات الباري سبحانه

وقال الأزهري اللطيف من أسماء الله معناه الرفيق بعباده والخبير العالم بكنه الشيء المطلع على حقيقته
قد جآءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ
قوله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي الدلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم به قال الزجاج والمعنى قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان والبصائر فمن أبصر فلنفسه نفع ذلك ومن عمي فعلى نفسه ضرر ذلك لأن الله عز و جل غني عن خلقه وما أنا عليكم بحفيظ أي لست آخذكم بالإيمان أخذ الحفيظ والوكيل وهذا قبل الأمر بالقتال

(٩٩/٣)

فصل
وذكر المفسرون أن هذه الآية نسخت بآية السيف وقال بعضهم معناها لست رقيبا عليكم أحصي أعمالكم فعلى هذا لا وجه للنسخ
وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون
قوله تعالى وكذلك نصرف الآيات قال الأخفش وكذلك معناها وهكذا وقال الزجاج المعنى ومثل ما بينا فيما تلي عليك نبين الآيات قال ابن عباس نصرف الآيات أي نبينها في كل وجه ندعوهم بها مرة ونخوفهم بها أخرى وليقولوا يعني أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن دارست قال ابن الانباري معنى الآية وكذلك نصرف الآيات لنلزمهم الحجة وليقولوا دارست وإنما صرف الآيات ليسعد قوم بفهمها والعمل بها ويشقى آخرون بالإعراض عنها فمن عمل بها سعد ومن قال دارست شقي قال الزجاج وهذه اللام في ليقولوا يسميها أهل اللغة لام الصيرورة والمعنى أن السبب الذي أداهم إلى أن قالوا دارست هو تلاوة الآيات وهذا كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لم يطلبوا بأخذه أن يعاديهم ولكن كان عاقبة الأمر أن صار لهم عدوا وحزنا ومثله أن تقول كتب فلان الكتاب لحتفه فهو لم يقصد أن يهلك نفسه بالكتاب ولكن العاقبة كانت الهلاك
فأما دارست فقرأ ابن كثير وأبو عمرو دارست بالألف وسكون السين وفتح التاء ومعناها ذاكرت أهل الكتاب وقرأ عاصم وحمزة والكسائي

(١٠٠/٣)

درست بسكون وفتح التاء من غير ألف على معنى قرأت كتب أهل الكتاب قال المفسرون معناها تعلمت من جبر ويسار وسنبين هذا في قوله إنما يعلمه بشر إن شاء الله وقرأ ابن عامر ويعقوب درست

بفتح الراء والسين وسكون التاء من غير ألف والمعنى هذه الأخبار التي تتلوها علينا قديمة قد درست أي قد مضت وامحت وجميع من ذكرنا فتح الدال في قراءته وقد روي عن نافع أنه قال درست برفع الدال وكسر الراء وتخفيف التاء وهي فراءة ابن يعمر ومعناها قرئت وقرأ أبي بن كعب درست بفتح الدال والسين وضم الراء وتسكين التاء قال الزجاج وهي بمعنى درست أي امحت إلا أن المضمومة الراء أشد مبالغة وقرأ معاذ القارئ وأبو العالية وورق درست برفع الدال وكسر الراء وتشديدها ساكنة السين وقرأ ابن مسعود وطلحة بن مصرف درس بفتح الراء والسين بلا ألف ولا تاء وروى عصمة عن الأعمش دارس بألف

قوله تعالى ولنبينه يعني التصريف لقوم يعلمون ما تبين لهم من الحق فقبلوه

إتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين ولو شآء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل

قوله تعالى وأعرض عن المشركين قال المفسرون نسخ بآية السيف

قوله تعالى ولو شاء الله ما أشركوا فيه ثلاثة اقوال حكاها الزجاج

أحدها لو شاء لجعلهم مؤمنين والثاني لو شاء لأنزل آية تضطرهم إلى الإيمان والثالث لو شاء لاستأصلهم فقطع سبب شركهم قال ابن عباس وباقي الآية نسخ بآية السيف

ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمه عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون

قوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله في سبب نزولها قولان

أحدهما أنه لما قال للمشركين إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قالوا لتنتهين يا محمد عن سب آلهتنا وعيبها أو لنهجون إلهك الذي تعبده فنزلت هذه الآية رواه أبو صالح عن ابن عباس

والثاني أن المسلمين كانوا يسبون أوثان الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله تعالى أن يستسبوا لربهم قوما جهلة لا علم لهم بالله قاله قتادة ومعنى يدعون يعبدون وهي الأصنام فيسبوا الله أي فيسبوا من أمركم بعيبها فيعود ذلك إلى الله تعالى لا أنهم كانوا يصرحون بسبب الله تعالى لأنهم كانوا يقرون أنه خالقهم وإن أشركوا به

وقوله تعالى عدوا بغير علم أي ظلما بالجهل وقرأ يعقوب

عدوا بضم العين والدال وتشديد الواو والعرب تقول في الظلم عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعدا أي ظلم

قوله تعالى كذلك زينا لكل أمة عملهم أي كما زينا لهؤلاء المشركين عبادة الأصنام وطاعة الشيطان كذلك زينا لكل جماعة اجتمعت على حق أو باطل عملهم من خير أو شر قال المفسرون وهذه الآية نسخت بتنبيه الخطاب في آية السيف

وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون

قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم في سبب نزولها قولان

أحدهما أنه لما نزل في الشعراء إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية قال المشركون أنزلها علينا حتى والله نؤمن بها فقال المسلمون يا رسول الله أنزلها عليهم لكي يؤمنوا فنزلت هذه الآية رواه أبو صالح عن ابن عباس

والثاني أن قريشا قالوا يا محمد تخبرنا أن موسى كان معه عصى يضرب بها الحجر فينفجر منها اثنتا عشرة عينا وأن عيسى كان يحيي الموتى وأن ثمود كانت لهم ناقة فائتنا بمثل هذه الآيات حتى نصدقك فقال أي شيء تحبون قالوا أن تجعل لنا الصفا ذهبا قال فان فعلت تصدقوني فقالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين فقام رسول الله صلى الله عليه و سلم يدعو فجاءه جبريل فقال إن شئت أصبح الصفا ذهبا ولكني لم أرسل آية فلم يصدق بها إلا أنزلت العذاب وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم اتركهم حتى يتوب تائبهم فنزلت هذه الآية إلى قوله يجهلون هذا قول

محمد بن كعب القرظي وقد ذكرنا معنى جهد أيمانهم في المائدة وإنما حلفوا على ما اقترحوا من الآيات كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا

قوله تعالى قل إنما الآيات عند الله أي هو القادر على الإتيان بها دوني ودون أحد من خلقه وما يشعركم أنها أي يدريكم أنها قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وخلف في اختياره بكسر الألف فعلى هذه القراءة يكون الخطاب بقوله يشعركم للمشركين ويكون تمام الكلام عند قوله وما يشعركم ويكون المعنى وما يدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءت وتكون إنها مكسورة على الاستئناف والإخبار عن حالهم وقال أبو علي التقدير وما يشعركم إيمانهم فحذف المفعول والمعنى لو جاءت الآية التي اقترحوها لم يؤمنوا فعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين قال سيبويه سألت الخليل عن قوله وما يشعركم إنها فقلت ما منعها أن تكون كقولك ما يدريك أنه لا يفعل فقال لا يحسن ذلك في هذا الموضع إنما قال وما

يشعركم ثم ابتدأ فأوجب فقال إنها إذا جاءت لا يؤمنون ولو قال وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون كان ذلك عذرا لهم وقرأ نافع وحفص عن عاصم وحمزة والكسائي أنها بفتح الألف فعلى هذا المخاطب بقوله وما يشعركم رسول الله صلى الله عليه و سلم وأصحابه ثم في معنى الكلام قولان أحدهما وما يدريكم لعلها إذا جاءت لا يؤمنون وفي قراءة أبي لعلها إذا

(١٠٤/٣)

جاءت لا يؤمنون والعرب تجعل أن بمعنى لعل يقولون ائت السوق أنك تشتري لنا شيئا أي لعلك قال عدي بن زيد ... أعاذل ما يدريك أن منيتي ... إلى ساعة في اليوم أو في ضحى غد ... أي لعل منيتي وإلى هذا المعنى ذهب الخليل وسيبويه والفراء في توجيه هذه القراءة

والثاني أن المعنى وما يدريكم أنها إذا جاءت يؤمنون وتكون لا صلة كقوله تعالى ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك وقوله تعالى وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون ذكره الفراء ورده الزجاج واختار الأول والأكثرون على قراءة يؤمنون بالياء منهم ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي وحفص عن عاصم وقرأ ابن عامر وحمزة بالتاء على الخطاب للمشركين قال أبو علي من قرأ بالياء فلأن الذين أقسموا غيب ومن قرأ بالتاء فهو انصراف من الغيبة إلى الخطاب

ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون

قوله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم التقليب تحويل الشيء عن وجهه وفي معنى الكلام أربعة أقوال أحدها لو أتيناهم بآية كما سألوا لقلبنا أفئدتهم وأبصارهم عن الإيمان بها

(١٠٥/٣)

وحلنا بينهم وبين الهدى فلم يؤمنوا كما لم يؤمنوا بما رأوا قبلها عقوبة لهم على ذلك وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس ومجاهد وابن زيد

والثاني أنه جواب لسؤالهم في الآخرة الرجوع إلى الدنيا فالمعنى لو ردوا لحلنا بينهم وبين الهدى كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا روى هذا المعنى ابن أبي طلحة عن ابن عباس

والثالث ونقلب أفئدة هؤلاء وأبصارهم عن الإيمان بالآيات كما لم يؤمن أوائلهم من الأمم الخالية بما رأوا من الآيات قاله مقاتل

والرابع أن ذلك التقليب في النار عقوبة لهم ذكره الماوردي وفي هاء به أربعة أقوال أحدها أنها كناية عن القرآن والثاني عن النبي صلى الله عليه و سلم والثالث عما ظهر من الآيات والرابع عن التقليب وفي

المراد بأول مرة ثلاثة أقوال أحدها أن المرة الأولى دار الدنيا والثاني أنها معجزات الأنبياء قبل محمد صلى الله عليهم وسلم والثالث أنها صرف قلوبهم عن الإيمان قبل نزول الآيات أن لو نزلت والطغيان والعمه مذكوران في سورة البقرة

ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون

قوله تعالى ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة سبب نزولها أن المستهزئين أتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم في رهط من أهل مكة فقالوا له ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم أحق ما تقول أم باطل أو أرنا الملائكة يشهدون لك أنك رسول الله أو ائتنا بالله والملائكة قبيلا فنزلت هذه الآية رواه أبو صالح عن ابن عباس ومعنى الآية ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة كما سألوا وكلمهم

(١٠٦/٣)

الموتى فشهدوا لك بالنبوة وحشرنا أي جمعنا عليهم كل شيء في الدنيا قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله فأخبر أن وقوع الإيمان بمشيئته لا كما ظنوا أنهم متى شاؤوا آمنوا ومتى شاؤوا لم يؤمنوا فأما قوله قبلا فقرأ ابن عامر ونافع بكسر القاف وفتح الباء قال ابن قتيبة معناها معاينة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي قبلا بضم القاف والباء وفي معناها ثلاثة أقوال

أحدها أنه جمع قبيل وهو الصنف فالمعنى وحشرنا عليهم كل شيء قبيلا قبيلا قاله مجاهد واختاره أبو عبيدة وابن قتيبة

والثاني أنه جمع قبيل أيضا إلا أنه الكفيل فالمعنى وحشرنا عليهم كل شيء فكفل بصحة ما تقول اختاره الفراء وعليه اعتراض وهو أن يقال إذا لم يؤمنوا بانزال الملائكة وتكليم الموتى فلأن لا يؤمنوا بالكفالة التي هي قول أولى فالجواب أنه لو كفلت الأشياء المحشورة فنطق ما لم ينطق كان ذلك آية بينة

والثالث أنه بمعنى المقابل فيكون المعنى وحشرنا عليهم كل شيء فقابلهم قاله ابن زيد قال أبو زيد يقال لقيت فلانا قبلا وقبلا وقبيلا وقبليا ومقابلة وكله واحد وهو للمواجهة قال أبو علي فالمعنى في القرآن على ما قاله أبو زيد واحد وإن اختلفت الألفاظ

قوله تعالى ولكن أكثرهم يجهلون فيه قولان

أحدهما يجهلون أن الاشياء لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى

والثاني أنهم يجهلون أنهم لو أوتوا بكل آية ما آمنوا

(١٠٧/٣)

وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون

قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا أي وكما جعلنا لك ولأمتك شياطين الإنس والجن أعداء كذلك جعلنا لمن تقدمك من الأنبياء وأممهم والمعنى كما ابتليناك بالأعداء ابتلينا من قبلك ليعظم الثواب عند الصبر على الأذى قال الزجاج وعدو في معنى أعداء وشياطين الإنس والجن منصوب على البدل من عدو ومفسر له ويجوز أن يكون عدوا منصوب على أنه مفعول ثان المعنى وكذلك جعلنا شياطين الإنس والجن أعداء لأممهم وفي شياطين الإنس والجن ثلاثة أقوال

أحدها أنهم مردة الإنس والجن قاله الحسن وقتادة والثاني أن شياطين الإنس الذين مع الإنس وشياطين الجن الذين مع الجن قاله عكرمة والسدي والثالث أن شياطين الإنس والجن كفارهم قاله مجاهد

قوله تعالى يوحي أصل الوحي الإعلام والدلالة بستر وإخفاء

وفي المراد به هاهنا ثلاثة أقوال

أحدها أن معناه يأمر والثاني يوسوس والثالث يشير

وأما زخرف القول فهو ما زين منه وحسن وموه وأصل الزخرف الذهب قال أبو عبيدة كل شيء حسسته وزينته وهو باطل فهو زخرف وقال الزجاج الزخرف في اللغة الزينة فالمعنى أن بعضهم يزين لبعض الأعمال القبيحة وغرورا منصوب على المصدر وهذا المصدر

(١٠٨/٣)

محمول على المعنى لأن معنى إيحاء الزخرف من القول معنى الغرور فكأنه قال يغرون غرورا وقال ابن عباس زخرف القول غرورا الأماني بالباطل قال مقاتل وكل إبليس بالإنس شياطين يضلونهم فاذا التقى شيطان الإنس بشيطان الجن قال أحدهما لصاحبه إني أضللت صاحبي بكذا وكذا فأضل أنت صاحبك بكذا وكذا فذلك وحي بعضهم إلى بعض وقال غيره إن المؤمن إذا أعيا شيطانه ذهب إلى متمرد من الإنس وهو شيطان الإنس فأغراه بالمؤمن ليفتنه وقال قتادة إن من الجن شياطين وإن من الإنس شياطين وقال مالك بن دينار إن شيطان الإنس أشد علي من شيطان الجن لأني إذا تعوذت من ذاك ذهب عني وهذا يجرني إلى المعاصي عيانا

قوله تعالى ولو شاء ربك ما فعلوه في هاء الكناية ثلاثة أقوال

أحدها أنها ترجع إلى الوسوسة والثاني ترجع إلى الكفر والثالث إلى الغرور وأذى النبيين

قوله تعالى فذرهم وما يفترون قال مقاتل يريد كفار مكة وما يفترون من الكذب وقال غيره فذر المشركين وما يخاصمونك به مما يوحي إليهم أولياؤهم وما يختلقون من كذب وهذا القدر من هذه الآية منسوخ

بآية السيف

ولتصغي إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون

قوله تعالى ولتصغي إليه أي ولتميل والهاء كناية عن الزخرف والغرور والأفئدة جمع فؤاد مثل غراب وأغربة قال ابن الأنباري فعلنا بهم ذلك لكي تصغي إلى الباطل أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوا الباطل وليقترفوا أي ليكتسبوا وليعلموا ما هم عاملون

(١٠٩/٣)

افغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين

قوله تعالى أفغير الله أبتغي حكما سبب نزولها أن مشركي قريش قالوا للنبي صلى الله عليه و سلم اجعل بيننا وبينك حكما إن شئت من أحبار اليهود وإن شئت من أحبار النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك فنزلت هذه الآية ذكره الماوردي فأما الحكم فهو بمعنى الحاكم والمعنى أفغير الله أطلب قاضيا بيني وبينكم والكتاب القرآن والمفصل المبين الذي بان فيه الحق من الباطل والأمر من النهي والحلال من الحرام

والذين آتيناهم الكتاب فيهم قولان

أحدهما علماء أهل الكتابين قاله الجمهور والثاني رؤساء أصحاب النبي محمد صلى الله عليه و سلم كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وأشباههم قاله عطاء

قوله تعالى يعلمون أنه منزل قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد وخففها الباقون

وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم

قوله تعالى وتمت كلمة ربك قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ونافع كلمات على الجمع وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب كلمة على التوحيد وقد ذكرت العرب الكلمة وأرادت الكثرة يقولون قال قس في كلمته أي في خطبته وزهير في كلمته أي في قصيدته

(١١٠/٣)

وفي المراد بهذه الكلمات ثلاثة أقوال

أحدها أنها القرآن قاله قتادة والثاني أقضيته وعداته والثالث وعده ووعيده وثوابه وعقابه وفي قوله صدقا وعدلا قولان

أحدهما صدقا فيما أخبر وعدلا فيما قضى وقدر والثاني صدقا فيما وعد وأوعد وعدلا فيما أمر ونهى وفي قوله لا مبدل لكلماته قولان أحدهما لا يقدر المفترون على الزيادة فيها والنقصان منها والثاني لا خلف لمواعيده ولا مغير لحكمه

وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون

قوله تعالى وإن تطع أكثر من في الأرض سبب نزولها أن الكفار قالوا للمسلمين أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم فنزلت هذه الآية ذكره الفراء والمراد ب أكثر من في الأرض الكفار وفي ماذا يطيعهم فيه أربعة أقوال

أحدها في أكل الميتة والثاني في أكل ما ذبحوا للأصنام والثالث في عبادة الأوثان والرابع في اتباع ملل الآباء وسبيل الله دينه قال ابن قتيبة ومعنى يخرصون يحدسون ويوقعون ومنه قيل للحازر خارص فان قيل كيف يجوز تعذيب من هو على ظن من شركه وليس على يقين من كفره فالجواب انهم لما تركوا التماس الحجة واتبعوا أهواءهم واقتصروا على الظن والجهل عذبوا ذكره الزجاج

إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين

قوله تعالى إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله قال الزجاج موضع من رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام والمعنى إن ربك هو أعلم أي الناس يضل عن سبيله وقرأ الحسن من يضل بضم الياء وكسر الضاد وهي رواية ابن أبي شريح قال أبو سليمان ومقصود الآية لا تلتفت إلى قسم من أقسم أنه يؤمن عند مجيء الآيات فلن يؤمن إلا من سبق له القدر بالإيمان

فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين

قوله تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه سبب نزولها أن الله تعالى لما حرم الميتة قال المشركون للمؤمنين إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله فما قتل الله لكم أحق أن تأكلوه مما قتلتم أنتم يريدون الميتة فنزلت هذه الآية رواه ابو صالح عن ابن عباس

وما لكم إلا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين

قوله تعالى وما لكم ألا تأكلوا قال الزجاج المعنى وأي شيء يقع لكم في أن لا تأكلوا وموضع أن نصب لأن في سقطت فوصل المعنى إلى أن فنصبها

قوله تعالى وقد فصل لكم قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر فصل لكم ما حرم عليكم مرفوعتان وقرأ نافع وحفص عن عاصم

ويعقوب والقزاز عن عبد الوارث فصل بفتح الفاء ما حرم بفتح الحاء وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم فصل بفتح الفاء ما حرم بضم الحاء قال الزجاج أي فصل لكم الحلال من الحرام وأحل لكم في الاضطرار ما حرم وقال سعيد بن جبير فصل لكم ما حرم عليكم يعني ما بين في المائدة من الميتة والدم إلى آخر الآية وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم يعني مشركي العرب يضلون في أمر الذبائح وغيره قرأ ابن كثير وأبو عمرو ليضلون وفي يونس ربنا ليضلوا وفي ابراهيم أندادا ليضلوا وفي الحج ثاني عطفه ليضل وفي لقمان ليضل عن سبيل الله بغير علم وفي الزمر أندادا ليضل بفتح الياء في هذه المواضع الستة وضمهن عاصم وحمزة والكسائي وقرأ نافع وابن عامر ليضلون بأهوائهم وفي يونس ليضلوا بالفتح وضما الأربعة الباقية فمن فتح أراد أنهم هم الذين ضلوا ومن ضم أراد أنهم أضلوا غيرهم وذلك أبلغ في الضلال لأن كل مضل ضال وليس كل ضال مضلا

وذروا ظاهر الإثم وباطنه إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون

قوله تعالى وذروا ظاهر الإثم وباطنه في الإثم هاهنا ثلاثة أقوال

أحدها أنه الزنا رواه أبو صالح عن ابن عباس فعلى هذا في ظاهره وباطنه قولان أحدهما أن ظاهره الإعلان به وباطنه الاستسرار قاله

الضحاك والسدي قال الضحاك وكانوا يرون الاستسرار بالزنا حلالا والثاني أن ظاهره نكاح المحرمات كالأمهات والبنات وما نكح الآباء وباطنه الزنا قاله سعيد بن جبير

والثاني أنه عام في كل إثم والمعنى ذروا المعاصي سرها وعلانيتها وهذا مذهب أبي العالية ومجاهد وقتادة والزجاج وقال ابن الأنباري المعنى ذروا الإثم من جميع جهاته

والثالث أن الإثم المعصية إلا أن المراد به هاهنا أمر خاص قال ابن زيد ظاهره هاهنا نزع أثوابهم إذ كانوا يطوفون بالبيت عراة وباطنه الزنا

ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعمتموهم إنكم لمشركون

قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه سبب نزولها مجادلة المشركين للمؤمنين في قولهم أتأكلون مما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله على ما ذكرنا في سبب قوله تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه هذا قول ابن عباس وقال عكرمة كتبت فارس إلى قريش إن محمدا وأصحابه لا يأكلون ما ذبحه

الله ويأكلون ما ذبحوا لأنفسهم فكتب المشركون إلى أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم بذلك فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء فنزلت هذه الآية

(٣/١١٤)

وفي المراد بما لم يذكر اسم الله عليه أربعة أقوال
أحدها أنه الميتة رواه ابن جبير عن ابن عباس
والثاني أنه الميتة والمنخنقة إلى قوله وما ذبح على النصب روي عن ابن عباس
والثالث أنها ذبائح كانت العرب تذبحها لأوثانها قاله عطاء
والرابع أنه عام فيما لم يسم الله عند ذبحه وإلى هذا المعنى ذهب عبد الله ابن يزيد الخطمي ومحمد بن سيرين
فصل
فان تعمد ترك التسمية فهل يباح فيه عن أحمد روايتان وإن تركها ناسيا أبيحت وقال الشافعي لا يحرم في الحالين جميعا وقال شيخنا علي بن عبيد الله فاذا قلنا إن ترك التسمية عمدا يمنع الإباحة فقد نسخ من هذه الآية ذبائح أهل الكتاب بقوله وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وعلى قول الشافعي الآية محكمة
قوله تعالى وإنه لفسق يعني وإن أكل ما لم يذكر عليه اسم الله لفسق أي خروج عن الحق والدين وفي المراد بالشياطين هاهنا قولان
أحدهما أنم شياطين الجن روي عن ابن عباس
والثاني قوم من أهل فارس وقد ذكرناه عن عكرمة فعلى الأول وحيهم الوسوسة وعلى الثاني وحيهم الرسالة والمراد بأوليائهم الكفار الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه و سلم في ترك أكل الميتة ثم فيهم قولان

(٣/١١٥)

أحدهما أنهم مشركو قريش والثاني اليهود وإن أطعمتموهم في استحلال الميتة إنكم لمشركون
أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون
قوله تعالى أو من كان ميتا فأحييناه اختلفوا فيمن نزلت على خمسة اقوال

أحدها أنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب وأبي جهل وذلك أن أبا جهل رمى رسول الله صلى الله عليه و سلم بفرث وحمزة لم يؤمن بعد فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل فأقبل حتى علا أبا جهل بالقوس فقال له أما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا فقال حمزة ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فنزلت هذه الآية هذا قول ابن عباس

والثاني أنها نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال عكرمة

والثالث في عمر بن الخطاب وأبي جهل قاله زيد بن أسلم والضحاك

والرابع في النبي صلى الله عليه و سلم وابي جهل قاله مقاتل

والخامس أنها عامة في كل مؤمن وكافر قاله الحسن في آخرين

وفي قوله كان ميتا فأحييناه قولان

أحدهما كان ضالا فهديناه قاله مجاهد

والثاني كان جاهلا فعلمناه قاله الماوردي وقرأ نافع ميتا بالتشديد قال أبو عبيدة الميتة مخففة من ميتة والمعنى واحد وفي النور ثلاثة أقوال

أحدها أنه الهدى قاله ابن عباس والثاني القرآن قاله الحسن والثالث العلم وفي قوله يمشي به في الناس ثلاثة أقوال

أحدها يهتدي به في الناس قاله مقاتل والثاني يمشي به بين الناس إلى الجنة والثالث ينشر به دينه في الناس فيصير كالماشي ذكرهما الماوردي

قوله تعالى كمن مثله المثل صلة والمعنى كمن هو في الظلمات وقيل المعنى كمن لو شبه بشيء كان شبيهه من في الظلمات وقيل المراد بالظلمات هاهنا الكفر

قوله تعالى وكذلك زين أي كما بقي هذا في ظلماته لا يتخلص منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون من الشرك والمعاصي

وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون

قوله تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية أي وكما زينا للكافرين عملهم فكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها وقيل معناه وكما جعلنا فساق مكة أكابرها فكذلك جعلنا فساق كل قرية أكابرها وإنما جعل الأكابر فساق كل قرية لأنهم أقرب إلى الكفر بما أعطوا من الرياسة والسعة وقال ابن قتيبة تقدير الآية وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر وأكابر لا ينصرف وهم العظماء

قوله تعالى ليمكروا فيها قال أبو عبيدة المكر والخديعة والحيلة

والفجور والغدر والخلاف قال ابن عباس ليقولوا فيها الكذب قال مجاهد أجلسوا على كل طريق من طرق مكة أربعة ليصرفوا الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه و سلم يقولون للناس هذا شاعر وكاهن

قوله تعالى وما يمكرون إلا بأنفسهم أي ذلك المكر بهم يحيق

وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما آوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون

قوله تعالى وإذا جاءتهم آية سبب نزولها أن أبا جهل قال زاحمتنا بنو عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى إليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه أو أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت هذه الآية قاله مقاتل قال الزجاج الهاء والميم تعود على الأكابر الذين جرى ذكرهم وقال أبو سليمان تعود على المجادلين في تحريم الميتة قال مقاتل والآية انشقاق القمر والدخان قال ابن عباس في قوله مثل ما أوتي رسل الله قال حتى يوحى إلينا ويأتينا جبريل فيخبرنا أن محمدا صادق قال الضحاك سأل كل واحد منهم أن يختص بالرسالة والوحي

قوله تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالاته وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته بنصب التاء على التوحيد والمعنى أنهم ليسوا لها بأهل وذلك أن الوليد بن المغيرة قال والله لو كانت النبوة حقا لكنت أولى بها منك لأني أكبر منك سنا وأكثر منك مالا فنزل قوله تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالاته وقال أهل المعاني الأبلغ في تصديق الرسل أن لا يكونوا قبل

مبعثهم مطاعين في قومهم لأن الطعن كان يتوجه عليهم فيقال إنما كانوا رؤسا فاتبعوا فكان الله أعلم حيث جعل الرسالة ليتيم أبي طالب دون أبي جهل والوليد وأكابر مكة

قوله تعالى سيصيب الذين أجرموا صغار قال أبو عبيدة الصغار أشد الذل وقال الزجاج المعنى هم وإن كانوا أكابر في الدنيا فسيصبهم صغار عند الله أي صغار ثابت لهم عند الله وجائز أن يكون المعنى سيصيبهم عند الله صغار وقال الفراء معناه صغار من عند الله فحذفت من وقال ابو روق صغار في الدنيا وعذاب شديد في الآخرة

فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون

قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه قال مقاتل نزلت في رسول الله صلى الله عليه و سلم وابي جهل
قوله تعالى يشرح صدره قال ابن الاعرابي الشرح الفتح قال ابن قتيبة ومنه يقال شرحت لك الأمر وشرحت اللحم إذا فتحته وقال ابن عباس يشرح صدره أي يوسع قلبه للتوحيد والإيمان وقد روى ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه و سلم قرأ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام فقيل له يا رسول الله وما هذا الشرح قال نور يقذفه الله في القلب فينفتح القلب قالوا فهل لذلك من أمارة قال نعم قيل وما هي

(١١٩/٣)

قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله
قوله تعالى ضيقا قرأ الأكثرون بالتشديد وقرأ ابن كثير ضيقا وفي الفرقان مكانا ضيقا بتسكين الياء خفيفة قال أبو علي الضيق والضيق مثل الميت والميت
قوله تعالى حرجا قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي حرجا بفتح الراء وقرأ نافع وابو بكر عن عاصم بكسر الراء قال الفراء وهما لغتان وكذلك قال يونس بن حبيب النحوي هما لغتان إلا أن الفتح أكثر من ألسنة العرب من الكسر ومجراهما مجرى الدنف والدنف وقال الزجاج الحرج في اللغة أضيق الضيق
قوله تعالى كأنما يصاعد قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي يصعد بتشديد الصاد والعين وفتح الصاد من غير ألف وقرأ أبو بكر عن عاصم يصاعد بتشديد الصاد وبعدها ألف وقرأ ابن كثير يصعد بتخفيف الصاد والعين من غير ألف والصاد ساكنة وقرأ ابن مسعود وطلحة تصعد بتاء من غير ألف وقرأ أبي بن كعب يتصاعد بألف وتاء قال الزجاج قوله كأنما يصاعد في السماء ويصعد اصله يتصاعد ويتصعد إلا أن التاء تدغم في الصاد

(١٢٠/٣)

لقربها منها والمعنى كأنه قد كلف أن يصعد إلى السماء إذا دعي إلى الإسلام من ضيق صدره عنه ويجوز أن يكون المعنى كأن قلبه يصعد في السماء نبوا عن الإسلام والحكمة وقال الفراء ضاق عليه المذهب فلم يجد إلا أن يصعد في السماء وليس يقدر على ذلك وقال ابو علي يصعد ويصاعد من المشقة وصعوبة الشيء ومنه قول عمر ما تصعدني شيء كما تصعدتني خطبة النكاح أي ما شق علي شيء مشقتها

قوله تعالى كذلك أي مثل ما قصصنا عليك يجعل الله الرجس وفيه خمسة أقوال
أحدها أنه الشيطان رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس يعني أن الله يسلطه عليهم
والثاني أنه المأتم رواه أبو صالح عن ابن عباس
والثالث أنه مالا خير فيه قاله مجاهد
والرابع أنه العذاب قاله عطاء وابن زيد وأبو عبيدة
والخامس أنه اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة قاله الزجاج وهذه الآية تقطع كلام القدرية إذ قد صرحت بأن الهداية والإضلال متعلقة بارادة الله تعالى
وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون
قوله تعالى وهذا صراط ربك فيه ثلاثة أقوال
أحدها أنه القرآن قاله ابن مسعود والثاني التوحيد قاله ابن عباس

(١٢١/٣)

والثالث ما هو عليه من الدين قاله عطاء ومعنى استقامته أنه يؤدي بسالكه إلى الفوز قال مكي بن أبي طالب ومستقيما نصب على الحال من صراط وهذه الحال يقال لها الحال المؤكدة لأن صراط الله لا يكون إلا مستقيما ولم يؤت بها لتفرق بين حالتين إذ لا يتغير صراط الله عن الاستقامة أبدا وليست هذه الحال كحال من قولك هذا زيد راكبا لأن زيدا قد يخلو من الركوب
لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعلمون
قوله تعالى لهم دار السلام يعني الجنة وفي تسميتها بذلك أربعة أقوال
أحدها أن السلام هو الله وهي داره قاله ابن عباس والحسن وقتادة والسدي
والثاني أنها دار السلامة التي لا تنقطع قاله الزجاج
والثالث أن تحية أهلها فيها السلام ذكره أبو سليمان الدمشقي
والرابع أن جميع حالاتها مقرونة بالسلام ففي ابتداء دخولهم ادخلوها بسلام وبعد استقرارهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقوله إلا قيلا سلاما سلاما وعند لقاء الله سلام قولا من رب رحيم وقوله تحيتهم يوم يلقونه سلام ومعنى عند ربهم أي مضمونة لهم عنده وهو وليهم أي متولي إيصال المنافع إليهم ودفع المضار عنهم بما كانوا يعملون من الطاعات

(١٢٢/٣)

ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم

قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا يعني الجن والإنس وقرأ حفص عن عاصم يحشرهم بالياء قال أبو سليمان يعني المشركين وشياطينهم الذين كانوا يوحون إليهم بالمجادلة لكم فيما حرمه الله من الميتة

قوله تعالى يا معشر الجن فيه إضمار فيقال لهم يا معشر والمعشر الجماعة أمرهم واحد والجمع المعاشر

وقوله قد استكثرتم من الإنس أي من إغوائهم وإضلالهم وقال أولياؤهم من الإنس يعني الذين أضلهم الجن ربنا استمتع بعضنا ببعض فيه ثلاثة أقوال

أحدها أن استمتاع الإنس بالجن أنهم كانوا إذا سافروا فنزلوا واديا وأرادوا مبيتا قال أحدهم أعوذ بعظيم هذا الوادي من شر أهله واستمتاع الجن بالإنس أنهم كانوا يفخرون على قومهم ويقولون قد سدنا الإنس حتى صاروا يعوذون بنا رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال مقاتل والفراء

والثاني أن استمتاع الجن بالإنس طاعتهم لهم فيما يغرونهم به من الضلالة والكفر والمعاصي واستمتاع الإنس بالجن أن الجن زينت لهم الأمور التي يهوونها وشهوها إليهم حتى سهل عليهم فعلها روى هذا المعنى عطاء عن ابن عباس وبه قال محمد بن كعب والزجاج

والثالث أن استمتاع الجن بالإنس إغواؤهم إياهم واستمتاع الإنس بالجن ما يتلقون منهم من السحر والكهانة ونحو ذلك والمراد بالجن في هذه الآية الشياطين

قوله تعالى وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا فيه قولان

أحدهما الموت قاله الحسن والسدي والثاني الحشر ذكره الماوردي

قوله تعالى قال النار مثواكم قال الزجاج المثوى المقام وخالدين منصوب على الحال المعنى النار مقامكم في حال خلود دائم إلا ما شاء الله هو استثناء من يوم القيامة والمعنى خالدين فيها مذ يبعثون إلا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومدتهم في محاسبتهم ويجوز أن تكون إلا ما شاء الله أن يزيدهم من العذاب وقال بعضهم إلا ما شاء الله من كونهم في الدنيا بغير عذاب وقيل في هذا غير قول ستجدها مشروحة في هود إن شاء الله

وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون

قوله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا في معناه أربعة اقوال

أحدها نجعل بعضهم أولياء بعض رواه سعيد عن قتادة
والثاني نتبع بعضهم بعضا في النار بأعمالهم من الموالاة وهي المتابعة رواه معمر عن قتادة
والثالث نسلط بعضهم على بعض قاله ابن زيد
والرابع نكل بعضهم إلى بعض ولا نعينهم ذكره الماوردي
قوله تعالى بما كانوا يكسبون أي من المعاصي

(١٢٤/٣)

يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين
قوله تعالى يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم قرأ الحسن وقتادة تأتكم بالتاء رسل منكم واختلفوا في الرسالة إلى الجن على أربعة اقوال
أحدها أن الرسل كانت تبعث إلى الإنس خاصة وأن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه و سلم إلى الإنس والجن رواه أبو صالح عن ابن عباس
والثاني أن رسل الجن هم الذين سمعوا القرآن فولوا إلى قومهم منذرين روي عن ابن عباس أيضا وقال مجاهد الرسل من الإنس والنذر من الجن وهم قوم يسمعون كلام الرسل فيبلغون الجن ما سمعوا
والثالث أن الله تعالى بعث إليهم رسلا منهم كما بعث إلى الإنس رسلا منه قاله الضحاك ومقاتل وأبو سليمان وهو ظاهر الكلام
والرابع أن الله تعالى لم يبعث إليهم رسلا منهم وإنما جاءتهم رسل الإنس قاله ابن جريج والفراء والزجاج قالوا ولا يكون الجمع في قوله ألم يأتكم رسل منكم مانعا أن تكون الرسل من أحد الفريقين كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما هو خارج من الملح وحده
وفي دخول الجن الجنة إذا آمنوا قولان
أحدهما يدخلونها ويأكلون ويشربون قاله الضحاك
والثاني أن ثوابهم أن يجاروا من النار ويصيروا ترابا رواه سفيان عن ليث

(١٢٥/٣)

قوله تعالى يقصون عليكم آياتي أي يقرؤون عليكم كتابي وينذرونكم أي يخوفونكم بيوم القيامة وفي قوله شهدنا على أنفسنا قولان

أحدهما أقررنا على أنفسنا بانذار الرسل لنا
والثاني شهد بعضنا على بعض بانذار الرسل إياهم ثم أخبرنا الله تعالى بحالهم فقال وغرتهم الحياة الدنيا أي يزينتها وإمهالهم فيها وشهدوا على أنفسهم أي أقروا أنهم كانوا في الدنيا كافرين وقال مقاتل ذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر
ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون
قوله تعالى ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم قال الزجاج ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرسل وأمر عذاب من كذب لأنه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم أي لا يهلككم حتى يبعث إليهم رسولا قال ابن عباس بظلم أي بشرك وأهلها غافلون لم يأتهم رسول
ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون
قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا أي لكل عامل بطاعة الله أو بمعصيته درجات أي منازل يبلغها بعمله إن كان خيرا فخيرا وإن كان شرا فشرا وإنما سميت درجات لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط كتفاضل الدرج
قوله تعالى عما يعملون قرأ الجمهور بالياء وقرأ ابن عامر بالتاء على الخطاب
وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشآء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين
إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين

(١٢٦/٣)

قوله تعالى وربك الغني يريد الغني عن خلقه ذو الرحمة قال ابن عباس بأوليائه وأهل طاعته وقال غيره بالكل ومن رحمته تأخير الانتقام من المخالفين إن يشأ يذهبكم بالهلاك وقيل هذا الوعيد لأهل مكة ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم أي ابتدأكم من ذرية قوم آخرين يعني آباءهم الماضين إن ما توعدون به من مجيء الساعة والحشر لآت وما أنتم بمعجزين أي بفائتين قال أبو عبيدة يقال أعجزني كذا أي فاتني وسبقني
قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون
قوله تعالى على مكانتكم وقرأ أبو بكر عن عاصم مكاناتكم على الجمع قال ابن قتيبة أي على موضعكم يقال مكان ومكانة ومنزل ومنزلة وقال الزجاج اعملوا على تمكنكم قال ويجوز أن يكون المعنى اعملوا على ما أنتم عليه تقول للرجل إذا أمرته أن يثبت على حال كن على مكانتك
قوله تعالى إني عامل أي عامل ما أمرني به ربي فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم تكون بالتاء وقأ حمزة والكسائي بالياء وكذلك خلافهم في القصص

ووجه التأنيث اللفظ ووجه التذكير أنه ليس بتأنيث حقيقي وعاقبة الدار الجنة والظالمون هاهنا المشركون فان قيل ظاهر هذه الآية أمرهم بالاقامة على ما هم عليه وذلك لا يجوز فالجواب أن معنى هذا الأمر المبالغة في الوعيد فكأنه قال أقيموا على ما أنتم عليه إن رضيتم بالعذاب قاله الزجاج

(١٢٧/٣)

فصل

وفي هذه الآية قولان

أحدهما أن المراد بها التهديد فعلى هذا هي محكمة

والثاني أن المراد بها ترك القتال فعلى هذا هي منسوخة بآية السيف

وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون

قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ قال ابن قتيبة ذرأ بمعنى خلق من الحرث وهو الزرع والأنعام الإبل والبقر والغنم وكانوا إذا زرعوا خطوا خطا فقالوا هذا لله وهذا لآلهتنا فاذا حصدوا ما جعلوه لله فوقع منه شيء فيما جعلوه لآلهتهم تركوه وقالوا هي إليه محتاجة وإذا حصدوا ما جعلوه لآلهتهم فوقع منه شيء في مال الله أعادوه إلى موضعه وكانوا يجعلون من الأنعام شيئا لله فاذا ولدت إناثها ميتا أكلوه وإذا ولدت أنعام آلهتهم ميتا عظموه فلم يأكلوه وقال الزجاج معنى الآية وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وجعلوا لشركائهم نصيبا يدل عليه قوله تعالى فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فدل بالإشارة إلى النصيبين على نصيب الشركاء وكانوا إذا زكا ما لله ولم يزك ما لشركائهم ردوا الزاكي على أصنامهم وقالوا هذه أحوج والله غني وإذا زكا ما للأصنام ولم يزك ما لله أقروه على ما به قال

(١٢٨/٣)

المفسرون وكانوا يصرفون ما جعلوا لله إلى الضيفان والمساكين فمعنى قوله فلا يصل إلى الله أي إلى هؤلاء ويصرفون نصيب آلهتهم في الزرع إلى النفقة على خدامها فأما نصيبها في الأنعام ففيه ثلاثة أقوال أحدها أنه كان للنفقة عليها أيضا والثاني أنهم كانوا يتقربون به فيذبحونه لها والثالث أنه البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وقال الحسن كان إذا هلك ما لأ وثانهم غرموه وإذا هلك ماالله لم يغرموه وقال ابن زيد كانوا لا يأكلون ما جعلوه لله حتى يذكروا عليه اسم أوثانهم ولا يذكرون الله على ما جعلوه للأوثان فأما قوله بزعمهم فقرأ الجمهور بفتح الزاي وقرأ الكسائي والأعمش بضمها وفي الزعم ثلاث

لغات ضم الزاي وفتحها وكسرها ومثله السقط والسقط والسقط والفتك والفتك والفتك والزعم والزعم والزعم قال الفراء فتح الزاي في الزعم لأهل الحجاز وضمها لأسد وكسرها لبعض قيس فيما يحكي الكسائي

وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون

قوله تعالى وكذلك زين أي ومثل ذلك الفعل القبيح فيما قسموا بالجهل زين قال ابن الأنباري ويجوز أن يكون وكذلك مستأنفا غير مشار به إلى ما قبله فيكون المعنى وهكذا زين وقرأه الجمهور زين بفتح الزاي والياء ونصب اللام من قتل وكسر الدال من أولادهم ورفع الشركاء وجه هذه القراءة ظاهر وقرأ ابن عامر بضم زاي زين

ورفع اللام من قتل ونصب الدال من أولادهم وخفض الشركاء قال أبو علي ومعناها قتل شركائهم أولادهم ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به وهذا قبيح قليل في الاستعمال وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي والحسن زين بالرفع قتل بالرفع أيضا أولادهم بالجر شركاؤهم رفعا قال الفراء رفع القتل إذ لم يسم فاعله ورفع الشركاء بفعل نواه كأنه قال زينه لهم شركاؤهم وكذلك قال سيبويه في هذه القراءة قال كأنه قيل من زينه فقال شركاؤهم قال مكي بن أبي طالب وقد روي عن ابن عامر أيضا أنه قرأ بضم الزاي ورفع اللام وخفض الأولاد والشركاء فيصير الشركاء اسما للأولاد لمشاركتهم للآباء في النسب والميراث والدين

وللمفسرين في المراد بشركائهم أربعة أقوال

أحدها أنهم الشياطين قاله الحسن ومجاهد والسدي والثاني شركاؤهم في الشرك قاله قتادة والثالث قوم كانوا يخدمون الاوثان قاله الفراء والزجاج والرابع أنهم الغواة من الناس ذكره الماوردي وإنما أضيف الشركاء إليهم لأنهم هم الذين اختلقوا ذلك وزعموه

وفي الذي زينوه لهم من قتل أولادهم قولان

أحدهما أنه وأد البنات أحياء خيفة الفقر قاله مجاهد

والثاني أنه كان يحلف أحدهم أنه إن ولد له كذا وكذا غلاما أن ينحر أحدهم كما حلف عبد المطلب في نحر عبد الله قاله ابن السائب ومقاتل

قوله تعالى ليردوهم أي ليهلكوهم وفي هذه اللام قولان

أحدهما أنها لام كي والثاني أنها لام العاقبة كقوله ليكون لهم عدوا أي آل أمرهم إلى الردى لا أنهم قصدوا ذلك

(١٣٠/٣)

قوله تعالى وليلبسوا عليهم دينهم أي ليخلطوا قال ابن عباس ليدخلوا عليهم الشك في دينهم وكانوا على دين إسماعيل فرجعوا عنه بتزيين الشياطين

قوله تعالى فذرهم وما يفترون قال ابن عباس كان أهل الجاهلية إذا دفنوا بناتهم قالوا إن الله أمرنا بذلك فقال فذرهم وما يفترون أي يكذبون وهذا تهديد ووعيد فهو محكم وقال قوم مقصوده ترك قتالهم فهو منسوخ بآية السيف

وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا ي يفترون

قوله تعالى وقالوا هذه أنعام وحرث وحجر الحرث الزرع والحجر الحرام والمعنى أنهم حرموا أنعاما وحرثا جعلوه لأصنامهم قال ابن قتيبة وإنما قيل للحرام حجر لأنه حجر على الناس أن يصيبوه وقرأ الحسن وقتادة حجر بضم الحاء قال الفراء يقال حجر وحجر بكسر الحاء وضمها وهي في قراءة ابن مسعود حرج مثل جذب وجبذ وفي هذ الأنعام التي جعلوها للأصنام قولان

أحدهما أنها البحيرة والسائبة والوصيلة والحام

والثاني أنها الذبائح التي للأوثان وقد سبق ذكرهما

قوله تعالى لا يطعمها إلا من نشاء هو كقولك لا يذوقها إلا من نريد وفيمن أطلقوا له تناولها قولان

أحدهما أنهم منعوا منها النساء وجعلوها للرجال قاله ابن السائب

(١٣١/٣)

والثاني عكسه قاله ابن زيد قال الزجاج أعلم الله تعالى أن هذا التحريم زعم منهم لا حجة فيه ولا برهان وفي قوله وأنعام حرمت ظهورها ثلاثة أقوال

أحدها أنها الحام قاله ابن عباس والثاني البحيرة كانوا لا يحجون عليها قاله أبو وائل والثالث البحيرة والسائبة والحام قاله السدي

قوله تعالى وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها هي قربان آلهتهم يذكرون عليها اسم الأوثان خاصة وقال أبو وائل هي التي كانوا لا يحجون عليها وقد ذكرنا هذا عنه في قوله حرمت ظهورها فعلى قوله الصفتان

لموصوف واحد وقال مجاهد كان من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها في شيء لا إن ركبوا ولا إن حملوا ولا إن حابوا ولا إن نتجوا وفي قوله افتراء على الله قولان

أحدهما أن ذكر أسماء أوثانهم وترك ذكر الله هو الافتراء

والثاني أن إضافتهم ذلك إلى الله تعالى هو الافتراء لأنهم كانوا يقولون هو حرم ذلك

وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن لم يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم

قوله تعالى وقالوا ما في بطون هذه الأنعام يعني بالأنعام المحرمات عندهم من البحيرة والسائبة والوصيلة وللمفسرين في المراد بما في بطونها ثلاثة أقوال

أحدها أنه اللبن قاله ابن عباس وقتادة والثاني الأجنة قاله مجاهد

والثالث الولد واللبن قاله السدي ومقاتل

قوله تعالى خالصة لذكورنا قرأ الجمهور خالصة على لفظ التأنيث وفيها أربعة أوجه

أحدها أنه إنما أنثت لأن الأنعام مؤنثة وما في بطونها مثلها قاله الفراء

والثاني أن معنى ما التأنيث لأنها في معنى الجماعة فكأنه قال جماعة ما في بطون هذه الأنعام خالصة قاله الزجاج

والثالث أن الهاء دخلت للمبالغة في الوصف كما قالوا علامة ونسابة

والرابع أنه أجري مجرى المصادر التي تكون بلفظ التأنيث عن الأسماء المذكره كقولك عطاؤك عافية والرخص نعمة ذكرهما ابن الأنباري وقرأ ابن مسعود وأبو العالية والضحاك والأعمش وابن أبي عبلة خالص بالرفع من غير هاء قال الفراء وإنما ذكر لتذكير ما وقرأ ابن عباس وأبو رزين وعكرمة وابن يعمر خالصه برفع الصاد والهاء على ضمير مذكر قال الزجاج والمعنى ما خلص حيا وقرأ قتادة خالصة بالنصب فأما الذكور فهم الرجال والأزواج والنساء

قوله تعالى وإن يكن ميتة قرأ الأكثرون يكن بالياء ميتة بالنصب وذلك مردود على لفظ ما المعنى وإن يكن ما في بطون هذه الأنعام ميتة وقرأ ابن كثير يكن بالياء ميتة بالرفع وافقه ابن عامر في رفع الميتة غير أنه قرأ تكن بالتاء والمعنى وإن تحدث وتقع فجعل كان تامة لا تحتاج إلى خبر وقرأ أبو بكر عن عاصم تكن بالتاء ميتة بالنصب والمعنى وإن تكن الأنعام التي في البطون ميتة

قوله تعالى فهم فيه شركاء يعني الرجال والنساء سيجزيهم وصفهم قال الزجاج أراد جزاء وصفهم الذي هو كذب

قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين

قوله تعالى قد خسر الذين قتلوا أولادهم وقرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد قال ابن عباس نزلت في ربيعة ومضر والذين كانوا يدفنون بناتهم أحياء في الجاهلية من العرب وقال قتادة كان أهل الجاهلية يقتل أحدهم بنته مخافة السبي والفاقة ويغذو كلبه وقال الزجاج وقوله سفها منصوب على معنى اللام تقديره للسفه تقول فعلت ذلك حذر الشر وقرأ ابن السميفع والجحدري ومعاذ القارئ سفهاء برفع السين وفتح الفاء والهاء وبالمد وبالنصب والهمز

قوله تعالى بغير علم أي كانوا يفعلوا ذلك للسفه من غير أن أتاهم علم في ذلك وحرموا ما رزقهم الله من الأنعام والحرث وزعموا أن الله أمرهم بذلك

وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين

قوله تعالى وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات فيه أربعة أقوال

أحدها أن المعروشات ما انبسط على وجه الأرض فانتشر مما يعرش كالكرم والقرع والبطيخ وغير معروشات ما قام على ساق كالنخل والزرع وسائر الأشجار

والثاني أن المعروشات ما أنبته الناس وغير معروشات ما خرج في البراري والجبال من الثمار رويا عن ابن عباس

والثالث أن المعروشات وغير المعروشات الكرم منه ما عرش ومنه مالم يعرش قاله الضحاك

والرابع أن المعروشات الكروم التي قد عرش عنبها وغير المعروشات سائر الشجر التي لا تعرش قاله أبو عبيدة والأكل الثمر والزيتون والرمان متشابها قد سبقة تفسيره

قوله تعالى كلوا من ثمره إذا أثمر هذا أمر إباحة وقيل إنما قدم الأكل لينهي عن فعل الجاهلية في زروعهم من تحريم بعضها

قوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده قرأ ابن عامر وعاصم وأبو عمرو بفتح الحاء وهي لغة أهل نجد وتميم وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي بكسرها وهي لغة أهل الحجاز ذكره الفراء

وفي المراد بهذا الحق قولان

أحدهما أنه الزكاة روي عن أنس بن مالك وابن عباس وسعيد بن المسيب والحسن وطاووس وجابر بن زيد وابن الحنفية وقتادة في آخرين فعلى هذا الآية محكمة

والثاني أنه حق غير الزكاة فرض يوم الحصاد وهو إطعام من حضر وترك ما سقط من الزرع والثمر قاله عطاء ومجاهد وهل نسخ ذلك أم لا إن قلنا إنه أمر وجوب فهو منسوخ بالزكاة وإن قلنا إنه أمر استحباب فهو باقي الحكم

فان قيل هل يجب إيتاء الحق يوم الحصاد فالجواب إن قلنا إنه إطعام من حضر من الفقراء فذلك يكون يوم الحصاد وإن قلنا إنه الزكاة فقد ذكرت عنه ثلاثة أجوبة

(١٣٥/٣)

أحدها أن الأمر بالإيتاء محمول على النخيل لأن صدقتها تجب يوم الحصاد فأما الزروع فالأمر بالإيتاء منها محمول على وجوب الإخراج إلا أنه لا يمكن ذلك عند الحصاد فيؤخر إلى زمان التنقية ذكره بعض السلف

والثاني أن اليوم ظرف للحق لا للايتاء فكأنه قال وآتوا حقه الذي وجب يوم حصاده بعد التنقية

والثالث أن فائدة ذكر الحصاد أن الحق لا يجب فيه بنفس خروجه وبلوغه إنما يجب يوم حصوله في يد صاحبه وقد كان يجوز أن يتوهم أن الحق يلزم بنفس نباته قبل قطعه فأفادت الآية أن الوجوب فيما يحصل في اليد دون ما يتلف ذكر الجوابين القاضي أبو يعلى وفي قوله ولا تسرفوا ستة اقوال

أحدها أنه تجاوز المفروض في الزكاة إلى حد يجحف به قاله أبو العالية وابن جريج وروى أبو صالح عن ابن عباس أن ثابت بن قيس بن شماس صرم خمسمائة نخلة ثم قسمها في يوم واحد فأمسى ولم يترك لأهله شيئا فكره الله تعالى له ذلك فنزلت ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين

والثاني أن الإسراف منع الصدقة الواجبة قاله سعيد بن المسيب

والثالث أنه الإنفاق في المعصية قاله مجاهد والزهري

والرابع أنه إشراك الآلهة في الحرث والأنعام قاله عطية العوفي وابن السائب

والخامس أنه خطاب للسلطان لئلا يأخذ فوق الواجب من الصدقة قاله ابن زيد

والسادس أنه الإسراف في الأكل قبل أداء الزكاة قاله ابن بحر

(١٣٦/٣)

ومن الأنعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين
قوله تعالى ومن الأنعام حمولة وفرشا هذا نسق على ما قبله والمعنى أنشأ جنات وأنشأ حمولة وفرشا وفي ذلك خمسة أقوال
أحدها أن الحمولة ما حمل من الإبل والفرش صغارها قاله ابن مسعود والحسن ومجاهد وابن قتيبة
والثاني أن الحموله ما انتفعت بظهورها والفرش الراعية رواه الضحاك عن ابن عباس
والثالث أن الحمولة الإبل والخيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه والفرش الغنم رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس
والرابع الحمولة من الإبل والفرش من الغنم قاله الضحاك
والخامس الحمولة الإبل والبقر والفرش الغنم وما لا يحمل عليه من الإبل قاله قتادة وقرأ عكرمة وأبو المتوكل وأبو الجوزاء حمولة بضم الحاء
قوله تعالى كلوا مما رزقكم الله قال الزجاج المعنى لا تحرموا ما حرمتم مما جرى ذكره ولا تتبعوا خطوات الشيطان أي طرقه قال وقوله ثمانية أزواج بدل من قوله حمولة وفرشا والزوج في اللغة الواحد الذي يكون معه آخر قال المصنف وهذا كلام يفتقر إلى تمام وهو أن يقال الزوج ما كان معه آخر من جنسه فحينئذ يقال لكل واحد منهما زوج

(١٣٧/٣)

ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبؤني بعلم إن كنتم صادقين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء أذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين
قوله تعالى من الضأن اثنين الضأن ذوات الصوف من الغنم والمعز ذوات الشعر منها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر المعز بفتح العين وقرأ نافع وحمزة وعاصم والكسائي بتسكين العين والمراد بالأنثيين الذكر والأنثى قل آلذكرين من الضأن والمعز حرم الله عليكم أم الأنثيين منها المعنى فان كان ما حرم عليكم الذكرين فكل الذكور حرام وإن كان حرم الأنثيين فكل الإناث حرام وإن كان حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين فهي تشتمل على الذكور وتشتمل على الإناث وتشتمل على الذكور والإناث فيكون كل جنين حراما وقال ابن الأنباري معنى الآية ألحقكم التحريم من جهة الذكرين أم من جهة الأنثين فان قالوا من جهة الذكرين حرم عليهم كل ذكر وإن قالوا من جهة الأنثيين حرمت عليهم كل أنثى وإن قالوا من جهة الرحم حرم عليهم الذكر والأنثى وقال ابن جرير الطبري إن قالوا حرم الذكرين أوجبوا تحريم كل

ذكر من الضأن والمعز وهم يستمتعون بلحوم بعض الذكران منها وظهوره وفي ذلك فساد دعواهم وإن قالوا حرم الأنثيين أوجبوا تحريم لحوم كل أنثى من ولد الضأن والمعز وهم يستمتعون بلحوم بعض ذلك

(١٣٨/٣)

وظهوره وإن قالوا ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين فقد كانوا يستمتعون ببعض ذكورها وإناثها قال المفسرون فاحتج الله تعالى عليهم بهذه الآية والتي بعدها لأنهم كانوا يحرمون أجناسا من النعم بعضها على الرجال والنساء وبعضها على النساء دون الرجال

وفي قوله آلذكرين حرام أم الأنثيين إبطال لما حرموه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام

وفي قوله أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين إبطال قولهم ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا

قوله تعالى نبئوني بعلم قال الزجاج المعنى فسروا ما حرمتم بعلم أي أنتم لا علم لكن لأنكم لا تؤمنون بكتاب أم كنتم شهداء أي هل شاهدتم الله قد حرم هذا إذا كنتم لا تؤمنون برسول

قوله تعالى فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم قال ابن عباس يريد عمرو بن لحي ومن جاء بعده والظالمون هاهنا المشركون

قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم

قوله تعالى قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه نبههم بهذا على أن التحريم والتحليل إنما يثبت بالوحي وقال طاووس ومجاهد معنى الآية لا أجد محرما مما كنتم تستحلون في الجاهلية إلا هذا والمراد بالطاعم

(١٣٩/٣)

الآكل إلا أن يكون ميتة أي إلا أن يكون المأكول ميتة قرأ ابن كثير وحمزة إلا أن يكون بالياء ميتة نصبا وقرأ ابن عامر إلا أن تكون بالتاء ميتة بالرفع على معنى إلا أن تقع ميتة أو تحدث ميتة أو دما مسفوحا قال قتادة إنما حرم المسفوح فأما اللحم إذا خالطه دم فلا بأس به قال الزجاج المسفوح المصبوب وكانوا إذا ذكوا يأكلون الدم كما يأكلون اللحم والرجس اسم لما يستقذر وللعذاب أو فسقا المعنى أو أن يكون المأكول فسقا أهل لغير الله به أي رفع الصوت على ذبحه باسم غير الله فسمى ما ذكر عليه غير اسم الله فسقا والفسق الخروج من الدين

فصل
اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على قولين
أحدهما أنها محكمة ولأرباب هذا القول في سبب إحكامها ثلاثة أقوال أحدها أنها خبر والخبر لا يدخله النسخ والثاني أنها جاءت جوابا عن سؤال سألوه فكان الجواب بقدر السؤال ثم حرم بعد ذلك ما حرم والثالث أنه ليس في الحيوان محرم إلا ما ذكر فيها
والقول الثاني أنها منسوخة بما ذكر في المائدة من المنخنقة والموقوذة وفي السنة من تحريم الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير وقيل إن آية المائدة داخلة في هذه الآية لأن تلك الأشياء كلها ميتة

(١٤٠/٣)

وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون
قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وقرأ الحسن والأعمش ظفر بسكون الفاء وهذا التحريم تحريم بلوى وعقوبة
وفي ذي الظفر ثلاثة أقوال
أحدها أنه ما ليس بمنفرج الأصابع كالإبل والنعام والإوز والبط قاله ابن عباس وابن جبير ومجاهد وقتادة والسدي
والثاني الإبل فقط قاله ابن زيد
والثالث كل ذي حافر من الدواب ومخلب من الطير قاله ابن قتيبة قال وسمى الحافر ظفرا على الإستعارة والعرب تجعل الحافر والإظلاف موضع القدم استعارة وأنشدوا ... سأمنعها أو سوف أجعل أمرها ... إلى ملك أظلافه لم تشقق

(١٤١/٣)

أراد قدميه وإنما الأظلاف للشاء والبقر قال ابن الانباري الظفر هاهنا يجري مجرى الظفر للانسان وفيه ثلاث لغات أعلاهن ظفر ويقال ظفر وأظفور وقال الشاعر ... ألم تر أن الموت أدرك من مضى ... فلم يبق منه ذا جناح وذا ظفر ...
وقال الآخر ... لقد كنت ذا ناب وظفر على العدى ... فأصبحت ما يخشون نابي ولا ظفري ...

وقال الآخر ... ما بين لقمته الأولى إذا انحدرت ... وبين أخرى تليها قيد أظفور ...

وفي شحوم البقر والغنم ثلاثة أقوال

أحدها أنه إنما حرم من ذلك شحوم الثروب خاصة قاله قتادة

والثاني شحوم الثروب والكلى قاله السدي وابن زيد

والثالث كل شحم لم يكن مختلطا بعظم ولا على عظم قاله ابن جريج وفي قوله إلا ما حملت ظهورهما ثلاثة أقوال

أحدها أنه ما علق بالظهر من الشحوم قاله ابن عباس والثاني الألية قاله أبو صالح والسدي والثالث ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما

(١٤٢/٣)

قاله قتادة فأما الحوايا فللمفسرين فيها أقوال تتقارب معانيها قال ابن عباس والحسن وابن جبير ومجاهد وقتادة والسدي وابن قتيبة هي المباعر وقال ابن زيد هي بنات اللبن وهي المرابض التي تكون فيها الأمعاء وقال الفراء الحوايا هي المباعر وبنات اللبن وقال الاصمعي هي بنات اللبن واحدها حاوياء وحاوية وحوية

قال الشاعر ... أقتلهم ولا أرى معاوية ... الجاحظ العين العظيم الحاوية ...

وقال الآخر ... كأن نقيق الحب في حاويائه ... فحيح الأفاعي أو نقيق العقارب ...

وقال أبو عبيدة الحوايا ما تحوي من البطن أي ما استدار منها وقال الزجاج الحوايا اسم لجميع ما تحوي من البطن فاجتمع واستدار وهي بنات اللبن وهي المباعر وتسمى المرابض وفيها الأمعاء

قوله تعالى أو ما اختلط بعظم فيه قولان

أحدهما أنه شحم البطن والالية لأنهما على عظم قاله السدي والثاني كل شحم في القوائم والجنب والرأس والعينين والأذنين فهو مما اختلط بعظم قاله ابن جريج واتفقوا على أن ما حملت ظهورها حلال

(١٤٣/٣)

بالاستثناء من التحريم فأما ما حملت الحوايا أو ما اختلط بعظم ففيه قولان

أحدهما أنه داخل في الاستثناء فهو مباح والمعنى وأبيح لهم ما حملت الحوايا من الشحم وما اختلط بعظم هذا قول الأكثرين

والثاني أنه نسق على ما حرم لا على الاستثناء فالمعنى حرمنا عليهم شحومهما أو الحوايا أو ما اختلط

بعظم إلا ما حملت الظهور فانه غير محرم قاله الزجاج فأما أو المذكورة هاهنا فهي بمعنى الواو كقوله آثما أو كفورا

قوله تعالى ذلك جزيناهم أي ذلك التحريم عقوبة لهم على بغيهم

وفي بغيهم قولان

أحدهما أنه قتلهم الأنبياء وأكلهم الربا والثاني أنه تحريم ما أحل لهم

فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين

قوله تعالى فان كذبوك قال ابن عباس لما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم للمشركين هذا ما أوحي إلي أنه محرم على المسلمين وعلى اليهود اليهود قالوا فانك لم تصب فنزلت هذه الآية وفي المكذبين قولان

أحدهما المشركون قاله ابن عباس والثاني اليهود قاله مجاهد والمراد بذكر الرحمة الواسعة أنه لا يعجل بالعقوبة والبأس العذاب

وفي المراد بالمجرمين قولان

أحدهما المشركون والثاني المكذبون

سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون

قوله تعالى سيقول الذين أشركوا أي إذا لزمتهم الحجة وتيقنوا باطل ما هم عليه من الشرك وتحريم مالم يحرمه الله لو شاء الله ما أشركنا فجعلوا هذا حجة لهم في إقامتهم على الباطل فكأنهم قالوا لو لم يرض ما نحن عليه لحال بيننا وبينه وإنما قالوا ذلك مستهزئين ودافعين للاحتجاج عليهم فيقال لهم لم تقولون عن مخالفيكم إنهم ضالون وإنما هم على المشيئة ايضا فلا حجة لهم لأنهم تعلقوا بالمشيئة وتركوا الأمر ومشيئة الله تعم جميع الكائنات وأمره لا يعم مراداته فعلى العبد اتباع الأمر وليس له أن يتعلل بالمشيئة بعد ورود الأمر

قوله تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم قال ابن عباس أي قالوا لرسلهم مثلما قال هؤلاء لك حتى ذاقوا بأسنا أي عذابنا قل هل عندكم من علم أي كتاب نزل من عند الله في تحريم ما حرمتم إن تتبعون إلا الظن لا اليقين وإن بمعنى ما وتخرصون تكذبون

قل فلله الحجة البالغة فلوا شاء لهداكم أجمعين

قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة قال الزجاج حجته البالغة تبيينه أنه الواحد وإرساله الأنبياء بالحجج المعجزة قال السدي فلو شاء لهداكم أجمعين يوم أخذ الميثاق

(١٤٥/٣)

قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون

قوله تعالى قل هلم شهداءكم قال الزجاج زعم سيبويه أن هلم هاء ضمت إليها لم وجعلتا كالكلمة الواحدة فأكثر اللغات أن قال هلم للواحد والاثنين والجماعة بذلك جاء القرآن ومن العرب من يثني ويجمع ويؤنث فيقول للذكر هلم وللمرآة هلمي وللاثنين هلما وللثنتين هلما وللجماعة هلموا وللنسوة هلممن وقال ابن قتيبة هلم بمعنى تعالى وأهل الحجاز لا يثنونها ولا يجمعونها وأهل نجد يجعلونها من هلممت فيثنون ويجمعون ويؤنثون وتوصل باللام فيقال هلم لك وهلم لكما قال وقال الخليل أصلها لم وزيدت الهاء في أولها وخالفه الفراء فقال أصلها هل ضم إليها أم والرفعة التي في اللام من همزة أم لما تركت انتقلت إلى ما قبلها وكذلك اللهم يرى أصلها يا ألله أمنا بخير فكثرت في الكلام فاختلطت وتركت الهمزة وقال ابن الانباري معنى هلم أقبل وأصله أم يا رجل أي اقصد فضموا هل إلى أم وجعلوهما حرفا واحدا وأزالوا أم عن التصرف وحولوا ضمة الهمزة أم إلى اللام وأسقطوا الهمزة فاتصلت الميم باللام وإذا قال الرجل للرجل هلم فأراد أن يقول لا أفعل قال لا أهلم ولا أهلم قال مجاهد هذه الآية جواب قولهم إن الله حرم البحيرة والسائبة قال مقاتل الذين يشهدون أن الله حرم

(١٤٦/٣)

هذا الحرث والأنعام فان شهدوا أن الله حرمه فلا تشهد معهم أي لا تصدق قولهم

قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون

قوله تعالى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا ما بمعنى الذي وفي لا قولان أحدهما أنها زائدة كقوله أن لا تسجد

والثاني أنها ليست زائدة وإنما هي نافية فعلى هذا القول في تقدير الكلام ثلاثة أقوال

أحدها أن يكون قوله أن لا تشركوا محمولا على المعنى فتقديره أتل عليكم أن لا تشركوا أي أتل تحريم

الشرك

والثاني أن يكون المعنى أوصيكم أن لا تشركوا لأن قوله وبالوالدين إحسانا محمول على معنى أوصيكم بالوالدين إحسانا ذكرهما الزجاج

والثالث أن الكلام تم عند قوله حرم ربكم ثم في قوله عليكم قولان

أحدهما أنها إغراء كقوله عليكم أنفسكم فالتقدير عليكم أن لا تشركوا ذكره ابن الانباري

(١٤٧/٣)

والثاني أن يكون بمعنى فرض عليكم ووجب عليكم أن لا تشركوا وفي هذا الشرك قولان

أحدهما أنه ادعاء شريك مع الله عز و جل والثاني أنه طاعة غيره في معصيته

قوله تعالى ولا تقتلوا أولادكم يريد دفن البنات أحياء من إملاق أي من خوف فقر

قوله تعالى ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن فيه خمسة اقوال

أحدها أن الفواحش الزنا وما ظهر منه الإعلان به وما بطن الاستسرار به قاله ابن عباس والحسن والسدي

والثاني أن ما ظهر الخمر ونكاح المحرمات وما بطن الزنا قاله سعيد بن جبير ومجاهد

والثالث أن ما ظهر الخمر وما بطن الزنا قاله الضحاك

والرابع أنه عام في الفواحش وظاهرها علانيتها وباطنها سرها قاله قتادة

والخامس أن ما ظهر أفعال الجوارح وما بطن اعتقاد القلوب ذكره الماوردي في تفسير هذا الموضع

وفي تفسير قوله وذروا ظاهر الإثم وباطنه والنفس التي حرم الله نفس مسلم أو معاهد والمراد بالحق إذن الشرع

ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم قاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون

(١٤٨/٣)

قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده إنما خص مال اليتيم لأن الطمع فيه لقلة مراعيه وضعف مالكه أقوى

وفي قوله إلا بالتي هي أحسن أربعة أقوال

أحدها أنه أكل الوصي المصلح للمال بالمعروف وقت حاجته قاله ابن عباس وابن زيد

والثاني التجارة فيه قاله سعيد بن جبير ومجاهد والضحاك والسدي
والثالث أنه حفظه له إلى وقت تسليمه إليه قاله ابن السائب
والرابع أنه حفظه عليه وتثميره له قاله الزجاج قال وحتى محمولة على المعنى فالمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ أشده فاذا بلغ أشده فادفعوه إليه فأما الأشد فهو استحكام قوة الشباب والسن قال ابن قتيبة ومعنى الآية حتى يتناهى في النبات إلى حد الرجال يقال بلغ أشده إذا انتهى منتهاه قبل أن يأخذ في النقصان وقال أبو عبيدة الأشد لا واحد له منه فان أكرهوا على ذلك قالوا شد بمنزلة ضب والجمع أضب قال ابن الانباري وقال جماعة من البصريين واحد الأشد شد بضم الشين وقال بعض البصريين واحد الأشد شدة كقولهم نعمة وأنعم وقال بعض أهل اللغة الأشد اسم لا واحد له وللمفسرين في الأشد ثمانية أقوال
أحدها أنه ثلاث وثلاثون سنة رواه ابن جبير عن ابن عباس
والثاني ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين سنة قاله أبو صالح عن ابن عباس
والثالث أربعون سنة روي عن عائشة عليها السلام

(١٤٩/٣)

والرابع ثماني عشرة سنة قاله سعيد بن جبير ومقاتل
والخامس خمس وعشرون سنة قاله عكرمة
والسادس أربع وثلاثون سنة قاله سفيان الثوري
والسابع ثلاثون سنة قاله السدي وقال ثم جاء بعد هذه الآية حتى بلغوا النكاح فكأنه يشير إلى النسخ
والثامن بلوغ الحلم قاله زيد بن أسلم والشعبي ويحيى بن يعمر وربيعة ومالك بن أنس وهو الصحيح ولا أظن بالذين حكينا عنهم الأقوال التي قبله فسروا هذه الآية بما ذكر عنهم وإنما أظن أن الذين جمعوا التفاسير نقلوا هذه الأقوال من تفسير قوله تعالى ولما بلغ أشده إلى هذا المكان وذلك نهاية الأشد وهذا ابتداء تمامه وليس هذا مثل ذاك قال ابن جرير وفي الكلام محذوف ترك ذكره اكتفاء بدلالة ما ظهر عما حذف لأن المعنى حتى يبلغ أشده فإذا بلغ اشده فآنستم منه رشدا فادفعوا إليه ماله
قال المصنف إن أراد بما ظهر ما ظهر في هذه الآية فليس بصحيح وإنما استفيد إيناس الرشد والإسلام من آية أخرى وإنما أطلق في هذه الآية ما قيد في غيرها فحمل المطلق على المقيد
قوله تعالى وأوفوا الكيل أي أتموه ولا تنقصوا منه و الميزان أي وزن الميزان والقسط العدل لا نكلف نفسا إلا وسعها أي ما يسعها ولا تضيق عنه قال القاضي أبو يعلى لما كان الكيل والوزن يتعذر فيهما

التحديد بأقل القليل كلفنا الاجتهاد في التحري دون تحقيق الكيل والوزن
قوله تعالى وإذا قلتم فاعدلوا أي إذا تكلمتم أو شهدتم فقولوا الحق

(١٥٠/٣)

ولو كان المشهود له أو عليه ذا قرابة وعهد الله يشتمل على ما عهده إلى الخلق وأوصاهم به وعلى ما أوجبه الإنسان على نفسه من نذر وغيره ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون أي لتذكروه وتأخذوا به قرأ ابن كثير وأبو عمرو تذكرون ويذكرون ويذكر الإنسان وأن يذكر وليذكروا مشددا ذلك كله وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم وابن عامر كل ذلك بالتشديد إلا قوله أولا يذكر الإنسان فانهم خففوه روى أبان وحفص عن عاصم يذكرون خفيفة الذال في جميع القرآن قرأ حمزة والكسائي يذكرون مشددا إذا كان بالياء ومخففا إذا كان بالتاء
وأن هذه صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون
قوله تعالى وأن هذا صراطي مستقيما قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وأن بفتح الألف مع تشديد النون قال الفراء إن شئت جعلت أن مفتوحة بوقوع أتل عليها وإن شئت جعلتها خفضا على معنى ذلكم وصاكم به وبأن هذا صراطي مستقيما وقرأ ابن عامر بفتح الألف أيضا إلا أنه خفف النون فجعلها مخففة من الثقيلة وحكم إعرابها حكم تلك وقرأ حمزة والكسائي بتشديد النون مع كسر الألف قال الفراء وكسر الألف على الاستئناف وفي الصراط قولان
أحدهما أنه القرآن والثاني الإسلام وقد بينا إعراب قوله مستقيما أيضا فأما السبل فقال ابن عباس هي الضلالات وقال مجاهد

(١٥١/٣)

البدع والشبهات وقال مقاتل أراد ما حرموا على أنفسهم من الأنعام والحرث فتفرق بكم عن سبيله أي فتضلكم عن دينه
ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون
قوله تعالى ثم آتينا موسى الكتاب قال الزجاج ثم هاهنا للعطف على معنى التلاوة فالمعنى أتل ما حرم ربكم ثم اتل عليكم ما آتاه الله موسى
وقال ابن الانباري الذي بعد ثم مقدم على الذي قبلها في النية والتقدير ثم كنا قد آتينا موسى الكتاب

قبل إنزالنا القرآن على محمد صلى الله عليه و سلم
قوله تعالى تماما على الذي أحسن في قوله تماما قولان
أحدهما أنها كلمة متصلة بما بعدها تقول أعطيتك كذا تماما على كذا وتماما لكذا وهذا قول الجمهور
والثاني أن قوله تماما كلمة قائمة بنفسها غير متصلة بما بعدها

(١٥٢/٣)

والتقدير آتينا موسى الكتاب تماما أي في دفعة واحدة لم نفرق إنزاله كما فرق إنزال القرآن ذكره أبو سليمان الدمشقي
وفي المشار إليه بقوله أحسن أربعة أقوال
أحدها أنه الله عز و جل ثم في معنى الكلام قولان أحدهما تماما على إحسان الله إلى أنبيائه قاله ابن زيد والثاني تماما على إحسان الله تعالى إلى موسى وعلى هذين القولين يكون الذي بمعنى ما
والقول الثاني أنه إبراهيم الخليل عليه السلام فالمعنى تماما للنعمة على إبراهيم الذي أحسن في طاعة الله وكانت نبوة موسى نعمة على إبراهيم لأنه من ولده ذكره الماوردي
والقول الثالث أنه كل محسن من الانبياء وغيرهم وقال مجاهد تماما على المحسنين أي تماما لكل محسن وعلى هذا القول يكون الذي بمعنى من وعلى بمعنى لام الجر ومن هذا قول العرب أتم عليه وأتم له قال الراعي ... رعته أشهرا وخلا عليها ...
أي لها
قال ابن قتيبة ومثل هذا ان تقول أوصي بمالي للذي غزا وحج تريد للغازين والحاجين

(١٥٣/٣)

والقول الرابع أنه موسى ثم في معنى أحسن قولان
أحدهما أحسن في الدنيا بطاعة الله عز و جل قال الحسن وقتادة تماما لكرامته في الجنة إلى إحسانه في الدنيا وقال الربيع هو إحسان موسى بطاعته وقال ابن جرير تماما لنعمنا عنده على إحسانه في قيامه بأمرنا ونهينا
والثاني أحسن من العلم وكتب الله القديمة وكأنه زيد على ما أحسنه من التوراة ويكون التمام بمعنى الزيادة ذكره ابن الانباري فعلى هذين القولين يكون الذي بمعنى ما وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وأبو رزين والحسن وابن يعمر على الذي أحسن بالرفع قال الزجاج منعاه على الذي هو أحسن الأشياء وقرأ

عبد الله بن عمرو وأبو المتوكل وأبو العالية على الذي أحسن برفع الهمزة وكسر السين وفتح النون وهي تحتمل الإحسان وتحتمل العلم

قوله تعالى وتفصيلا لكل شيء أي تبيانا لكل شيء من أمر شريعتهم مما يحتاجون إلى علمه لكي يؤمنوا بالبعث والجزاء

وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون

قوله تعالى وهذا كتاب أنزلناه مبارك يعني القرآن فاتبعوه واتقوا أن تخالفوه لعلكم ترحمون قال الزجاج لتكونوا راجين للرحمة

أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين

قوله تعالى أن تقولوا سبب نزولها أن كفار مكة قالوا قاتل الله

(١٥٤/٣)

اليهود والنصارى كيف كذبوا أنبيائهم فوالله لو جاءنا نذير وكتاب لكنا أهدى منهم فنزلت هذه الآية قاله مقاتل قال الفراء أن في موضع نصب في مكانين أحدهما أنزلناه لئلا تقولوا والآخر من قوله واتقوا أن تقولوا وذكر الزجاج عن البصريين أن معناه أنزلناه كراهة أن تقولوا ولا يجيزون إضمار لا فأما الخطاب بهذه الآية فهو لأهل مكة والمراد إثبات الحجة عليهم بانزال القرآن كي لا يقولوا يوم القيامة إن التوراة والإنجيل أنزلا على اليهود والنصارى وكنا غافلين عما فيهما ودراستهم قراءتهم الكتب قال الكسائي وإن كنا عن دراستهم لغافلين لا نعلم ما هي لأن كتبهم لم تكن بلغتنا فأنزل الله كتابا بلغتهم لتنقطع حجتهم

أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جآءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون

قوله تعالى لكنا أهدى منهم قال الزجاج إنما كانوا يقولون هذا لأنهم مدلون بالأذهان والأفهام وذلك أنهم يحفظون أشعارهم وأخبارهم وهم أميون لا يكتبون فقد جاءكم بينة أي ما فيه البيان وقطع الشبهات قال ابن عباس فقد جاءكم بينة أي حجة وهو النبي والقرآن والهدى والبيان والرحمة والنعمة فمن أظلم أي أكفر ممن كذب بآيات الله يعني محمدا والقرآن وصدف عنها أعرض فلم يؤمن بها وسوء العذاب قبيحه

(١٥٥/٣)

هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون

قوله تعالى هل ينظرون أي ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر تأتيهم بالتاء وقرأ حمزة والكسائي يأتيهم بالياء وهذا الإتيان لقبض أرواحهم وقال مقاتل المراد بالملائكة ملك الموت وحده

قوله تعالى أو يأتي ربك قال الحسن أو يأتي أمر ربك وقال الزجاج أو يأتي إهلاكه وانتقامه إما بعذاب عاجل أو بالقيامة

قوله تعالى أو يأتي بعض آيات ربك وروى عبد الوارث إلا القزاز بتسكين ياء أو يأتي وفتحها الباقون وفي هذه الآية أربعة أقوال

أحدها أنه طلوع الشمس من مغربها رواه أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه و سلم وبه قال ابن مسعود وفي رواية زرارة بن أوفى عنه وعبد الله ابن عمرو ومجاهد وقتادة والسدي وقد روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمن من عليها فذلك حين لا ينفع نفسا

(١٥٦/٣)

إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا وروى عبد الله ابن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفي الناس العمل

والثاني أنه طلوع الشمس والقمر من مغربهما رواه مسروق عن ابن مسعود

والثالث أنه إحدى الآيات الثلاث طلوع الشمس من مغربها والدابة وفتح يأجوج ومأجوج روى هذا المعنى القاسم عن ابن مسعود

والرابع أنه طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض قاله أبو هريرة والأول أصح والمراد بالخير هاهنا العمل الصالح وإنما لم ينفع الإيمان والعمل الصالح حينئذ لظهور الآية التي تضطرهم إلى الإيمان وقال الضحاك من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع إيمانه قبل منه كما يقبل منه قبل الآية وقيل إن الحكمة في طلوع الشمس من مغربها أن الملحدة والمنجمين زعموا أن ذلك لا يكون فيريهم الله قدرته ويطلعها من المغرب كما أطلعها من المشرق ولتحقق عجز نمرود حين قال له إبراهيم فأت بها من المغرب فبهت

(١٥٧/٣)

فصل

وفي قوله قل انتظروا إنا منتظرون قولان

أحدهما أن المراد به التهديد فهو محكم

والثاني أنه أمر بالكف عن القتال فهو منسوخ بآية السيف

إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون

قوله تعالى إن الذين فرقوا دينهم قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو فرقوا مشددة وقرأ حمزة والكسائي فارقوا بألف وكذلك قرؤوا في الروم فمن قرأ فرقوا أراد آمنوا ببعض وكفروا ببعض ومن قرأ فارقوا أراد باينوا وفي المشار إليهم أربعة أقوال

أحدها أنهم أهل الضلالة من هذه الأمة قاله أبو هريرة

والثاني أنهم اليهود والنصارى قاله ابن عباس والضحاك وقتادة والسدي

والثالث اليهود قاله مجاهد

والرابع جميع المشركين قاله الحسن فعلى هذا القول دينهم الكفر الذي يعتقدونه دينا وعلى ما قبله دينهم الذي أمرهم الله به والشيع الفرق والأحزاب قال الزجاج ومعنى شيعت في اللغة اتبعت والعرب تقول شاعكم السلام وأشاعكم أي تبعكم

(١٥٨/٣)

قال الشاعر ... ألا يا نخلة من ذات عرق ... برود الظل شاعكم السلام ...

وتقول أتيتك غدا أو شيعة أي أو اليوم الذي يتبعه فمعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا وليس كلهم متفقين

وفي قوله تعالى لست منهم في شيء قولان

أحدهما لست من قتالهم في شيء ثم نسخ بآية السيف وهذا مذهب السدي

والثاني لست منهم أي أنت بريء منهم وهم منك برءاء إنما أمرهم إلى الله في جزائهم فتكون الآية محكمة

ومن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون

قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وقرأ يعقوب والقزاز عن عبد الوارث عشر بالتنوين أمثالها بالرفع قال ابن عباس يريد من عملها كتبت له عشر حسنات ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا جزاء مثلها وفي الحسنة والسيئة هاهنا قولان

أحدهما أن الحسنة قول لا إله إلا الله والسيئة الشرك قاله ابن مسعود ومجاهد والنخعي
والثاني أنه عام في كل حسنة وسيئة روى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه و سلم قال يقول الله عز و جل من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها أو أغفر فان قيل

(١٥٩/٣)

إذا كانت الحسنة كلمة التوحيد فأي مثل لها حتى يجعل جزاء قائلها عشر أمثالها فالجواب أن جزءا الحسنة معلوم القدر عند الله فهو يجازي فاعلها بعشر أمثاله وكذلك السيئة وقد أشرنا إلى هذا في المائدة عند قوله فكأنما قتل الناس جميعا فان قيل المثل مذكر فلم قال عشر أمثالها والهاء إنما تسقط في عدد المؤنث فالجواب أن الأمثال خلقت حسنات مؤنثة وتلخيص المعني فله عشر حسنات أمثالها فسقطت الهاء من عشر لأنها عدد مؤنث كما تسقط عند قولك عشر نعال وعشر جباب
قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين
قوله تعالى قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم قال الزجاج أي دلني على الدين الذي هو دين الحق ثم فسر ذلك بقوله دينا قيما قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو قيما مفتوحة القاف مشددة الياء والقيم المستقيم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي قيما بكسر القاف وتخفيف الياء قال الزجاج وهو مصدر كالصغر والكبر وقال مكي من خففه بناه على فعل وكان أصله أن يأتي بالواو فيقول قوما كما قالوا عوض وحول ولكنه شذ عن القياس قال الزجاج ونصب قوله دينا قيما محمول على المعنى لأنه لما قال هداني دل على عرفني دينا ويجوز أن يكون على البدل من قوله إلى صراط مستقيم فالمعنى هداني صراطا مستقيما دينا قيما وحنيفا منصوب على الحال من إبراهيم والمعنى هداني ملة إبراهيم في حال حنيفيته

(١٦٠/٣)

قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين
قوله تعالى قل إن صلاتي يريد الصلاة المشروعة والنسك جمع نسيكة وفي النسك هاهنا أربعة أقوال
أحدها أنها الذبائح قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وابن قتيبة والثاني الدين قاله الحسن
والثالث العبادة
قال الزجاج النسك كل ما تقرب به إلى الله عز و جل إلا أن الغالب عليه أمر الذبح

والرابع أنه الدين والحج والذبائح رواه أبو صالح عن ابن عباس
قوله تعالى ومحياي ومماتي الجمهور على تحريك ياء محياي وتسكين ياء مماتي وقرأ نافع بتسكين ياء محياي ونصب ياء مماتي ثم للمفسرين في معناه قولان
أحدهما أن معناه لا يملك حياتي ومماتي إلا الله
والثاني حياتي لله في طاعه ومماتي لله في رجوعي إلى جزائه ومقصود الآية أنه أخبرهم أن أفعالي وأحوالي لله وحده لا لغيره كما تشركون أنتم به
قوله تعالى وأنا أول المسلمين قال الحسن وقتادة أول المسلمين من هذه الأمة

(١٦١/٣)

قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
قوله تعالى قل أغير الله أبغي ربا سبب نزولها أن كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه و سلم ارجع عن هذا الأمر ونحن لك الكفلاء بما أصابك من تبعة فنزلت هذه الآية قاله مقاتل
قوله تعالى ولا تكسب كل نفس إلا عليها أي لا يؤخذ سواها بعملها وقيل المعنى إلا عليها عقاب معصيتها ولها ثواب طاعتها
ولا تزر وازرة وزر أخرى قال الزجاج لا تؤخذ نفس آثمة بإثم أخرى والمعنى لا يؤخذ أحد بذنب غيره
قال أبو سليمان ولما ادعت كل فرقة من اليهود والنصارى والمشركين أنهم أولى بالله من غيرهم عرفهم أنه الحاكم بينهم بقوله فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ونظيره إن الله يفصل بينهم يوم القيامة
وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم
قوله تعالى وهو الذي جعلكم خلائف الأرض قال أبو عبيدة الخلائف جمع خليفة
قال الشماخ ... تصيبهم وتخطئني المنايا ... وأخلف في ربوع عن ربوع

(١٦٢/٣)

وللمفسرين فيمن خلفوه ثلاثة أقوال
أحدها أنهم خلفوا الجن الذين كانوا سكان الأرض قاله ابن عباس
والثاني أن بعضهم يخلف بعضا قاله ابن قتيبة

والثالث أن أمة محمد خلفت سائر الأمم ذكره الزجاج
قوله تعالى ورفع بعضكم فوق بعض درجات أي في الرزق والعلم والشرف والقوة وغير ذلك ليبلوكم أي ليختبركم فيظهر منكم ما يكون عليه الثواب والعقاب
قوله تعالى إن ربك سريع العقاب فيه قولان
أحدهما أنه سماه سريعا لأنه آت وكل آت قريب
والثاني أنه إذا شاء العقوبة أسرع عقابه

(١٦٣/٣)

بسم الله الرحمن الرحيم سورة الأعراف
فصل في نزولها
روى العوفي وابن أبي طلحة وأبو صالح عن ابن عباس أن سورة الأعراف من المكي وهذا قول الحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقتادة وروي عن ابن عباس وقتادة أنها مكية إلا خمس آيات أولها قوله تعالى واسألهم عن القرية وقال مقاتل كلها مكية إلا قوله واسألهم عن القرية إلى قوله وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم فانهن مدنيات
آلمص
فأما التفسير فقوله تعالى المص قد ذكرنا في أول سورة البقرة كلاما مجملا في الحروف المقطعة أوائل السور فهو يعم هذه أيضا فأما ما يختص بهذه الآية ففيه سبعة أقوال
أحدها أن معناه أنا الله أعلم وأفصل رواه أبو الضحى عن ابن عباس

(١٦٤/٣)

والثاني أنه قسم أقسم الله به رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس
والثالث أنها اسم من أسماء الله تعالى رواه أبو صالح عن ابن عباس
والرابع أن الألف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد والصاد مفتاح اسمه صادق قاله أبو العالية
والخامس أن المص اسم للسورة قاله الحسن
والسادس أنه اسم من أسماء القرآن قاله قتادة
والسابع أنها بعض كلمة ثم في تلك الكلمة قولان

أحدهما المصور قاله السدي والثاني المصير إلى كتاب أنزل إليك ذكره الماوردي

كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين

قوله تعالى كتاب أنزل إليك قال الأخفش رفع الكتاب بالابتداء ومذهب الفراء أن الله اكتفى في مفتتح السور ببعض حروف المعجم عن جميعها كما يقول القائل ا ب ت ث ثمانية وعشرون حرفا فالمعنى حروف المعجم كتاب أنزلناه إليك قال ابن الانباري ويجوز أن يرتفع الكتاب باضمار هذا الكتاب وفي الحرج قولان

أحدهما أنه الشك قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن قتيبة

والثاني أنه الضيق قاله الحسن والزجاج وفي هاء منه قولان

أحدهما أنها ترجع إلى الكتاب فعلى هذا في معنى الكلام قولان أحدهما لا يضيقن صدرك بالإبلاغ ولا تخافن قاله الزجاج والثاني لا تشكن أنه من عند الله

(١٦٥/٣)

والقول الثاني أنها ترجع إلى مضمر وقد دل عليه الإنذار وهو التكذيب ذكره ابن الانباري قال الفراء فمعنى الآية لا يضيقن صدرك إن كذبوك قال الزجاج وقوله تعالى لتنذر به مقدم والمعنى أنزل إليه لتنذر به وذكرى للمؤمنين فلا يكن في صدرك حرج منه وذكرى يصلح أن يكون في موضع رفع ونصب وخفض فأما النصب فعلى قوله أنزل إليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين أي ولتذكر به ذكرى لان في الإنذار معنى التذكير ويجوز الرفع على أن يكون وهو ذكرى كقولك وهو ذكرى للمؤمنين فأما الخفض فعلى معنى لتنذر لأن معنى لتنذر لأن تنذر المعنى للانذار والذكرى وهو في موضع خفض

إتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون

قوله تعالى اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم إن قيل كيف خاطبه بالإفراد في الآية الأولى ثم جمع بقوله اتبعوا فعنه ثلاثة أجوبة

أحدها أنه لما علم أن الخطاب له ولأمته حسن الجمع لذلك المعنى

والثاني أن الخطاب الأول خاص له والثاني محمول على الإنذار والإنذار في طريق القول فكأنه قال لتقول لهم منذرا اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ذكرهما ابن الانباري

والثالث أن الخطاب الثاني للمشركين ذكره جماعة من المفسرين قال والذي أنزل إليهم القرآن وقال الزجاج الذي أنزل القرآن وما أتى عن النبي صلى الله عليه و سلم لأنه مما أنزل عليه لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه

(١٦٦/٣)

وما نهاكم عنه فانتهوا ولا تتبعوا من دونه أولياء أي لا تتولوا من عدل عن دين الحق وكل من ارتضى مذهبا فهو ولي أهل المذهب وقوله تعالى قليلا ما تذكرون ما زائدة مؤكدة والمعنى قليلا تتذكرون قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم تذكرون مشددة الذال والكاف وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون خفيفة الذال مشددة الكاف قال أبو علي من قرأ تذكرون بالتشديد أراد تتذكرون فأدغم التاء في الذال وإدغامها فيها حسن لأنها التاء مهموسة والذال مجهورة والمجهور أزيد صوتا من المهموس وأقوى فادغام الأنقص في الأزيد حسن وأما حمزة ومن وافقه فانهم حذفوا التاء التي أدغمها هؤلاء وذلك حسن لاجتماع ثلاثة أحرف متقاربة وقرأ ابن عامر يتذكرون بياء وتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه و سلم والمعنى قليلا ما يتذكر هؤلاء الذين ذكروا بهذا الخطاب

وكم من قرية أهلكناها فجآءها بأسنا بياتا أو هم قائلون

قوله تعالى وكم من قرية أهلكناها كم تدل على الكثرة ورب موضوعة للقلة قال الزجاج المعنى وكم من أهل قرية فحذف الأهل لأن في الكلام دليلا عليه

وقوله تعالى فجاءها بأسنا محمول على لفظ القرية والمعنى فجاءهم بأسنا غفلة وهم غير متوقعين له إما ليلا وهم نائمون أو نهارا وهم قائلون قال ابن قتيبة بأسنا عذابنا وبياتا ليلا وقائلون من القائلة نصف النهار فان قيل إنما أتاها البأس قبل الإهلاك فكيف يقدم الهلاك فعنه ثلاثة أجوبة

(١٦٧/٣)

أحدها أن الهلاك والبأس يقعان معا كما تقول أعطيتني فأحسنت وليس الإحسان بعد الإعطاء ولا قبله وإنما وقعا معا قاله الفراء

والثاني أن الكون مضمر في الآية تقديره أهلكناها وكان بأسنا قد جاءها فأضمر الكون كما أضمر في قوله واتبعوا ما تتلوا الشياطين أي ما كانت الشياطين تتلوه وقوله تعالى إن يسرق أي إن يكن سرق

والثالث أن في الآية تقديما وتأخيرا تقديره وكم من قرية جاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون فأهلكناها كقوله تعالى إني متوفيك ورافعك إلي أي رافعك ومتوفيك ذكرهما ابن الانباري

قوله تعالى أو هم قائلون قال الفراء فيه واو مضمرة والمعنى فجاءها بأسنا بياتا أو وهم قائلون فاستثقلوا نسقا على نسق

فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين

قوله تعالى فما كان دعواهم قال اللغويون الدعوى هاهنا بمعنى الدعاء والقول والمعنى ما كان قولهم

وتداعيهم إذ جاءهم العذاب إلا الاعتراف بالظلم قال ابن الانباري وللدعوى في الكلام موضعان أحدهما الإدعاء والثاني القول والدعاء

(١٦٨/٣)

قال الشاعر ... إذا مذلت رجلي دعوتك أشتفي ... بدعواك من مذل بها فيهون ...

فلنسئلن الذين أرسل إليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين

قوله تعالى فلنسألن الذين أرسل إليهم يعني الأمم يسألون هل بلغكم الرسل وماذا أجبتم ويسأل الرسل هل بلغتم وماذا أجبتم فلنقصن عليهم أي فلنخبرنهم بما عملوا بعلم منا وما كنا غائبين عن الرسل والأمم وقال ابن عباس يوضع الكتاب فيتكلم بما كانوا يعملون

والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون

قوله تعالى والوزن يومئذ الحق أي العدل وإنما قال موازينه لأن من في معنى جميع يدل عليه قوله فأولئك وفي معنى يظلمون قولان

أحدهما يجحدون والثاني يكفرون

قال الفراء والمراد بموازينه وزنه والعرب تقول هل لك في درهم بميزان درهمك ووزن درهمك ويقولون داري بميزان دارك ووزن دارك ويريدن حذاء دارك

(١٦٩/٣)

قال الشاعر ... قد كنت قبل لقائكم ذا مرة ... عندي لكم مخاصم ميزانه ...

يعني مثل كلامه ولفظه

فصل

والقول بالميزان مشهور في الحديث وظاهر القرآن ينطق به وأنكرت المعتزلة ذلك وقالوا الأعمال أعراض فكيف توزن فالجواب أن الوزن يرجع إلى الصحائف بدليل حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال إن الله عز و جل يستخلص رجلا من أمتي على رؤوس الناس يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول له أتنكر من هذا شيئا أظلمتك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول ألك عذر أو حسنة فيبهت الرجل فيقول لا يا رب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة أخرجه أحمد في مسنده والترمذي وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال يؤتى بالرجل الطويل الأكول

(١٧٠/٣)

الشروب فلا يزن جناح بعوضة فعلى هذا يوزن الإنسان قال ابن عباس توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان فأما المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة فيوضع في كفة الميزان فتثقل حسناته على سيئاته وأما الكافر فيؤتى بعمله في أقبح صورة فيوضع في كفة الميزان فيخف وزنه وقال الحسن للميزان لسان وكفتان وجاء في الحديث أن داود عليه السلام سأل ربه ان يريه الميزان فأراه إياه فقال يا إلهي من يقدر أن يملأ كفتيه حسنات فقال يا داود إني إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة وقال حذيفة جبريل صاحب الميزان يوم القيامة فيقول له ربه زن بينهم ورد من بعضهم على بعض فيرد على المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة فان لم تكن له حسنة أخذ من سيئات المظلوم فرد على سيئات الظالم فيرجع وعليه مثل الجبال

فان قيل أليس الله يعلم مقادير الأعمال فما الحكمة في وزنها فالجواب أن فيه خمسة حكم أحدها امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا والثانية إظهار علامة السعادة والشقاوة في الأخرى والثالثة تعريف العباد ما لهم من خير وشر والرابعة إقامة الحجة عليهم والخامسة الإعلام بأن الله عادل لا يظلم ونظير هذا أنه أثبت الاعمال في كتاب واستنسخها من غير جواز النسيان عليه

(١٧١/٣)

ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون

قوله تعالى ولقد مكناكم في الأرض فيه قولان

أحدهما مكناكم إياها والثاني سهلنا عليكم التصرف فيها

وفي المعايش قولان

أحدهما ما تعيشون به من المطاعم والمشارب

والثاني ما تتوصلون به إلى المعايش من زراعة وعمل وكسب وأكثر القراء على ترك الهمز في معايش وقد رواها خارجة عن نافع مهموزة قال الزجاج وجميع النحويين البصريين يزعمون أن همزها خطأ لأن الهمز إنما يكون في الياء الزائدة نحو صحيفة وصحائف فصحيفة من الصحف والياء زائدة فأما معايش

فمن العيش فالياء أصلية
قوله تعالى قليلا ما تشكرون أي شكركم قليل وقال ابن عباس يريد أنكم غير شاكرين
ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين
قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم فيه ثمانية أقوال
أحدها ولقد خلقناكم في ظهر آدم ثم صورناكم في الأرحام رواه عبد الله بن الحارث عن ابن عباس
والثاني ولقد خلقناكم في أصلاب الرجال وصورناكم في أرحام النساء رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وبه قال عكرمة

(١٧٢/٣)

والثالث ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم يعني ذريته من بعده رواه العوفي عن ابن عباس
والرابع ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم في ظهره قاله مجاهد
والخامس خلقناكم نطفا في أصلاب الرجال وترائب النساء ثم صورناكم عند اجتماع النطف في الأرحام قاله ابن السائب
والسادس خلقناكم في بطون أمهاتكم ثم صورناكم فيما بعد الخلق بشق السمع والبصر قاله معمر
والسابع خلقناكم يعني آدم خلقناه من تراب ثم صورناكم أي صورناه قاله الزجاج وابن قتيبة قال ابن قتيبة فجعل الخلق لهم إذ كانوا منه فمن قاله عني بقوله خلقناكم آدم فمعناه خلقنا أصلكم ومن قال صورنا ذريته في ظهره أراد إخراجهم يوم الميثاق كهيئة الذر
والثامن ولقد خلقناكم يعني الأرواح ثم صورناكم يعني الأجساد حكاه القاضي أبو يعلى في المعتمد وفي ثم المذكورة مرتين قولان
أحدهما أنها بمعنى الواو قاله الأخفش والثاني أنها للترتيب قاله الزجاج
قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين
قوله تعالى ما منعك ألا تسجد ما استفهام ومعناها الإنكار قال الكسائي لا هاهنا زائدة والمعنى ما منعك أن تسجد وقال الزجاج موضع ما رفع والمعنى أي شيء منعك من السجود ولا زائدة

(١٧٣/٣)

مؤكدة ومثله لئلا يعلم أهل الكتاب قال ابن قتيبة وقد تزاد لا في الكلام والمعنى طرحها لإباء في الكلام أو جحد كهذه الآية وإنما زاد لا لأنه لم يسجد ومثله أنها إذا جاءت لا يؤمنون على قراءة من فتح أنها

فزاد لا لأنهم لم يؤمنوا ومثله وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون وقال الفراء لا هاهنا جحد محض وليست بزائدة والمنع راجع إلى تأويل القول والتأويل من قال لك لا تسجد فأحل المنع محل القول ودخلت بعده أن ليدل على تأويل القول الذي لم يتصرح لفظه وقال ابن جرير في الكلام محذوف تقديره ما منعك من السجود فأحوجك أن لا تسجد قال الزجاج وسؤال الله تعالى لإبليس ما منعك توبيخ له وليظهر أنه معاند ولذلك لم يتب وأتى بشيء في معنى الجواب ولفظه غير الجواب لأن قوله أنا خير منه إنما هو جواب أيكما خير ولكن المعنى منعني من السجود فضلي عليه ومثله قولك للرجل كيف كنت فيقول أنا صالح وإنما الجواب كنت صالحا فيجيب بما يحتاج إليه وزيادة قال العلماء وقع الخطأ من إبليس حين قاس مع وجود النص وخفي عليه فضل الطين على النار وفضله من وجوه

أحدها أن من طبع النار الطيش والالتهاب والعجلة ومن طبع الطين الهدوء والرزانة

والثاني أن الطين سبب الإنبات والإيجاد والنار سبب الإعدام والإهلاك

والثالث أن الطين سبب جمع الأشياء والنار سبب تفريقها

قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين

(١٧٤/٣)

قوله تعالى فاهبط منها في هاء الكناية قولان

أحدهما أنها ترجع إلى السماء لأنه كان فيها قاله الحسن

والثاني إلى الجنة قاله السدي

قوله تعالى فما يكون لك أن تتكبر فيها إن قيل فهل لأحد أن يتكبر في غيرها فالجواب أن المعنى ما للمتكبر أن يكون فيها وإنما المتكبر في غيرها وأما الصاغر فهو الذليل والصغار الذل قال الزجاج استكبر إبليس بابائه السجود فأعلمه الله أنه صاغر بذلك

قال أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين

قوله تعالى قال أنظرني أي أمهلني وأخرني إلى يوم يبعثون فأراد أن يعبر فنطرة الموت وسأل الخلود فلم يجبه إلى ذلك وأنظره إلى النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم وقد بين مدة إمهاله في الحجر بقوله إلى يوم الوقت المعلوم وفي ما سأل الإمهال له قولان

أحدهما الموت والثاني العقوبة فان قيل كيف قيل له إنك من المنظرين وليس أحد أنظر سواه فالجواب أن الذين تقوم عليهم الساعة منظرون إلى ذلك الوقت بآجالهم فهو منهم

قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم

قوله تعالى فبما أغويتني في معنى هذا الإغواء قولان

أحدهما أنه بمعنى الإضلال قاله ابن عباس والجمهور
والثاني أنه بمعنى الإهلاك ومنه قوله فسوف يلقون غيا أي هلاكا ذكره ابن الأنباري وفي معنى فبما قولان

(١٧٥/٣)

أحدهما أنها بمعنى القسم أي فباغوائك لي
والثاني أنها بمعنى الجزاء أي فبأنك أغويتني ولأجل أنك أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم قال الفراء والزجاج أي على صراطك ومثله قولهم ضرب زيد الظهر والبطن وفي المراد بالصراط هاهنا ثلاثة أقوال
أحدها أنه طريق مكة قاله ابن مسعود والحسن وسعيد بن جبير كأن المراد صدهم عن الحج
والثاني أنه الأسلام قاله جابر بن عبد الله وابن الحنيفة ومقاتل
والثالث أنه الحق قاله مجاهد
ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين
قوله تعالى ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم فيه سبعة أقوال
أحدها من بين أيديهم أشككهم في آخرتهم ومن خلفهم أرغبهم في دنياهم وعن أيمانهم أي من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيئاتهم قاله ابن عباس
والثاني مثله إلا أنهم جعلوا من بين أيديهم الدنيا ومن خلفهم الآخرة قاله النخعي والحكم بن عتيبة
والثالث مثل الثاني إلا أنهم جعلوا وعن أيمانهم من قبل الحق أصدهم عنه وعن شمائلهم من قبل الباطل أردهم إليه قاله مجاهد والسدي
والرابع من بين أيديهم من سبيل الحق ومن خلفهم من سبيل

(١٧٦/٣)

الباطل وعن أيمانهم من قبل آخرتهم وعن شمائلهم من أمر الدنيا قاله أبو صالح
والخامس من بين أيديهم وعن أيمانهم من حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم من حيث لا يبصرون نقل عن مجاهد أيضا
والسادس أن المعنى لأتصرفن لهم في الإضلال من جميع جهاتهم قاله الزجاج وأبو سليمان الدمشقي فعلى هذا يكون ذكر هذه الجهات للمبالغة في التأكيد

والسابع من بين أيديهم فيما بقي من أعمارهم فلا يقدمون فيه على طاعة ومن خلفهم فيما مضى من أعمارهم فلا يتوبون فيه من معصية وعن أيمانهم من قبل الغنى فلا ينفقونه في مشكور وعن شمائلهم من قبل الفقر فلا يمتنعون فيه من محظور قاله الماوردي

قوله تعالى ولا تجد أكثرهم شاكرين فيه قولان

أحدهما موحدين قاله ابن عباس

والثاني شاكرين لنعمتك قاله مقاتل فان قيل من أين علم إبليس ذلك فقد أسلفنا الجواب عنه في سورة النساء

قال اخرج منها مذؤما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين

قوله تعالى قال فاخرج منها مذؤوما قرأ الأعمش مذوما بضم الذال

(١٧٧/٣)

من غير همز قال الفراء الذأم الذم يقال ذأمت الرجل أذأمه ذأما وذممته أذمه ذما وذمته أذيمه ذيما ويقال رجل مذؤوم ومذموم ومذيم بمعنى قال حسان بن ثابت ... واقاموا حتى أبيروا جميعا ... في مقام وكلهم مذؤوم ...

قال ابن قتيبة المذؤوم المذموم بأبلغ الذم والمدحور المقصى المبعد وقال الزجاج معنى المذؤوم كمعنى المذموم والمدحور المبعد من رحمة الله واللام من لأملأن لام القسم والكلام بمعنى الشرط والجزاء كأنه قيل له من تبعك أعذبه فدخلت اللام للمبالغة والتوكيد فلام لأملأن هي لام القسم ولام لمن تبعك توطئة لها فأما قوله منهم فقال ابن الانباري الهاء والميم عائدتان على ولد آدم لانه حين قال ولقد خلقناكم ثم صورناكم كان مخاطبا لولد آدم فرجع إليهم فقال لمن تبعك منهم فجعلهم غائبين لأن مخاطبتهم في ذا الموضع توقع لبسا والعرب ترجع من الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى الخطاب ومن قال ولقد خلقناكم ثم صورناكم خطاب لآدم قال أعاد الهاء والميم على ولده لأن ذكره يكفي من ذكرهم والعرب تكتفي بذكر الوالد من ذكر الأولاد إذا انكشف المعنى وزال اللبس قال الشاعر ... ارى الخطفى بذ الفرزدق شعره ... ولكن خيرا من كليب مجاشع ...

أراد ارى ابن الخطفي فاكتفى بالخطفي من ابنه

قوله تعالى لأملأن جهنم منكم يعني أولاد آدم المخالفين وقرناءهم من الشياطين

(١٧٨/٣)

فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين

قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان قيل إن الوسوسة إخفاء الصوت قال ابن فارس الوسواس صوت الحلي ومنه وسواس الشيطان ولهما بمعنى إليهما ليبدي لهما أي ليظهر لهما ماووري عنهما أي ستر وقيل إن لام ليبدي لام العاقبة وذلك أن عاقبة الوسوسة أدت إلى ظهور عورتهما ولم تكن الوسوسة لظهورها

قوله تعالى إلا أن تكونا ملكين قال الأخفش والزجاج معناه ما نهاكما إلا كراهة أن تكونا ملكين وقال ابن الانباري المعنى إلا أن لا تكونا فاكتفى بأن من لا فأسقطها فان قيل كيف انقاد آدم لإبليس مستشرفا إلى أن يكون ملكا وقد شاهد الملائكة ساجدة له فعنه جوابان

أحدهما أنه عرف قربهم من الله واجتماع أكثرهم حول عرشه فاستشرف لذلك قاله ابن الأنباري

والثاني أن المعنى إلا أن تكونا طويلي العمر مع الملائكة أو تكونا من الخالدين لا تموتان أبدا قاله أبو سليمان الدمشقي وقد روى يعلى بن حكيم عن ابن كثير أن تكونا ملكين بكسر اللام وهي قراءة الزهري

وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين فدليهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة

(١٧٩/٣)

وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون

قوله تعالى وقاسمهما قال الزجاج حلف لهما فدلاهما في المعصية بأن غرهما

قال ابن عباس غرهما باليمين وكان آدم لا يظن أن أحدا يحلف بالله كاذبا

قوله تعالى فلما ذاقا الشجرة أي فلما ذاقا ثمر الشجرة قال الزجاج وهذا يدل على أنهما ذاقاها ذواقا ولم يبالغا في الأكل والسوأة كناية عن الفرج لا أصل له في تسميته ومعنى طفقا أخذا في الفعل والأكثر طفق يطفق وقد رويت طفق يطفق بكسر الفاء ومعنى يخصفان يجعلان ورقة على ورقة ومنه قيل للذي يرقع النعل خصاف

وفي الآية دليل على أن إظهار السوأة قبيح من لدن آدم ألا ترى إلى قوله ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما فانهما بادرا يستتران لقبح التكشف وقيل إنما سميت السوأة سوأة لأن كشفها يسوء صاحبها قال وهب بن منبه كان لباسهما نورا على فروجهما لا يرى أحدهما عورة الآخر فلما أصابا الخطيئة بدت لهما سوءاتهما وقرأ الحسن سوأتهما على التوحيد وكذلك قرأ سخصفان بكسر الياء

والخاء مع تشديد الصاد وقرأ الزهري بضم الياء وفتح الخاء مع تشديد الصاد وفي الورق قولان أحدهما ورق التين قاله ابن عباس

(١٨٠/٣)

والثاني ورق الموز ذكره المفسرون وما بعد هذا قد سبق تفسيره إلى قوله قال فيها تحيون يعني الأرض واختلف القراء في تاء تخرجون فقرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو بضم التاء وفتح الراء هاهنا وفي الروم وكذلك تخرجون وفي الزخرف كذلك تخرجون وفي الجاثية لا يخرجون منها وقرأهن حمزة والكسائي بفتح التاء وضم الراء وفتح ابن عامر التاء في الاعراف فقط فأما التي في الروم إذا أنتم تخرجون وفي سأل سائل يوم يخرجون فمفتوحتان من غير خلاف

يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون – قوله تعالى يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا سبب نزولها أن ناسا من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة فنزلت هذه الآية قاله مجاهد وقيل إنه لما ذكر عري آدم من علينا باللباس وفي معنى أنزلنا عليكم ثلاثة اقوال

أحدها خلقنا لكم والثاني ألهمناكم كيفية صنعه والثالث أنزلنا المطر الذي هو سبب نبات ما يتخذ لباس وأكثر القراء قرؤوا وريشا وقرأ ابن عباس والحسن وزر بن حبيش وقتادة والمفضل وأبان عن عاصم ورياشا بألف قال الفراء يجوز أن تكون الرياش جميع الريش ويجوز أن تكون بمعنى الريش كما قالوا لبس ولباس

(١٨١/٣)

قال الشاعر ... فلما كشفن اللبس عنه مسحنه ... بأطراف طفل زان غيلا موشما ...

قال ابن عباس ومجاهد الرياش المال وقال عطاء المال والنعيم وقال ابن زيد الريش الجمال وقال معبد الجهني الريش الرزق وقال ابن قتيبة الريش والرياش ما ظهر من اللباس وقال الزجاج الريش اللباس وكل ما ستر الإنسان في جسمه ومعيشته يقال تريش فلان أي صار له ما يعيش به أنشد سيبويه ... رياشي منكم وهواي معكم ... وإن كانت زيارتكم لماما ...

وعلى قول الأكثرين الريش والرياش بمعنى قال قطرب الريش والرياش واحد وقال سفيان الثوري الريش المال والرياش الثياب

قوله تعالى ولباس التقوى قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة ولباس التقوى بالرفع وقرأ ابن عامر

ونافع والكسائي بنصب اللباس قال الزجاج من نصب اللباس عطف به على الريش ومن رفعه فيجوز أن يكون مبتدأ ويجوز أن يكون مرفوعا باضمار هو المعنى وهو لباس التقوى أي وستر العورة لباس المتقين وللمفسرين في لباس التقوى عشرة أقوال

(١٨٢/٣)

أحدها أنه السمت الحسن قاله عثمان بن عفان ورواه الذيال بن عمرو عن ابن عباس والثاني العمل الصالح رواه العوفي عن ابن عباس والثالث الإيمان قاله قتادة وابن جريج والسدي فعلى هذا سمي لباس التقوى لأنه يقي العذاب والرابع خشية الله تعالى قاله عروة بن الزبير والخامس الحياء قاله معبد الجهني وابن الانباري والسادس ستر العورة للصلاة قاله ابن زيد والسابع انه الدرع وسائر آلات الحرب قاله زيد بن علي والثامن العفاف قاله ابن السائب والتاسع أنه ما يتقى به الحر والبرد قاله ابن بحر والعاشر أن المعنى ما يلبسه المتقون في الآخرة خير مما يلبسه أهل الدنيا رواه عثمان ابن عطاء عن أبيه

قوله تعالى ذلك خير قاله ابن قتيبة المعنى ولباس التقوى خير من الثياب لأن الفاجر وإن كان حسن الثوب فهو بادي العورة وذلك زائدة قال الشاعر في هذا المعنى ... إني كأني أرى من لا حياء له ... ولا أمانة وسط القوم عريانا ...

قال ابن الانباري ويقال لباس التقوى هو اللباس الأول وإنما أعاده لما أخبر عنه بأنه خير من التعري إذ كانوا يتعبدون في الجاهلية بالتعري في الطواف

قوله تعالى ذلك من آيات الله قال مقاتل يعني الثياب والمال من آيات الله وصنعه لكي يذكروا فيعتبروا في صنعه

يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون

(١٨٣/٣)

قوله تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان قال المفسرون هذا الخطاب للذين كانوا يطوفون عراة والمعنى لا يخدعنكم ولا يضلنكم بغروره فيزين لكم كشف عوراتكم كما أخرج أبويكم من الجنة بغروره وأضيف الإخراج ونزع اللباس إليه لأنه السبب وفي لباسهما أربعة أقوال

أحدها أنه النور رواه أبو صالح عن ابن عباس وقد ذكرناه عن ابن منبه

والثاني أنه كان كالظفر فلما أكلا لم يبق عليهما منه إلا الظفر رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وبه قال

عكرمة وابن زيد

والثالث أنه التقوى قاله مجاهد

والرابع أنه كان من ثياب الجنة ذكره القاضي أبو يعلى

قوله تعالى ليريهما سوءاتهما أي ليري كل واحد منهما سوأة صاحبه إنه يراكم هو وقبيله قال مجاهد قبيله الجن والشياطين قال ابن عباس جعلهم الله يجرون من بني آدم مجرى الدم وصدور بني آدم مساكن لهم فهم يرون بني آدم وبنو آدم لا يرونهم

قوله تعالى إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون قال الزجاج سلطناهم عليهم يزيدون في غيهم وقال أبو سليمان جعلناهم موالين لهم

وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء اتقولون على الله مالا تعلمون

قوله تعالى وإذا فعلوا الفاحشة فيمن عني بهذه الآية ثلاثة اقوال

أحدها أنهم الذين كانوا يطوفون بالبيت عراة والفاحشة كشف العورة رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وبه قال مجاهد وزيد بن أسلم والسدي

(١٨٤/٣)

والثاني أنهم الذين جعلوا السائبة والوصيلة والحام وتلك الفاحشة روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس

والثالث أنهم المشركون والفاحشة الشرك قاله الحسن وعطاء قال الزجاج فأعلمهم عز و جل أنه لا يأمر بالفحشاء لأن حكمته تدل على أنه لا يفعل إلا المستحسن والقسط العدل والعدل ما استقر في النفوس أنه مستقيم لا ينكره مميز فكيف يأمر بالفحشاء وهي ما عظم قبحه

قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون

قوله تعالى وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد فيه أربعة أقوال

أحدها إذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن أحدكم أصلي في مسجدي قاله ابن عباس والضحاك واختاره ابن قتيبة

والثاني توجهوا حيث كنتم في الصلاة إلى الكعبة قاله مجاهد والسدي وابن زيد

والثالث اجعلوا سجودكم خالصا لله تعالى دون غيره قاله الربيع بن أنس

والرابع اقصدوا المسجد في وقت كل صلاة أمرا بالجماعة لها ذكره الماوردي وفي قوله وادعوه قولان أحدهما أنه العبادة والثاني الدعاء وفي قوله مخلصين له الدين قولان

أحدهما مفردين له العبادة والثاني موحدين غير مشركين
وفي قوله كما بدأكم تعودون ثلاثة أقوال
أحدها كما بدأكم سعداء وأشقياء كذلك تبعثون روى هذا المعنى

(١٨٥/٣)

علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال مجاهد والقرظي والسدي ومقاتل والفراء
والثاني كما خلقتم بقدرته كذلك يعيدكم روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس وبه قال الحسن وابن زيد والزجاج وقال هذا الكلام متصل بقوله فيها تحيون وفيها تموتون
والثالث كما بدأكم لا تملكون شيئا كذلك تعودون ذكره الماوردي
فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون
قوله تعالى فريقا هدى قال الفراء نصب الفريق ب تعودون وقال ابن الانباري نصب فريقا وفريقا على الحال من الضمير الذي في تعودون يريد تعودون كما ابتدأ خلقكم مختلفين بعضكم سعداء وبعضكم أشقياء
قوله تعالى حق عليهم الضلالة أي بالكلمة القديمة والإرادة السابقة
يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين
قوله تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم سبب نزولها أن ناسا من الأعراب كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل وكانت المرأة تعلق على فرجها سيورا وتقول ... اليوم يبدو بعضه أو كله ... وما بدا منه فلا أحله

(١٨٦/٣)

فنزلت هذه الآية قاله ابن عباس وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن كانوا إذا حجوا فأفاضوا من منى لا يصلح لأحد منهم في دينه الذي اشترعوا أن يطوف في ثوبيه فيلقيهما حتى يقضي طوافه فنزلت هذه الآية وقال الزهري كانت العرب تطوف بالبيت عراة إلا الحمس قريش وأحلافها فمن جاء من غيرهم وضع ثيابه وطاف في ثوبي أحمس فان لم يجد من يعيره من الحمس ألقى ثيابه وطاف عريانا فان طاف في ثياب نفسه جعلها حراما عليه إذا قضى الطواف فلذلك جاءت هذه الآية وفي هذه الزينة قولان
أحدهما أنها الثياب ثم فيه ثلاثة أقوال أحدها أنه ورد في ستر العورة في الطواف قاله ابن عباس والحسن في جماعة والثاني أنه ورد في ستر العورة في الصلاة قاله مجاهد والزجاج والثالث أنه ورد في

التزين بأجمل الثياب في الجمع والأعياد ذكره الماوردي
والثاني أن المراد بالزينة المشط قاله أبو رزين
قوله تعالى وكلوا واشربوا قال ابن السائب كان أهل الجاهلية لا يأكلون في أيام حجهم دسما ولا ينالون من الطعام إلا قوتا تعظيما لحجتهم فنزل قوله وكلوا واشربوا وفي قوله ولا تسرفوا أربعة اقوال
أحدها لا تسرفوا بتحريم ما أحل لكم قاله ابن عباس
والثاني لا تأكلوا حراما فذلك الإسراف قاله ابن زيد

(١٨٧/٣)

والثالث لا تشركوا فمعنى الإسراف هاهنا الإشراك قاله مقاتل
والرابع لا تأكلوا من الحلال فوق الحاجة قاله الزجاج
ونقل أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء فقال علي قد جمع الله تعالى الطب في نصف آية من كتابنا قال ما هي قال قوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا قال النصراني ولا يؤثر عن نبيكم شيء من الطب فقال قد جمع رسولنا علم الطب في ألفاظ يسيرة قال وما هي قال المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وعودوا كل بدن ما اعتاد فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا
قال المصنف هكذا نقلت هذه الحكاية إلا أن هذا الحديث المذكور فيها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يثبت وقد جاءت عنه في الطب أحاديث قد ذكرتها في كتاب لقط المنافع في الطب
قل من حرم زينة الله التي أخرج لعبادة والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون
قوله تعالى قل من حرم زينة الله في سبب نزولها ثلاثة أقوال

(١٨٨/٣)

أحدها أن المشركين عيروا المسلمين إذ لبسوا الثياب في الطواف وأكلوا الطيبات فنزلت رواه أبو صالح عن ابن عباس
والثاني أنهم كانوا يحرمون أشياء أحلها الله من الزروع وغيرها فنزلت هذه الآية رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس
والثالث نزلت في طوافهم بالبيت عراة قاله طاووس وعطاء وفي زينة الله قولان

أحدهما أنها ستر العورة فالمعنى من حرم أن تلبسوا في طوافكم ما يستركم
والثاني أنها زينة اللباس وفي الطيبات قولان
أحدهما أنها الحلال والثاني المستلذ ثم في ما عني بها ثلاثة اقوال
أحدها أنها البحائر والسوائب والوصائل والحوامي التي حرموها قاله ابن عباس وقتادة
والثاني أنها السمن والألبان واللحم وكانوا حرموه في الإحرام قاله ابن زيد والثالث الحرث والأنعام والألبان قاله مقاتل
قوله تعالى قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة قال ابن الانباري خالصة نصب على الحال من لام مضمرة تقديرها هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا مشتركة وهي لهم في الآخرة خالصة فحذفت اللام لوضوح معناها كما تحذف العرب أشياء لا يلبس سقوطها
قال الشاعر ... تقول ابنتي لما رأتني شاحبا ... كأنك يحميك الطعام طبيب ... تتابع أحداث تخر من أخوتي ... فشيبن رأسي والخطوب تشيب

(١٨٩/٣)

أراد فقلت لها الذي اكسبني ما ترين تتابع أحداث فحذف لانكشاف المعنى قال المفسرون إن المشركين شاركوا المؤمنين في الطيبات فأكلوا ولبسوا ونكحوا ثم يخلص الله الطيبات في الآخرة للمؤمنين وليس للمشركين فيها شيء وقيل خالصة لهم من ضرر أو إثم وقرأ نافع خالصة بالرفع قال الزجاج ورفعها على أنه خبر بعد خبر كما تقول زيد عاقل لبيب والمعنى قل هي ثابتة للذين آمنوا في الدنيا خالصة يوم القيامة
قوله تعالى كذلك نفصل الآيات أي هكذا نبينها
قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون
قوله تعالى قل إنما حرم ربي الفواحش قرأ حمزة ربي الفواحش باسكان الياء ما ظهر منها وما بطن فيه ستة اقوال
أحدها أن المراد بها الزنا ما ظهر منها علانيته وما بطن سره رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال سعيد بن جبير
والثاني أن ما ظهر نكاح الأمهات وما بطن الزنا رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وبه قال علي بن الحسين
والثالث أن ما ظهر نكاح الأبناء نساء الآباء والجمع بين الأختين وأن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها

وما بطن الزنا روي عن ابن عباس أيضا
والرابع أن ما ظهر الزنا وما بطن العزل قاله شريح
والخامس أن ما ظهر طواف الجاهلية عراة وما بطن الزنا قاله مجاهد

(١٩٠/٣)

والسادس أنه عام في جميع المعاصي ثم في ما ظهر منها وما بطن قولان
أحدهما أن الظاهر العلانية والباطن السر قاله أبو سليمان الدمشقي
والثاني أن ما ظهر أفعال الجوارح والباطن اعتقاد القلوب قاله الماوردي وفي الإثم ثلاثة أقوال
أحدها أنه الذنب الذي لا يوجب الحد قاله ابن عباس والضحاك والفراء
والثاني المعاصي كلها قاله مجاهد
والثالث أنه الخمر قاله الحسن وعطاء قال ابن الانباري انشدنا رجل في مجلس ثعلب بحضرته وزعم أن أبا عبيدة أنشده ... نشرب الإثم بالصواع جهارا ... ونرى المتك بيننا مستعارا ...
فقال أبو العباس لا أعرفه ولا أعرف الإثم الخمر في كلام العرب وانشدنا رجل آخر ... شربت الإثم حتى ضل عقلي ... كذاك الإثم تذهب بالعقول ...
قال أبو بكر وما هذا البيت معروفا أيضا في شعر من يحتج بشعره وما رأيت أحدا من أصحاب الغريب أدخل الإثم في أسماء الخمر ولا سمتها العرب بذلك في جاهلية ولا إسلام
فان قيل إن الخمر تدخل تحت الإثم فصواب لا لأنه اسم لها
فان قيل كيف فصل الإثم عن الفواحش وفي كل الفواحش إثم فالجواب أن كل فاحشة إثم وليس كل إثم فاحشة فكان لإثم كل فعل مذموم والفاحشة العظيمة فأما البغي فقال الفراء هو الاستطالة على الناس

(١٩١/٣)

قوله تعالى وأن تشركوا قال الزجاج موضع أن نصب فالمعنى حرم الفواحش وحرم الشرك والسلطان الحجة
قوله تعالى وأن تقولوا على الله مالا تعلمون عام في تحريم القول في الدين من غير يقين
ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
قوله تعالى ولكل أمة أجل سبب نزولها أنهم سألوا النبي صلى الله عليه و سلم العذاب فأنزلت قاله

مقاتل وفي الأجل قولان
أحدهما أنه أجل العذاب والثاني أجل الحياة قال الزجاج الأجل الوقت المؤقت فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة المعنى ولا أقل من ساعة وإنما ذكر الساعة لأنها أقل أسماء الأوقات
يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا جآءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين
قوله تعالى يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم قال الزجاج أضمر فأطيعوهم وقد سبق معنى إما في سورة البقرة والباقي ظاهر إلى قوله ينالهم نصيبهم من الكتاب ففي معناه سبعة اقوال

(١٩٢/٣)

احدها ما قدر لهم من خير وشر رواه مجاهد عن ابن عباس
والثاني نصيبهم من الأعمال فيجزون عليها رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس
والثالث ما كتب عليهم من الضلالة والهدى قاله الحسن وقال مجاهد وابن جبير من السعادة والشقاوة
والرابع ما كتب لهم من الأرزاق والأعمار والاعمال قاله الربيع والقرظي وابن زيد
والخامس ما كتب لهم من العذاب قاله عكرمة وأبو صالح والسدي
والسادس ما أخبر الله تعالى في الكتب كلها أنه من افترى على الله كذبا اسود وجهه قاله مقاتل
والسابع ما أخبر في الكتاب من جزائهم نحو قوله فأنذرتكم نارا تلظى قاله الزجاج فاذن في الكتاب خمسة أقوال
أحدها أنه اللوح الحفوظ والثاني كتب الله كلها والثالث القرآن والرابع كتاب أعمالهم والخامس القضاء
قوله تعالى حتى إذا جاءتهم رسلنا فيهم ثلاثة أقوال
أحدها أنهم أعوان ملك الموت قاله النخعي والثاني ملك الموت وحده قاله مقاتل والثالث ملائكة العذاب يوم القيامة
وفي قوله يتوفونهم ثلاثة أقوال
أحدها يتوفونهم بالموت قاله الأكثرون والثاني يتوفونهم بالحشر

(١٩٣/٣)

إلى النار يوم القيامة قاله الحسن والثالث يتوفونهم عذابا كما تقول قتلت فلانا بالعذاب وإن لم يمت قاله الزجاج

قوله تعالى أين ما كنتم تدعون أي تعبدون من دون الله وهذا سؤال تبكيت وتقريع قال مقاتل المعنى فليمنعوكم من النار قال الزجاج ومعنى ضلوا عنا بطلوا وذهبوا فيعترفون عند موتهم أنهم كانوا كافرين وقال غيره ذلك الاعتراف يكون يوم القيامة

قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا أداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون

قوله تعالى قال ادخلوا إن الله تعالى يقول لهم ذلك بواسطة الملائكة لأن الله تعالى لا يكلم الكفار يوم القيامة قال ابن قتيبة وفي بمعنى مع

وفي قوله قد خلت من قبلكم قولان

أحدهما مضت إلى العذاب

والثاني مضت في الزمان يعني كفار الأمم الماضية

قوله تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها وهذه أخوة الدين والملة لا أخوة النسب قال ابن عباس يلعنون من كان قبلهم قال مقاتل كلما دخل أهل ملة لعنوا أهل ملتهم فيلعن اليهود اليهود والنصارى النصارى والمشركون المشركين والأتباع القادة ويقولون أنتم ألقيتمونا هذا الملقى حين أطعناكم وقال الزجاج إنما تلاعنوا لأن بعضهم ضل باتباع بعض

قوله تعالى حتى إذا اداركوا قال ابن قتيبة أي تداركوا فأدغمت التاء في الدال وأدخلت الألف ليسلم السكون لما بعدها يريد تتابعوا فيها واجتمعوا

قوله تعالى قالت أخراهم لأولاهم فيه ثلاثة أقوال

أحدها آخر أمة لأول أمة قاله ابن عباس والثاني آخر أهل الزمان لأوليهم الذين شرعوا له ذلك الدين قاله السدي والثالث آخرهم دخولا إلى النار وهم الأتباع لأولهم دخولا وهم القادة قاله مقاتل

قوله تعالى هؤلاء أضلونا قال ابن عباس شرعوا لنا أن نتخذ من دونك إلها

قوله تعالى فآتهم عذابا ضعفا قال الزجاج أي عذابا مضاعفا

قوله تعالى قال لكل ضعف أي عذاب مضاعف ولكن لا تعلمون

قرأ أبو بكر والمفضل عن عاصم يعلمون بالياء قال الزجاج والمعنى لا يعلم كل فريق مقدار عذاب

الفريق الآخر وقرأ الباقون تعلمون بالتاء وفيها وجهان ذكرهما الزجاج
أحدهما لا تعلمون أيها المخاطبون ما لكل فريق من العذاب
والثاني لا تعلمون يا أهل الدنيا مقدار ذلك وقيل إنما طلب الأتباع مضاعفة عذاب القادة ليكون أحد العذابين على الكفر والثاني على إغرائهم به فأجيبوا لكل ضعف أي كما كان للقادة ذلك فلكم عذاب بالكفر وعذاب بالاتباع قوله فما كان لكم علينا من فضل فيه قولان
أحدهما في الكفر نحن وأنتم فيه سواء قاله ابن عباس
والثاني في تخفيف العذاب قاله مجاهد

(١٩٥/٣)

وقالت أولهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون
قوله تعالى بما كنتم تكسبون قال مقاتل من الشرك والتكذيب
إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين
قوله تعالى إن الذين كذبوا بآياتنا أي بحججنا وأعلامنا التي تدل على توحيد الله ونبوة الأنبياء وتكبروا عن الإيمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر تفتح بالتاء وشددوا التاء الثانية وقرأ أبو عمرو لا تفتح بالتاء خفيفة ساكنة الفاء وقرأ حمزة والكسائي لا يفتح بالياء مضمومة خفيفة وقرأ اليزيدي عن اختياره لا تفتح بتاء مفتوحة أبواب السماء بنصب الباء فكأنه أشار إلى أفعالهم وقرأ الحسن بياء مفتوحة مع نصب الأبواب كأنه يشير إلى الله عز و جل وفي معنى الكلام أربعة أقوال
أحدها لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء رواه الضحاك عن ابن عباس وهو قول أبي موسى الأشعري والسدي في آخرين والأحاديث تشهد به
والثاني لا تفتح لأعمالهم رواه العوفي عن ابن عباس
والثالث لا تفتح لأعمالهم ولا لدعائهم رواه عطاء عن ابن عباس
والرابع لا تفتح لأرواحهم ولا لأعمالهم قاله ابن جريج ومقاتل

(١٩٦/٣)

وفي السماء قولان
أحدهما أنها السماء المعروفة وهو المشهور

والثاني أن لمعنى لا تفتح لهم أبواب الجنة ولا يدخلونها لأن الجنة في السماء ذكره الزجاج
قوله تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط الجمل هو الحيوان المعروف فان قال قائل كيف خص الجمل دون سائر الدواب وفيها ما هو أعظم منه فعنه جوابان
أحدهما أن ضرب المثل بالجمل يحصل المقصود والمقصود أنهم لا يدخلون الجنة كما لا يدخل الجمل في ثقب الإبرة ولو ذكر أكبر منه أو اصغر منه جاز والناس يقولون فلان لا يساوي درهما وهذا لا يغني عنك فتيلا وإن كنا نجد أقل من الدرهم والفتيل
والثاني أن الجمل أكبر شأنا عند العرب من سائر الدواب فانهم يقدمونه في القوة على غيره لأنه يوقر بحمله فينهض به دون غيره من الدواب ولهذا عجبهم من خلق الإبل فقال أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت فآثر الله ذكره على غيره لهذا المعنى ذكر الجوابين ابن الانباري قال وقد روى شهر بن حوشب عن ابن عباس أنه قرأ حتى يلج الجمل بضم الجيم وتشديد الميم وقال هو القلس الغليظ
قال المصنف وهي قراءة أبي رزين ومجاهد وابن محيصن وأبي مجلز وابن يعمر وأبان عن عاصم قال وروى مجاهد عن ابن عباس حتى يلج الجمل بضم الجيم وفتح الميم وتخفيفها

(١٩٧/٣)

قلت وهي قراءة قتادة وقد رويت عن سعيد بن جبير وأنه قرأ حتى يلج الجمل بضم الجيم وتسكين الميم قلت وهي قراءة عكرمة
قال ابن الانباري فالجمل يحتمل أمرين يجوز أن يكون بمعنى الجمل ويجوز أن يكون بمعنى جملة من الجمال قيل في جمعها جمل كما قال حجرة وحجر وظلمة وظلم وكذلك من قرأ الجمل يسوغ له أن يقول الجمل بمعنى الجمل وأن يقول الجمل جمع جملة مثل بسرة وبسر وأصحاب هذه القراءات يقولون الحبل والحبال أشبه بالإبرة والخيوط من الجمال وروى عطاء بن يسار عن ابن عباس أنه قرأ الجمل بضم الجيم والميم وبالتخفيف وهي قراءة الضحاك والجحدري وقرأ أبو المتوكل وأبو الجوزاء الجمل بفتح الجيم وبسكون الميم خفيفة
قوله تعالى في سم الخياط السم في اللغة الثقب وفيها ثلاث لغات فتح السين وبها قرأ الأكثرون وضمها وبه قرأ ابن مسعود وأبو رزين وقتادة وابن محيصن وطلحة بن مصرف وكسرها وبه قرأ أبو عمران الجوني وأبو نهيك والأصمعي عن نافع قال ابن القاسم والخياط المخيط بمنزلة اللحاف والملحف والقرام والمقرم وقد قرأ ابن مسعود وأبو رزين وأبو مجلز في سم المخيط وقال الزجاج الخياط الإبرة وسمها ثقبها والمعنى أنهم لا يدخلون الجنة أبدا قال ابن قتيبة هذا كما يقال لا يكون ذلك حتى يشيب

الغراب ويبيض القار
قوله تعالى وكذلك نجزي المجرمين أي مثل ذلك نجزي الكافرين أنهم لا يدخلون الجنة

(١٩٨/٣)

لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون
قوله تعالى لهم من جهنم مهاد المهاد الفراش
وفي المراد بالغواشي ثلاثة اقوال
أحدها اللحف قاله ابن عباس والقرظي وابن زيد والثاني ما يغشاهم من فوقهم من الدخان قاله عكرمة والثالث غاشية فوق غاشية من النار قاله الزجاج قال ابن عباس والظالمون هاهنا الكافرون
ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جآءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون
قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل فيمن عني بهذه الآية أربعة أقوال
أحدها أهل بدر روى الحسن عن علي رضي الله عنه أنه قال فينا والله أهل بدر نزلت ونزعنا ما في صدورهم من غل وروى عمرو بن الشريد عن علي أنه قال إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله ونزعنا ما في صدورهم من غل
والثاني أنهم أهل الأحقاد من أهل الجاهلية حين أسلموا روى كثير النواء عن أبي جعفر قال نزلت هذه الآية في علي وأبي بكر وعمر قلت لأبي جعفر فأي غل هو قال غل الجاهلية كان بين بني هاشم وبني تيم وبني عدي في

(١٩٩/٣)

الجاهلية شيء فلما أسلم هؤلاء تحابوا فأخذت أبا بكر الخاصرة فجعل علي يسخن يده ويكمد بها خاصرو أبي بكر فنزلت هذه الآية
والثالث أنهم عشرة من الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الله بن مسعود قاله أبو صالح
والرابع أنها في صفة أهل الجنة إذا دخلوها روى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه تعالى وسلم أنه قال يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم

في دخول الجنة فوالذي نفسي بيده لأحدهم أهدى بمنزلة في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا وقال ابن عباس أول ما يدخل أهل الجنة الجنة تعرض لهم عينان فيشربون من إحدى العينين فيذهب الله ما في قلوبهم من غل وغيره مما كان في الدنيا ثم يدخلون إلى العين الأخرى فيغتسلون منها فتشرق ألوانهم وتصفوا وجوههم وتجري عليهم نضرة النعيم

(٢٠٠/٣)

فأما النزع فهو قلع الشيء من مكانه والغل الحقد الكامن في الصدر

وقال ابن قتيبة الغل الحسد والعداوة

قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا قال الزجاج معناه هدانا لما صيرنا إلى هذا قال ابن عباس يعنون ما وصلوا إليه من رضوان الله وكرامته وروى عاصم بن ضمرة عن علي كرم الله وجهه قال تستقبلهم الولدان كأنهم لؤلؤ منثور فيطوفون بهم كاطافتهم بالحميم جاء من الغيبة ويبشرونهم بما أعد الله لهم ويذهبون إلى أزواجهم فيبشرونهم فيستخفهن الفرح فيقمن على أسكفة الباب فيقلن أنت رأيته أنت رأيته قال فيجيء إلى منزله فينظر في أساسه فاذا صخر من لؤلؤ ثم يرفع بصره فلولا أن الله ذلله لذهب بصره ثم ينظر اسفل من ذلك فاذا هو بالسرر الموضونة والفرش المرفوعة والذرابي المبثوثة فعند ذلك قالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله كلهم قرأ وما كنا باثبات الواو غير ابن عامر فانه قرأ ما كنا لنهتدي بغير واو وكذلك هي في مصاحف أهل الشام قال أبو علي وجه الاستغناء عن الواو أن القصة ملتبسة بما قبلها فأغنى التباسها به عن حرف العطف ومثله رابعهم كلبهم

قوله تعالى لقد جاءت رسل ربنا بالحق هذا قول أهل الجنة حين رأوا ما وعدهم الرسل عيانا ونودوا أن تلك الجنة قال الزجاج إنما قال تلكم لأنهم وعدوا بها في الدنيا فكأنه قيل لهم هذه تلكم التي وعدتم بها وجائز أن يكون هذا قيل لهم حين عاينوها قبل دخولهم إليها قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر أورثتموها غير مدغمة وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي أورتموها مدغمة وكذلك قرؤوا في الزخرف قال

(٢٠١/٣)

ابو علي من ترك الادغام فلتباين مخرج الحرفين ومن أدغم فلأن التاء والثاء مهموستان متقاربتان وفي معنى أورثتموها أربعة أقوال

أحدها ما روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فأما الكافر فانه يرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة فذلك

قوله أورثتموها بما كنتم تعملون وقال بعضهم لما سمي الكفار أمواتا بقوله أموات غير احياء وسمى المؤمنين أحياء بقوله لتنذر من كان حيا أورث الأحياء الموتى

والثاني أنهم أورثوها عن الأعمال لأنها جعلت جزاء لأعمالها وثوابا عليها إذ هي عواقبها حكاه أبو سليمان الدمشقي

والثالث أن دخول الجنة برحمة الله واقتسام الدرجات بالأعمال فلما كان يفسر نيلها لا عن عوض سميت ميراثا والميراث ما أخذته عن غير عوض

والرابع أن معنى الميراث هاهنا أن أمرهم يؤول إليها كما يؤول الميراث إلى الوارث

(٢٠٢/٣)

ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون

قوله تعالى ٦فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا أي من العذاب وهذا سؤال تقرير وتعيير قالوا نعم قرأ الجمهور بفتح العين في سائر القرآن وكان الكسائي يكسرها قال الأخفش هما لغتان

قوله تعالى فأذن مؤذن بينهم أي نادى مناد ان لعنة الله قرأ ابن كثير في رواية قنبل ونافع وأبو عمرو وعاصم أن لعنة الله خفيفة النون ساكنة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي أن بالتشديد لعنة الله بالنصب قال الأخفش وأن في قوله أن تلكم الجنة وقوله أن لعنة الله وقوله أن الحمد لله و أن قد وجدنا هي أن الثقيلة خففت

قال الشاعر ... في فتية كسيوف الهند قد علموا ... أن هالك كل من يحفى وينتعل

(٢٠٣/٣)

وأنشد أيضا ... أكاشرة وأعلم أن كلانا ... على ما ساء صاحبه حريص ...

ومعناه أنه كلانا وتكون أن قد وجدنا في معنى أي قال ابن عباس والظالمون هاهنا الكافرون

قوله تعالى الذين يصدون عن سبيل الله أي أذن المؤذن ان لعنة الله على الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وهو الإسلام ويبغونها عوجا مفسر في آل عمران وهم بالآخرة أي وهم بكون الآخرة كافرون

وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون

قوله تعالى وبينهما حجاب أي بين الجنة والنار حاجز وهو السور الذي ذكره الله تعالى في قوله فضرب بينهم بسور له باب فسمي هذا السور بالأعراف لارتفاعه قال ابن عباس الأعراف هو السور الذي بين الجنة والنار له عرف كعرف الديك وقال أبو هريرة الأعراف جبال بين الجنة والنار فهم على أعرافها يعني على ذراها خلقتها كخلقة عرف الديك قال اللغويون الأعراف عند العرب كل ما ارتفع من الأرض وعلا يقال لكل عال عرف وجمعه أعراف

(٢٠٤/٣)

قال الشاعر ... كل كناز لحمه نياف ... كالعلم الموفي على الأعراف ...

وقال الآخر ... ورثت بناء آباء كرام ... علوا بالمجد أعراف البناء ...

وفي أصحاب الأعراف قولان

أحدهما أنهم من بني آدم قاله الجمهور وزعم مقاتل أنهم من أمة محمد صلى الله عليه و سلم خاصة

وفي أعمالهم تسعة أقوال

أحدها أنهم قوم قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم فمنعهم من دخول الجنة معصية آبائهم ومنعهم من دخول النار قتلهم في سبيل الله وهذا مروي عن النبي صلى الله عليه و سلم

والثاني أنهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فلم تبلغ حسناتهم دخول الجنة ولا سيئاتهم دخول النار قاله ابن مسعود وحذيفة وابن عباس وأبو هريرة والشعبي وقتادة

والثالث أنهم أولاد الزنا رواه صالح مولى التوأمة عن ابن عباس

والرابع أنهم قوم صالحون فقهاء علماء قاله الحسن ومجاهد فعلى هذا يكون لبثهم على الأعراف على سبيل النزهة

(٢٠٥/٣)

والخامس أنهم قوم رضي عنهم آباؤهم دون أمهاتهم أو أمهاتهم دون أبائهم رواه عبد الوهاب بن مجاهد عن إبراهيم

والسادس أنهم الذين ماتوا في الفترة ولم يبدلوا دينهم قاله عبد العزيز بن يحيى

والسابع أنهم أنبياء حكاه ابن الانباري

والثامن أنهم أولاد المشركين ذكره المنجوفي في تفسيرة

والتاسع أنهم قوم عملوا لله لكنهم راؤوا في عملهم ذكره بعض العلماء

والقول الثاني أنهم ملائكة قاله أبو مجلز واعترض عليه فقيل إنهم رجال فكيف تقول ملائكة فقال إنهم ذكور وليسوا باناث وقيل معنى قوله وعلى الأعراف رجال أي على معرفة أهل الجنة من أهل النار ذكره الزجاج وابن الانباري وفيه بعد وخلاف للمفسرين

قوله تعالى يعرفون كلا بسيماهم أي يعرف أصحاب الأعراف أهل الجنة وأهل النار وسيما أهل الجنة بياض الوجوه وسيما أهل النار سواد الوجوه وزرقة العيون والسيما العلامة وإنما عرفوا الناس لأنهم على مكان عال يشرفون فيه على أهل الجنة والنار ونادوا يعني أصحاب الأعراف أصحاب الجنة أن سلام عليكم وفي قوله لم يدخلوها وهم يطمعون قولان

أحدهما أنه إخبار من الله تعالى لنا أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون في دخولها قاله الجمهور

والثاني أنه إخبار من الله تعالى لأهل الأعراف إذا رأوا زمرة يذهب بها إلى الجنة أن هؤلاء لم يدخلوها وهم يطمعون في دخولها هذا قول السدي

وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين

(٢٠٦/٣)

قوله تعالى وإذا صرفت أبصارهم يعني أصحاب الأعراف والتلقاء جهة اللقاء وهي جهة المقابلة وقال أبو عبيدة تلقاء أصحاب النار أي حيالهم

ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما آغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون

قوله تعالى ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم روى ابو صالح عن ابن عباس قال ينادون يا وليد بن المغيرة يا أبا جهل بن هشام يا عاص بن وائل يا أمية بن خلف يا أبي بن خلف يا سائر رؤساء الكفار ما أغنى عنكم جمعكم في الدنيا المال والولد وما كنتم تستكبرون أي تتعظمون عن الإيمان

أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون

قوله تعالى أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة فيه قولان

أحدهما أن أهل النار أقسموا أن أهل الأعراف داخلون النار معنا وأن الله لن يدخلهم الجنة فيقول الله لأهل النار أهؤلاء يعني أهل الأعراف الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة رواه وهب بن منبه عن ابن عباس قال حذيفة بينا أصحاب الأعراف هنالك اطلع عليهم ربهم فقال لهم ادخلوا الجنة فاني قد غفرت لكم

والثاني أن أهل الأعراف يرون في الجنة الفقراء والمساكين الذين كان الكفار يستهزؤون بهم كسلمان وصهيب وخباب فينادون الكفار أهؤلاء

الذين أقسمتم وأنتم في الدنيا لا ينالهم الله برحمة قاله ابن السائب فعلى هذا ينقطع كلام أهل الأعراف عند قوله برحمة ويكون الباقي من خطاب الله لأهل الجنة وقد ذكر المفسرون في قوله ادخلوا الجنة ثلاثة اقوال

أحدها أن يكون خطابا من الله لأهل الأعراف وقد ذكرناه

والثاني أن يكون خطابا من الله لأهل الجنة

والثالث أن يكون خطابا من أهل الأعراف لأهل الجنة ذكرهما الزجاج فعلى هذا الوجه الأخير يكون معنى قول أهل الأعراف لأهل الجنة ادخلوا الجنة اعلوا إلى القصور المشرفة وارتفعوا إلى المنازل المنيفة لأنهم قد رأوهم في الجنة وروى مجاهد عن عبد الله بن الحارث قال يؤتى بأصحاب الأعراف إلى نهر يقال له الحياة عليه قضبان الذهب مكللة باللؤلؤ فيغمسون فيه فيخرجون فتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها ويقال لهم تمنوا ما شئتم ولكم سبعون ضعفا فهم مساكين أهل الجنة

ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين

قوله تعالى ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة قال ابن عباس لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة طمع أهل النار في الفرج بعد اليأس فقالوا يا رب إن لنا قرابات من أهل الجنة فائذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فنظروا إليهم وإلى ما هم فيه من النعيم فعرفوهم ونظر أهل الجنة إلى قرابتهم من أهل جهنم فلم يعرفوهم قد اسودت وجوههم وصاروا خلقا آخر فنادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم وأخبروهم بقراباتهم فينادي الرجل أخاه يا أخي قد احترقت فأغثني

فيقول إن الله حرمهما على الكافرين قال السدي عني بقوله أو مما رزقكم الله الطعام قال الزجاج أعلم الله عز و جل أن ابن آدم غير مستغن عن الطعام والشراب وإن كان معذبا

الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيواة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون

قوله تعالى الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا قال ابن عباس هم المستهزئون والمعنى أنهم تلاعبوا بدينهم الذي شرع لهم وقال أبو روق دينهم عيدهم وقال قتادة لهوا ولعبا أي أكلا وشربا وقال غيره هو ما زينه الشيطان لهم من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام والمكاء والتصدية ونحو ذلك من خصال

الجاهلية
قوله تعالى فاليوم ننساهم قال الزجاج أي نتركهم في العذاب كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا وما نسق على كما في موضع جر والمعنى وكجحدهم قال ابن الانباري ويجوز أن يكون المعنى فاليوم نتركهم في النار على علم منا ترك ناس غافل كما استعملوا في الإعراض عن آياتنا وهم ذاكرون ما يستعمله من نسي وغفل
ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون
قوله تعالى ولقد جئناهم بكتاب يعني القرآن فصلناه أي بيناه

(٢٠٩/٣)

بايضاح الحق من الباطل وقيل فصلناه فصولا مرة بتعريف الحلال ومرة بتعريف الحرام ومرة بالوعد ومرة بالوعيد ومرة بحديث الأمم
وفي قوله على علم قولان
أحدهما على علم منا بما فصلناه والثاني على علم منا بما يصلحكم مما أنزلناه فيه وقرأ ابن السميفع وابن محيصن وعاصم والجحدري ومعاذ القارئ فضلناه بضاد معجمة
هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جآءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون
قوله تعالى هل ينظرون إلا تأويله قال ابن عباس تصديق ما وعدوا في القرآن يوم يأتي تأويله وهو يوم القيامة يقول الذين نسوه أي تركوه من قبل في الدنيا قد جاءت رسل ربنا بالحق أي بالبعث بعد الموت
قوله تعالى أو نرد قال الزجاج المعنى أو هل نرد وقوله فنعمل منصوب على جواب الفاء للاستفهام
إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين

(٢١٠/٣)

قوله تعالى إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام اختلفوا أي يوم بدأ بالخلق على ثلاثة أقوال
أحدها أنه يوم السبت روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال أخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم بيدي فقال خلق الله عز و جل التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الأحد وخلق الشجر يوم

الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل وهذا اختيار محمد بن إسحاق قال ابن الانباري وهذا إجماع أهل العلم

والثاني يوم الأحد قاله عبد الله بن سلام وكعب والضحاك ومجاهد واختاره ابن جرير الطبري وبه يقول أهل التوراة

والثالث يوم الاثنين قاله ابن إسحاق وبهذا يقول أهل الإنجيل ومعنى قوله في ستة ايام أي في مقدار ذلك لأن اليوم يعرف بطلوع الشمس وغروبها ولم تكن الشمسي حينئذ قال ابن عباس مقدار كل يوم من تلك الأيام ألف سنة وبه قال كعب ومجاهد والضحاك ولا نعلم خلافا في ذلك ولو قال قائل إنها كأيام الدنيا كان قوله بعيدا من وجهين

أحدهما خلاف الآثار والثاني أن الذي يتوهمه المتوهم من الإبطاء في

(٢١١/٣)

ستة آلاف سنة يتوهمه في ستة أيام عند تصفح قوله إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فان قيل فهلا خلقها في لحظة فانه قادر فعنه خمسة أجوبة

أحدها أنه أراد أن يوقع في كل يوم أمرا تستعظمه الملائكة ومن يشاهده ذكره ابن الانباري

والثاني أن التثبت في تمهيد ما خلق لآدم وذريته قبل وجوده أبلغ في تعظيمه عند الملائكة

والثالث أن التعجيل أبلغ في القدرة والتثبيت أبلغ في الحكمة فأراد إظهار حكمته في ذلك كما يظهر قدرته في قوله كن فيكون

والرابع أنه علم عباده التثبت فاذا تثبت من لا يزل كان ذو الزلل أول بالتثبت

والخامس أن ذلك الإمهال في خلق شيء بعد شيء ابعد من أن يظن أن ذلك وقع بالطبع أو بالاتفاق

قوله تعالى ثم استوى على العرش قال الخليل بن أحمد العرش السرير وكل سرير لملك يسمى عرشا وقلما يجمع العرش إلا في اضطرار واعلم أن ذكر العرش مشهور عند العرب في الجاهلية والإسلام قال أمية بن أبي الصلت ... مجدوا الله فهو للمجد أهل ... ربنا في السماء أمسى كبيرا ... بالبناء الأعلى الذي سبق الناس ... وسوى فوق السماء سريرا ... شرجعا لا يناله ناظر العي ... ن ترى دونه الملائك صورا ...

وقال كعب إن السموات في العرش كالقنديل معلق بين السماء والأرض

(٢١٢/٣)

وروى إسماعيل بن أبي خالد عن سعد الطائي قال العرش ياقوتة حمراء وإجماع السلف منعقد على أن لا يزيدوا على قراءة الآية وقد شذ قوم فقالوا العرش بمعنى الملك وهذا عدول عن الحقيقة الى التجوز مع مخالفة الأثر ألم يسمعوا قوله تعالى وكان عروشه على الماء أتراه كان الملك على الماء وكيف يكون الملك ياقوتة حمراء وبعضهم يقول استوى بمعنى استولى ويحتج بقول الشاعر ... حتى استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق ...

ويقول الشاعر أيضا ... هما استويا بفضلهما جميعا ... على عرش الملوك بغير زور ...

وهذا منكر عند اللغويين قال ابن الاعرابي العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى ومن قال ذلك فقد أعظم قالوا وإنما يقال استولى فلان على كذا إذا كان بعيدا عنه غير متمكن منه ثم تمكن منه والله عز و جل لم يزل مستوليا على الأشياء والبيتان لا يعرف قائلهما كذا قال ابن فارس اللغوي ولو صحا فلا حجة فيهما لما بينا من استيلاء من لم يكن مستوليا نعوذ بالله من تعطيل الملحدة وتشبيه المجسمة

قوله تعالى يغشي الليل النهار قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر يغشي ساكنة الغين خفيفة وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم يغشي مفتوحة الغين مشددة وكذلك قرؤوا في الرعد قال الزجاج المعنى أن الليل يأتي على النهار فيغطيه وإنما لم يقل ويغشي النهار الليل لأن في الكلام دليلا عليه وقد قال ف موضع خر يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وقال أبو علي إنما لم يقل يغشي

(٢١٣/٣)

النهار الليل لأنه معلوم من فحوى الكلام كقوله سرابيل تقيكم الحر وانتصب الليل والنهار لأن كل واحد منهما مفعول به فأما الحثيث فهو السريع

قوله تعالى والشمس والقمر والنجوم مسخرات قرأ الأكثرون بالنصب فيهن وهو على معنى خلق السموات والشمس وقرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع فيهن هاهنا وفي النحل تابعه حفص في قوله تعالى والنجوم مسخرات وفي النحل فحسب والرفع على الاستئناف والمسخرات المذللات لما يراد منهن من طلوع وأفول وسير على حسب إرادة المدبر لهن

قوله تعالى ألا له الخلق لأنه خلقهم والأمر فله أن يأمر بما يشاء وقيل الأمر القضاء

قوله تعالى تبارك الله فيه أربعة أقوال

أحدها تفاعل من البركة رواه الضحاك عن ابن عباس وكذلك قال القتيبي والزجاج وقال أبو مالك افتعل من البركة وقال الحسن تجيء البركة من قبله وقال الفراء تبارك من البركة وهو في العربية كقوله تقدس ربنا

والثاني أن تبارك بمعنى تعالى رواه أبو صالح عن ابن عباس وكذلك قال أبو العباس تبارك ارتفع

والمتبارك المرتفع
والثالث أن المعنى باسمه يتبرك في كل شيء قاله ابن الانباري
والرابع أن معنى تبارك تقدس أي تطهر ذكره ابن الانباري أيضا

(٣/٢١٤)

ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين
قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا التضرع التذلل والخضوع والخفية خلاف العلانية قال الحسن كانوا يجتهدون في الدعاء ولا تسمع إلا همسا ومن هذا حديث أبي موسى اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا وفي الاعتداء المذكور هاهنا قولان
أحدهما أنه الاعتداء في الدعاء ثم فيه ثلاثة أقوال أحدها أن يدعو على المؤمنين بالشر كالخزي واللعنة قاله سعيد بن جبير ومقاتل والثاني أن يسأل مالا يستحقه من منازل الانبياء قاله أبو مجلز والثالث أنه الجهر في الدعاء قاله ابن السائب
والثاني أنه مجاوزة المأمور به قاله الزجاج
ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمت الله قريب من المحسنين
قوله تعالى ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها فيه ستة أقوال
أحدها لا تفسدوها بالكفر بعد إصلاحها بالإيمان والثاني لا تفسدوها بالظلم بعد إصلاحها بالعدل والثالث لا تفسدوها بالمعصية بعد إصلاحها بالطاعة والرابع لا تعصوا فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم بعد أن أصلحها

(٣/٢١٥)

بالمطر والخصب والخامس لا تفسدوها بقتل المؤمن بعد إصلاحها ببقائه والسادس لا تفسدوها بتكذيب الرسل بعد إصلاحها بالوحي
وفي قوله وادعوه خوفا وطمعا قولان أحدهما خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه والثاني خوفا من الرد وطمعا في الإجابة
قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين قال الفراء رأيت العرب تؤنث القريبة في النسب لا يختلفون في ذلك فاذا قالوا دارك منا قريب أو فلانة منا قريب من القرب والبعد ذكروا وأنثوا وذلك أنهم جعلوا القريب خلفا من المكان كقوله وما هي من الظالمين ببعيد وقوله تعالى وما يدريك لعل الساعة

تكون قريبا ولو أنث ذلك لكان صوابا قال عروة ... عشية لا عفراء منك قريبة ... فتدنو ولا عفراء منك بعيد ...

وقال الزجاج إنما قيل قريب لأن الرحمة والغفران والعفو بمعنى واحد وكذلك كل تأنيث ليس بحقيقي

وقال الأخفش جائز أن تكون الرحمة هاهنا في معنى المطر

وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء

(٣/٢١٦)

فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون

قوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح قرأ أبو عمرو ونافع وابن عامر وعاصم الرياح على الجمع وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على التوحيد وقد يأتي لفظ التوحيد ويراد به الكثرة كقولهم كثر الدرهم في أيدي الناس ومثله إن الإنسان لفي خسر

قوله تعالى نشرا قرأ أبو عمرو وابن كثير ونافع نشرا بضم النون والشين أرادوا جمع نشور وهي الريح الطيبة الهبوب تهب من كل ناحية وجانب قال أبو عبيدة النشر المتفرقة من كل جانب وقال أبو علي يحتمل أن تكون النشور بمعنى المنشر وبمعنى المنتشر وبمعنى الناشر يقال أنشر الله الريح مثل أحياها فنشرت أي حييت والدليل على أن إنشار الريح إحياؤها قول الفقعسي ... وهبت له ريح الجنوب وأحييت ... له ريدة يحيي المياه نسيمها ...

ويدل على ذلك أن الريح قد وصفت بالموت

قال الشاعر ... إني لأرجو أن تموت الريح ... فأقعد اليوم وأستريح ...

والريدة والريدانة الريح وقرأ ابن عامر وعبد الوارث والحسن البصري نشرا بالنون مضمومة وسكون الشين وهي في معنى نشرا يقال كتب وكتب ورسل ورسل وقرأ حمزة والكسائي وخلف والمفضل

(٣/٢١٧)

عن عاصم نشرا بفتح النون وسكون الشين قال الفراء النشر الريح الطيبة اللينة التي تنشئ السحاب وقال ابن الانباري النشر المنتشرة الواسعة الهبوب وقال أبو علي يحتمل النشر أن يكون خلاف الطي كأنها كانت بانقطاعها كالمطوية ويحتمل أن يكون معناها ما قاله أبو عبيدة في النشر أنها المتفرقة في الوجوه ويحتمل أن يكون معناها النشر الذي هو الحياة كقول الشاعر ... حتى يقول الناس مما رأوا ... يا عجبا للميت الناشر ...

قال وهذا هو الوجه وقرأ أبو رجاء العطاردي وإبراهيم النخعي ومسروق ومورق العجلي نشرا بفتح النون والشين قال ابن القاسم وفي النشر وجهان

أحدهما أن يكون جمعا للنشور كما قالوا عمود وعمد وإهاب وأهب

والثاني أن يكون جمعا واحده ناشر يجري مجرى قوله غائب وغيب وحافد وحفد وكل القراء نون الكلمة وكذلك اختلافهم في الفرقان والنمل هذه قراءات من قرأ بالنون وقد قرأ آخرون بالباء فقرأ عاصم إلا المفضل بشرى بالباء المضمومة وسكون الشين مثل فعلى قال ابن الانباري وهي جمع بشيرة وهي التي تبشر بالمطر والأصل ضم الشين إلا أنهم استثقلوا الضمتين وقرأ ابن خثيم وابن جذلم مثله إلا أنهما نونا الراء وقرأ ابو الجوزاء وأبو عمران وابن أبي عبلة بضم الباء والشين وهذا على أنها جمع بشيرة والرحمة هاهنا المطر سماه رحمة لأنه كان بالرحمة وأقلت بمعنى حملت قال الزجاج جمع سحابة السحاب قال ابن فارس سمي السحاب لانسحابه في الهواء

(٢١٨/٣)

قوله تعالى ثقالا أي الماء وقوله تعالى سقناه رد الكناية إلى لفظ السحاب ولفظه لفظ واحد وفي قوله لبلد قولان

أحدهما إلى بلد والثاني لإحياء بلد والميت الذي لا ينبت فيه فهو محتاج إلى المطر وفي قوله فأنزلنا به ثلاثة أقوال

أحدها أن الكناية ترجع إلى السحاب والثاني إلى المطر ذكرهما الزجاج والثالث إلى البلد ذكره ابن الانباري فأما هاء فأخرجنا به فتحتمل الأقوال الثلاثة

قوله تعالى كذلك نخرج الموتى أي كما أحيينا هذا البلد وقال مجاهد نحيي الموتى بالمطر كما أحيينا البلد الميت به قال ابن عباس يرسل الله تعالى بين النفختين مطرا كمني الرجال فينبت الناس به في قبورهم كما نبتوا في بطون أمهاتهم

قوله تعالى لعلكم تذكرون قال الزجاج لعل ترج وإنما خوطب العباد على ما يرجوه بعضهم من بعض والمعنى لعلكم بما بيناه لكم تستدلون على توحيد الله وأنه يبعث الموتى

والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا نصرف الآيات لقوم يشكرون

قوله تعالى والبلد الطيب يعني الأرض الطيبة التربة يخرج نباته وقرأ ابن أبي عبلة يخرج بضم الياء وكسر الراء نباته بنصب التاء والذي خبث لا يخرج كذلك أيضا وقد روى ابان عن عاصم لا يخرج بضم الياء وكسر الراء والمراد بالذي خبث الأرض السبخة

قوله تعالى إلا نكدا قرأ الجمهور بفتح النون وكسر الكاف وقرأ

أبو جعفر نكدا بفتح الكاف وقرأ مجاهد وقتادة وابن محيصن نكدا باسكان الكاف قال أبو عبيدة قليلا عسيرا في شدة وأنشد ... لا تنجز الوعد إن وعدت وإن ... أعطيت أعطيت تافها نكدا ...

قال المفسرون هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر فالمؤمن إذا سمع القرآن وعقله انتفع به وبان أثره عليه فشبه بالبلد الطيب الذي يمرع ويخصب ويحسن أثر المطر عليه وعكسه الكافر

لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم

قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين

أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون

قوله تعالى اعبدوا الله قال مقاتل وحدوه وكذلك في سائر القصص بعدها

قوله تعالى مالكم من إله غيره قرأ الكسائي غيره بالخفض قال أبو علي جعل غيرا صفة ل آله على اللفظ

قوله تعالى أبلغكم قرأ أبو عمرو أبلغكم ساكنة الباء خفيفة اللام وقرأ الباقون أبلغكم مفتوحة الباء مشددة اللام

قوله تعالى وأنصح لكم يقال نصحته ونصحت له وشكرته وشكرت له

قوله تعالى وأعلم من الله مالا تعلمون أي من مغفرته لمن تاب وعقوبته

لمن أصر وقال مقاتل أعلم من نزول العذاب مالا تعلمونه وذلك أن قوم نوح لم يسمعوا بقوم عذبوا قبلهم

أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين

قوله تعالى أو عجبتم قال الزجاج هذه واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام فبقيت مفتوحة وفي الذكر قولان أحدهما الموعظة والثاني البيان

وفي قوله على رجل منكم قولان أحدهما أن على بمعنى مع قاله الفراء والثاني أن المعنى على لسان رجل منكم قاله ابن قتيبة

قوله تعالى قوما عمين قال ابن عباس عميت قلوبهم عن معرفة الله وقدرته وشدة بطشه

وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من

قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فاتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين

(٢٢١/٣)

قوله تعالى وإلى عاد المعنى وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودا قال الزجاج وإنما قيل أخوهم لأنه بشر مثلها من ولد أبيهم آدم ويجوز أن يكون أخاهم لأنه من قومهم وقال أبو سليمان الدمشقي وعاد قبيلة من ولد سام بن نوح وإنما سماه أخاهم لأنه كان نسيبا لهم وهو وهم من ولد عاد بن عوص بن إرم بن سام

قوله تعالى إنا لنراك في سفاهة قال ابن قتيبة السفاهة الجهل وقال الزجاج السفاهة خفة الحلم والرأي يقال ثوب سفيه إذا كان خفيفا وإنا لنظنك من الكاذبين فكفروا به ظانين لا مستيقنين قال يا قوم ليس بي سفاهة هذا موضع أدب للخلق في حسن المخاطبة فانه دفع ما سبوه به من السفاهة بنفيه فقط

قوله تعالى وأنا لكم ناصح أمين قال الضحاك أمين على الرسالة وقال ابن السائب كنت فيكم أمينا قبل اليوم

قوله تعالى واذكروا إذ جعلكم خلفاء ذكرهم النعمة حيث أهلك من كان قبلهم وأسكنهم مساكنهم وزادكم في الخلق بسطة أي طولا وقوة وقال ابن عباس كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعا قال الزجاج وآلاء الله نعمه واحدها إلى قال الشاعر ... أبيض لا يرهب الهزال ولا ... يقطع رحما ولا خون إلى ...

ويجوز أن يكون واحدها إليا وإلى

قوله تعالى فائتنا بما تعدنا أي من نزول العذاب إن كنت من الصادقين في أن العذاب نازل بنا وقال عطاء في نبوتك وإرسالك إلينا

(٢٢٢/٣)

قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين

قوله تعالى قال قد وقع أي وجب عليكم من ربكم رجس وغضب قال ابن عباس عذاب وسخط وقال

أبو عمرو بن العلاء الرجز بالزاي والرجس بالسين بمعنى واحد قلبن السين زايا
قوله تعالى أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم يعني الأصنام
وفي تسميتهم لها قولان أحدهما أنهم سموها آلهة والثاني أنهم سموها بأسماء مختلفة والسلطان الحجة فانتظروا نزول العذاب إني معكم من المنتظرين الذي يأتيكم من العذاب في تكذيبكم إياي
وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين
قوله تعالى وإلى ثمود قال أبو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة مائها قال ابن فارس الثمد الماء القليل الذي لا مادة له

(٢٢٣/٣)

قوله تعالى هذه ناقة الله في إضافتها إليه قولان أحدهما أن ذلك للتخصيص والتفضيل كما يقال بيت الله والثاني لأنها كانت بتكوينه من غير سبب
قوله تعالى لكم اية أي علامة تدل على قدرة الله وإنما قال لكم لأنهم هم الذين اقترحوها وإن كانت آية لهم ولغيرهم
وفي وجه كونها آية قولان
احدهما أنها خرجت من صخرة ملساء فتمخضت بها تمخض الحامل ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها
والثاني أنها كانت تشرب ماء الوادي كله في يوم وتسقيهم اللبن مكانه
قوله تعالى فذروها تأكل في أرض الله قال ابن الانباري ليس عليكم مؤنتها وعلفها وتأكل مجزوم على جواي الشرط المقدر أي إن تذروها تأكل
قوله تعالى ولا تمسوها بسوء أي لا تصيبوها بعقر
قوله تعالى وبوأكم في الأرض أي أنزلكم يقال تبوأ فلان منزلا إذا نزله وبوأته أنزلته قال الشاعر ...
وبوئت في صميم معشرها ... فتم في قومها مبوؤها ...
أي أنزلت من الكريم في صميم النسب قاله الزجاج
قوله تعالى تتخذون من سهولها قصورا السهل ضد الحزن والقصر

(٢٢٤/٣)

ما شيد وعلا من المنازل قال ابن عباس اتخذوا القصور في سهول الأرض للصيف وثقبوا في الجبال للشتاء قال وهب بن منبه كان الرجل منهم يبني البنيان فتمر عليه مائة سنة فيخرب ثم يجدده فتمر عليه مائة سنة فيخرب ثم يجدده فتمر عليه مائة سنة فيخرب فأضجرهم ذلك فأخذوا من الجبال بيوتا

قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون

قوله تعالى قال الملأ الذين استكبروا من قومه وقرأ ابن عامر وقال الملأ بزيادة واو وكذلك هي في مصاحفهم ومعنى الآية تكبروا عن عبادة الله للذين استضعفوا يريد المساكين لمن آمن منهم بدل من قوله للذين استضعفوا لأنهم المؤمنون أتعلمون أن صالحا مرسل هذا استفهام إنكار

فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين

قوله تعالى فعقروا الناقة أي قتلوها قال ابن قتيبة والعقر يكون بمعنى القتل ومنه قوله عليه السلام عند ذكر الشهداء من عقر جواده وقال ابن إسحاق كمن لها قاتلها في أصل شجرة فرماها بسهم فانتظم به عضلة

(٢٢٥/٣)

ساقها ثم شد عليها بالسيف فكسر عرقوبها ثم نحرها قال الازهري العقر عند العرب قطع عرقوب البعير ثم جعل العقر نحرا لأن ناحر البعير يعقره ثم ينحره

قوله تعالى وعتوا قال الزجاج جاوزوا المقدار في الكفر قال أبو سليمان عتوا عن اتباع أمر ربهم

قوله تعالى بما تعدنا أي من العذاب

قوله تعالى فأخذتهم الرجفة قال الزجاج الرجفة الزلزلة الشديدة

قوله تعالى فأصبحوا في دارهم أي في مدينتهم فان قيل كيف وحد الدار هاهنا وجمعها في موضع آخر فقال في ديارهم فعنه جوابان ذكرهما ابن الانباري

أحدهما أنه أراد بالدار المعسكر أي فأصبحوا في معسكرهم وأراد بقوله في ديارهم المنازل التي ينفرد كل واحد منها بمنزل

والثاني أنه أراد بالدار الديار فاكتفى بالواحد من الجميع كقول الشاعر ... كلوا في نصف بطنكم تعيشوا ...

وشواهد هذا كثيرة في هذا الكتاب

قوله تعالى جاثمين قال الفراء أصبحوا رمادا جاثما وقال أبو عبيدة أي بعضهم على بعض جثوم والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للإبل

وقال ابن قتيبة الجثوم البروك على الركب وقال غيره كأنهم أصبحوا موتى على هذه الحال وقال الزجاج أصبحوا أجساما ملقاة في الأرض كالرماد الجاثم قال المفسرون معنى جاثمين بعضهم على بعض أي إنهم سقط بعضهم على بعض عند نزول العذاب

(٢٢٦/٣)

فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين إنكم لتأتون الرجال شهوة دون النساء بل أنتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون

قوله تعالى فتولى عنهم يقول انصرف صالح عنهم بعد عقر الناقة لأن الله تعالى أوحى إليه أن أخرج من بين أظهرهم فاني مهلكهم وقال قتادة ذكر لنا أن صالحا أسمع قومه كما أسمع نبيكم قومه يعني بعد موتهم

قوله تعالى أتأتون الفاحشة يعني إتيان الرجال ما سبقكم بها من أحد قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر في الدنيا حتى كان قوم لوط وقال بعض اللغويين لوط مشتق من لطت الحوض إذا ملسته بالطين قال الزجاج وهذا غلط لأنه اسم أعجمي كاسحاق ولا يقال إنه مشتق من السحق وهو البعد

قوله تعالى إنكم لتأتون الرجال هذا استفهام إنكار والمسرف المجاوز ما أمر به وقوله تعالى أخرجوهم من قريتكم يعني لوطا وأتباعه المؤمنين إنهم أناس يتطهرون قال ابن عباس يتنزهون عن أدبار الرجال وأدبار النساء

فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين

(٢٢٧/٣)

قوله تعالى فأنجيناه وأهله في أهله قولان

أحدهما ابنتاه والثاني المؤمنون به إلا امرأته كانت من الغابرين أي الباقين في عذاب الله تعالى قال أبو عبيدة وإنما قال من الغابرين لأن صفة النساء مع صفة الرجال تذكر إذا أشرك بينهما

قوله تعالى وأمطرنا عليهم مطرا قال ابن عباس يعني الحجارة قال مجاهد نزل جبريل فأدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط ورفعها ثم قلبها فجعل أعلاها أسفلها ثم أتبعوا بالحجارة

وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين

قوله تعالى وإلى مدين قال قتادة مدين ماء كان عليه قوم شعيب وكذلك قال الزجاج وقال لا ينصرف لأنه اسم البقعة وقال مقاتل مدين هو ابن ابراهيم الخليل لصلبه وقال أبو سليمان الدمشقي مدين هو ابن مديان بن ابراهيم والمعنى أرسلنا إلى ولد مدين فعلى هذا هو اسم قبيلة وقال بعضهم هو اسم للمدينة فالمعنى وإلى أهل مدين قال شيخنا أبو منصور اللغوي مدين أسم أعجمي فان كان عربيا فالياء زائدة من قولهم مدن بالمكان إذا أقام به

قوله تعالى ولا تبخسوا الناس أشيائهم قال الزجاج البخس النقص والقلة يقال بخست أبخس بالسين وبخصت عينه بالصاد لا غير

(٢٢٨/٣)

ولا تفسدوا في الأرض أي لا تعملوا فيها بالمعاصي بعد أن أصلحها الله بالأمر بالعدل وإرسال الرسل

قوله تعالى إن كنتم مؤمنين أي مصدقين بما أخبرتكم عن الله

ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركتم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين

قوله تعالى ولا تقعدوا بكل صراط أي بكل طريق توعدون من آمن بشعيب بالشر وتخوفونهم بالعذاب والقتل فان قيل كيف أفرد الفعل وأخلاه من المفعول فهلا قال توعدون بكذا فالجواب أن العرب إذا أخلت هذا الفعل من المفعول لم يدل إلا على شر يقولون أوعدت فلانا وكذلك إذا أفردوا وعدت من مفعول لم يدل إلا على الخبر قال الفراء يقولون وعدته خيرا وأوعدته شرا فاذا أسقطوا الخير والشر قالوا وعدته في الخير وأوعدته في الشر فاذا جاؤوا بالباء قالوا وعدته والشر وقال الراجز ... اوعدني بالسجن والأداهم ...

قال المصنف وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال إذا أرادوا أن يذكروا ما تهددوا به مع أوعدت جاؤوا بالباء فقالوا أوعدته بالضرب ولا يقولون أوعدته الضرب قال السدي كانوا عشارين وقال ابن زيد كانوا يقطعون الطريق

قوله تعالى وتصدون عن سبيل الله أي تصرفون عن دين الله من آمن به وتبغونها عوجا مفسر في آل عمران

(٢٢٩/٣)

قوله تعالى واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم قال الزجاج جائز أن يكون المعنى جعلكم أغنياء بعد أن كنتم فقراء وجائز أن يكون كثر عددكم بعد أن كنتم قليلا وجائز أن يكونوا غير ذوي مقدرة وأقدار فكثرهم وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين

قوله تعالى وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به طائفة لم يؤمنوا أي إن أختلفتم في رسالتي فصرتم فريقين مصدقين ومكذبين فاصبروا حتى يحكم الله بيننا بتعذيب المكذبين وإنجاء المصدقين وهو خير الحاكمين لأنه العدل الذي لا يجور

قوله تعالى أو لتعودن في ملتنا يعنون ديننا وهو الشرك قال الفراء جعل في قوله لتعودن لاما كجواب اليمين وهو في معنى شرط ومثله في الكلام والله لأضربنك أو تقر لي فيكون معناه معنى إلا أو معنى حتى قال أو لو كنا كارهين أي أو تجبروننا على ملتكم إن كرهناها والألف للاستفهام فان قيل كيف قالوا لتعودن وشعيب لم يكن في كفر قط فيعود إليه فعنه جوابان

أحدهما أنهم لما جمعوا في الخطاب معه من كان كافرا ثم آمن خاطبوا شعيبا بخطاب أتباعه وغلبوا لفظهم على لفظه لكثرتهم وانفراده

(٣/٢٣٠)

والثاني أن المعنى لتصيرن إلى ملتنا فوقع العود على معنى الابتداء كما يقال قد عاد علي من فلان مكروه أي قد لحقني منه ذلك وإن لم يكن سبق منه مكروه قال الشاعر ... فان تكن الأيام أحسن مرة ... إلي فقد عادت لهن ذنوب ...

وقد شرحنا هذا في قوله وإلى الله ترجع الأمور في سورة البقرة وقد ذكر معنى الجوابين الزجاج وابن الانباري

قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين

قوله تعالى قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم وذلك أن القوم كانوا يدعون أن الله أمرهم بما هم

عليه فلذلك سموه ملة وما يكون لنا أن نعود فيها أي في الملة إلا أن يشاء الله أي إلا أن يكون قد سبق في علم الله ومشيئته أن نعود فيها وسع ربنا كل شيء علما قال ابن عباس يعلم ما يكون قبل أن يكون

(٢٣١/٣)

قوله تعالى على الله توكلنا أي فيما توعدتمونا به وفي حراستنا عن الضلال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق قال أبو عبيدة احكم بيننا وأنشد ... ابلغ بني عصم رسولا ... بأني عن فتاحتكم غني ... قال الفراء وأهل عمان يسمون القاضي الفاتح والفتاح قال الزجاج وجائز أن يكون المعنى أظهر أمرنا حتى ينفتح ما بيننا وينكشف فجائز أن يكونوا سألوا بهذا نزول العذاب بقومهم ليظهر أن الحق معهم

قوله تعالى كأن لم يغنوا فيها فيه أربعة أقوال

أحدها كأن لم يعيشوا في دارهم قاله ابن عباس والأخفش قال حاتم طيئ ... غنينا زمانا بالتصعلك والغنى ... فكلا سقاناه بكأسيهما الدهر ... فما زادنا بغيا على ذي قرابة ... غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر ...

قال الزجاج منى غنينا عشنا والتصعلك الفقر والعرب تقول للفقير الصعلوك

والثاني كأن لم يتنعموا فيها قاله قتادة

والثالث كأن لم يكونوا فيها قاله ابن زيد ومقاتل

(٢٣٢/٣)

والرابع كأن لم ينزلوا فيها قاله الزجاج قال الأصمعي المغاني المنازل يقال غنينا بمكان كذا أي نزلنا بمكان كذا أي نزلنا به وقال ابن قتيبة كأن لم يقيموا فيها ومعنى غنينا بمكان كذا أقمنا قال ابن الانباري وإنما كرر قوله الذين كذبوا شعيبا للمبالغة في ذمهم كما تقول أخوك الذي أخذ أموالنا أخوك الذي شتم أعراضنا

قوله تعالى فتولى عنهم فيه قولان

أحدهما أعرض والثاني انصرف وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي قال قتادة أسمع شعيب قومه وأسمع صالح قومه كما أسمع نبيكم قومه يوم بدر يعني أنه خاطبهم بعد الهلاك فكيف آسى أي أحزن وقال ابن اسحاق أصاب شعيبا على قومه حزن شديد ثم عاتب نفسه فقال كيف آسى على قوم كافرين وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون

قوله تعالى وما أرسلنا في قرية قال الزجاج يقال لكل مدينة قرية لاجتماع الناس فيها وقال غيره في الآية اختصار تقديره فكذبوه إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء وقد سبق تفسير البأساء والضراء في الأنعام وتفسير التضرع في هذه السورة ومقصود الآية إعلام النبي صلى الله عليه و سلم بسنة الله في المكذبين وتهديد قريش

ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون

(٢٣٣/٣)

ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركان من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون

قوله تعالى ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة فيه قولان

أحدهما أن السيئة الشدة والحسنة الرخاء قاله ابن عباس

والثاني السيئة الشر والحسنة الخير قاله مجاهد

قوله تعالى حتى عفوا قال ابن عباس كثروا وكثرت أموالهم وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فنحن مثلهم يصيبنا ما أصابهم يعني أنهم ارادوا أن هذا دأب الدهر وليس بعقوبة فأخذناهم بغتة أي فجأة بنزول العذاب وهم لايشعرون بنزوله حتى أهلكهم الله

قوله تعالى لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض قال الزجاج المعنى أتاهم الغيث من السماء والنبات من الأرض وجعل ذلك زاكيا كثيرا

أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون

قوله تعالى أو أمن أهل القرى قرأ ابن كثير وابن عامر ونافع أو أمن أهل باسكان الواو وقرأ عاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي أو أمن بتحريك الواو وروى ورش عن نافع أوامن يدغم الهمزة ويلقي حركتها على الساكن

أو لم يهد للذي يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون

(٢٣٤/٣)

تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين

قوله تعالى أو لم يهد للذين وقرأ يعقوب نهد بالنون وكذلك في طه والسجدة قال الزجاج من قرأ بالياء فالمعنى أو لم يبين الله لهم ومن قرأ بالنون فالمعنى أو لم نبين وقوله تعالى ونطبع ليس بمحمول على أصبناهم لأنه لو حمل على أصبناهم لكان ولطبعنا وإنما المعنى ونحن نطبع على قلوبهم ويجوز أن يكون محمولا على الماضي ولفظه لفظ المستقبل كما قال ان لو نشاء والمعنى لو شئنا وقال ابن الانباري يجوز أن يكون معطوفا على أصبنا إذ كان بمعنى نصيب فوضع الماضي في موضع المستقبل عند وضوح معنى الاستقبال كما قال تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك أي إن يشأ يدل عليه قوله ويجعل لك قصورا قال الشاعر ... إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا ... مني وما سمعوا من صالح دفنوا ...

أي يدفنوا

قوله تعالى فهم لا يسمعون أي لا يقبلون ومنه سمع الله لمن حمده قال الشاعر ... دعوت الله حتى خفت أن لا ... يكون الله يسمع ما أقول

(٢٣٥/٣)

قوله تعالى فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل فيه خمسة أقوال

أحدها فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق في علم الله أنهم يكذبون به يوم أقروا به بالميثاق حين أخرجهم من صلب آدم هذا قول أبي بن كعب

والثاني فما كانوا ليؤمنوا عند إرسال الرسل بما كذبوا به يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من صلب آدم فآمنوا كرها حيث أقروا بالألسن وأضمروا التكذيب قاله ابن عباس والسدي

والثالث فما كانوا لو رددناهم إلى الدنيا بعد موتهم ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل هلاكهم هذا قول مجاهد

والرابع فما كانوا ليؤمنوا بما كذب به أوائلهم من الأمم الخالية بل شاركوهم في التكذيب قاله يمان بن رباب

والخامس فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات والعجائب بما كذبوا قبل رؤيتها

وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أثرهم لفاسقين

قوله تعالى وما وجدنا لأكثرهم قال مجاهد يعني القرون الماضية من عهد قال أبو عبيدة أي وفاء قال ابن عباس يريد الوفاء بالعهد الذي عاهدهم حين أخرجهم من صلب آدم وقال الحسن العهد هاهنا ما

عهده إليهم مع الأنبياء أن لا يشركوا به شيئا
قوله تعالى وإن وجدنا قال أبو عبيدة وما وجدنا أكثرهم إلا الفاسقين

(٢٣٦/٣)

ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين
قوله تعالى ثم بعثنا من بعدهم يعني الأنبياء المذكورين
قوله تعالى فظلموا بها قال ابن عباس فكذبوا بها وقال غيره فجحدوا بها
قوله تعالى حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق على بمعنى الباء قال الفراء العرب تجعل الباء في موضع على تقول رميت بالقوس وعلى القوس وجئت بحال حسنة وعلى حال حسنة وقال أبو عبيدة حقيق بمعنى حريص وقرأ نافع وأبان عن عاصم حقيق علي بتشديد الياء وفتحها على الاضافة والمعنى واجب علي
قوله تعالى قد جئتكم ببينة قال ابن عباس يعني العصا فأرسل معي بني إسرائيل أي أطلق عنهم وكان قد استخدمهم في الأعمال الشاقة فاذا هي ثعبان مبين قال أبو عبيدة أي حية ظاهرة قال الفراء الثعبان أعظم الحيات وهو الذكر وكذلك روى الضحاك عن ابن عباس الثعبان الحية الذكر

(٢٣٧/٣)

ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وجآء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم لمن المقربين قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما نكون نحن المقلين قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجآءوا بسحر عظيم وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون
قوله تعالى ونزع يده قال ابن عباس أدخل يده في جيبه ثم أخرجها فاذا هي تبرق مثل البرق لها شعاع غلب نور الشمس فخروا على وجوههم ثم أدخلها جيبه فصارت كما كانت قال مجاهد بيضاء من غير

برص

قوله تعالى فماذا تأمرون قال ابن عباس ما الذي تشيرون به علي وهذا يدل على أنه من قول فرعون وأن كلام الملأ انقطع عند قوله من أرضكم قال الزجاج يجوز أن يكون من قول الملأ كأنهم خاطبوا فرعون ومن يخصه أو خاطبوه وحده لأنه قد يقال للرئيس المطاع ماذا ترون

قوله تعالى أرجئه قرأ ابن كثير أرجهؤ مهموز بواو بعد الهاء في اللفظ وقرأ أبو عمرو مثله غير أنه يضم الهاء ضمة من غير أن يبلغ بها الواو وكانا يهمزان مرجؤن و ترجئ

(٢٣٨/٣)

وقرأ قالوا والمسيبي عن نافع أرجه بكسر الهاء ولا يبلغ بها الياء ولا يهمز وروى عنه ورش أرجهي يصلها بياء ولا يهمز بين الجيم والهاء وكذلك قال إسماعيل بن جعفر عن نافع وهي قراءة الكسائي وقرأ حمزة أرجه ساكنة الهاء غير مهموز وكذلك قرأ عاصم في غير رواية المفضل وقد روى عنه المفضل كسر الهاء من غير إشباع ولا همز وهي قراءة أبي جعفر وكذلك اختلافهم في سورة الشعراء قال ابن قتيبة أرجه أخره وقد يهمز يقال أرجأت الشيء وأرجيته ومنه قوله ترجي من تشاء منهن قال الفراء بنو أسد تقول أرجيت الأمر بغير همز وكذلك عامة قيس وبعض بني تميم يقولون أرجأت الأمر بالهمز والقراء مولعون بهمزها وترك الهمز أجود

قوله تعالى وارسل في المدائن يعني مدائن مصر حاشرين أي من يحشر السحرة إليك ويجمعهم وقال ابن عباس هم الشرط

قوله تعالى يأتوك بكل ساحر قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم وابن عامر ساحر وفي يونس بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي سحار في الموضعين ولا خلاف في الشعراء أنها سحار

قوله تعالى إن لنا لأجرا قرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم إن لنا لأجرا مكسورة الألف على الخبر وفي الشعراء آين ممدودة مفتوحة الألف غير أن حفصا روى عن عاصم في الشعراء أإن بهمزتين وقرأ أبو عمرو آين لنا ممدودة في السورتين وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بهمزتين في الموضعين

(٢٣٩/٣)

قال أبو علي الاستفهام أشبه بهذا الموضع لأنهم لم يقطعوا على أن لهم الأجر وإنما استفهموا عنه

قوله تعالى وإنكم لمن المقربين أي ولكم مع الأجر المنزلة الرفيعة عندي

قوله تعالى سحروا أعين الناس قال أبو عبيدة عشوا أعين الناس وأخذوها واسترهبوهم أي خوفوهم وقال الزجاج استدعوا رهبتهم حتى رهبهم الناس

قوله تعالى فاذا هي تلقف وقرأ عاصم تلقف ساكنة اللام خفيفة القاف هاهنا وفي طه والشعراء وروى البزي وابن فليح عن ابن كثير تلقف بتشديد التاء قال الفراء يقال لقفت الشيء فأنا ألقفه لقفا ولقفانا والمعنى تبتلع

قوله تعالى ما يأفكون أي يكذبون لأنهم زعموا أنها حيات

قوله تعالى فوقع الحق قال ابن عباس استبان وبطل ما كانوا يعملون من السحر

الإشارة إلى قصتهم

اختلفوا في عدد السحرة على ثلاثة عشر قولا أحدها اثنان وسبعون رواه أبو صالح عن ابن عباس والثاني اثنان وسبعون ألفا روي عن ابن عباس أيضا وبه قال مقاتل والثالث سبعون روي عن ابن عباس أيضا والرابع اثنا عشر ألفا قاله كعب والخامس سبعون ألفا قاله عطاء

وكذلك قال وهب في رواية ألا أنه قال فاختار منهم سبعة آلاف والسادس سبعمائة وروى عبد المنعم بن إدريس عن ابيه عن وهب أنه قال كان عدد السحرة الذين عارضوا موسى سبعين ألفا متخيرين من سبعمائة ألف ثم إن فرعون اختار من السبعين الألف سبعمائة ولاسابع خمسة وعشرون ألفا قاله الحسن والثامن تسعمائة قاله عكرمة والتاسع ثمانون ألفا قاله محمد بن المنكدر والعاشر بضعة وثلاثون ألفا قاله السدي والحادي عشر خمسة عشر ألفا قاله اب اسحاق والثاني عشر تسعة عشر ألفا رواه أبو سليمان الدمشقي والثالث عشر أربع مائة حكاه الثعلبي فأما أسماء رؤسائهم فقال ابن اسحاق رؤوس السحرة سانور وعاذور وحطحط ووصفى وهم الذين آمنوا كذا حكاه ابن ماكولا ورأيت عن غير ابن اسحاق سابورا وعازورا وقال مقاتل اسم أكبرهم شمعون قال ابن عباس ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فكانت ميلا في مثل فألقى موسى عصاه فاذا هي أعظم من حبالهم وعصيهم قد سدت الأفق ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا فابتلعت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم وجعلت تأكل جميع ما قدرت عليه من صخرة أو شجرة والناس ينظرون وفرعون يضحك تجلدا فأقبلت الحية نحو فرعون فصاح يا موسى يا موسى فأخذها موسى وعرفت السحرة أن هذا من السماء وليس هذا بسحر فخروا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين فقال فرعون إياي تمنون فقالوا رب موسى وهارون فأصبحوا سحرة وأمسوا شهداء وقال وهب بن منبه لما صارت ثعبانا حملت على الناس فانهزموا منها فقتل بعضهم بعضا فمات منهم خمسة وعشرون ألفا وقال السدي لقي موسى أمير السحرة فقال أرأيت إن غلبتك

غدا أتؤمن بي فقال الساحر لآتين غدا بسحر لا يغلبه السحر فوالله لئن غلبتني لأومنن بك فان قيل كيف جاز أن يأمرهم موسى بالإلقاء وفعل السحر كفر فعنه ثلاثة أجوبة أحدها أن مضمون أمره إن كنتم محقين فألقوا والثاني ألقوا على ما يصح لا على ما يفسد ويستحيل ذكرهما الماوردي والثالث إنما أمرهم بالإلقاء لتكون معجزته أظهر لأنهم إذا ألقوا ألقى عصاه فابتلعت ذلك ذكره الواحدي فان قيل كيف قال وألقي السحرة ساجدين وإنما سجدوا باختيارهم فالجواب أنه لما زالت كل شبهة بما أظهر الله تعالى من أمره اضطرهم عظيم ما عاينوا إلى مبادرة السجود فصاروا مفعولين في الإلقاء تصحيحا وتعظيما لشأن ما رأوا من الآيات ذكره ابن الانباري قال ابن عباس لما آمنت السحرة اتبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل

قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين قالوا إنا إلى ربنا منقلبون

قوله تعالى آمنتم به قرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو ءآمنتم به بهمزة ومدة على الاستفهام وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم أآمنتم به فاستفهموا بهمزتين الثانية ممدودة وقرأ حفص عن عاصم آمنتم به على الخبر وروى ابن الإخريط عن ابن كثير قال فرعون وأمنتم به فقلب همزة الاستفهام واوا وجعل الثانية ملينة بين بين وروى قنبل عن القواس مثل رواية ابن الإخريط غير أنه كان يهمز بعد الواو وقال أبو علي همز بعد الواو

لأن هذه الواو منقلبة عن همزة الاستفهام وبعد همزة الاستفهام أفعلتم فحققها ولم يخففها

قوله تعالى إن هذا لمكر مكرتموه قال ابن السائب لصنيع صنعتموه فيما بينكم وبين موسى في مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع لتستولوا على مصر فتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون عاقبة ما صنعتم لأقطعن أيديكم أرجلكم من خلاف وهو قطع اليد اليمنى والرجل اليسر قال ابن عباس أول من فعل ذلك وأول من صلب فرعون

وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جآءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشآء من عباده والعاقبة للمتقين

قوله تعالى وما تنقم منا أي وما تكره منا شيئا ولا تعطن علينا إلا لأنا آمنا ربنا أفرغ علينا صبرا قال مجاهد على القطع والصلب حتى لا نرجع كفارا وتوفنا مسلمين أي مخلصين على دين موسى
قوله تعالى وأنذر موسى وقومه هذا إغراء من الملأ لفرعون وفيما أرادوا بالفساد في الأرض قولان أحدهما قتل أبناء القبط واستحياء نسائهم كما فعلوا ببني اسرائيل قاله مقاتل والثاني دعاؤهم الناس إلى مخالفة فرعون وترك عبادته

(٢٤٣/٣)

قوله تعالى ويذرك جمهور القراء على نصب الراء وقرأ الحسن برفعها قاله الزجاج من نصب ويذرك نصبه على جواب الاستفهام بالواو والمعنى أيكون منك أن تذر موسى وأن يذرك ومن رفعه جعله مستأنفا فيكون المعنى أتذر موسى وقومه وهو يذرك وآلهتك والأجود أن يكون معطوفا على أنذر فيكون المعنى أتذر موسى وأيذرك موسى أي أتطلق له هذا
قوله تعالى وآلهتك قال ابن عباس كان فرعون قد صنع لقومه أصناما صغارا وأمرهم بعبادتها وقال أنا ربكم ورب هذه الأصنام فذلك قوله أنا ربكم الأعلى وقال غيره كان قومه يعبدون تلك الأصنام تقربا إليه وقال الحسن كان يعبد تيسا في السر وقيل كان يعبد البقر سرا وقيل كان يجعل في عنقه شيئا يعبده وقرأ ابن مسعود وابن عباس والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وأبو العالية وابن محيصن والإهتك بكسر الهمزة وقصرها وفتح اللام وبألف بعدها قال الزجاج المعنى ويذرك وربوبيتك وقال ابن الانباري قال اللغويون الإلاهة العبادة فالمعنى ويذرك وعبادة الناس إياك قال ابن قتيبة من قرأ وإلاهتك أراد ويذرك والشمس التي تعبد وقد كانف ي العرب قوم يعبدون الشمس ويسمونها آلهة قال الأعشى ... فما أذكر الرهبه حتى انقلبت ... قبيل الإلهة منها قريبا ...
يعني الشمس والرهب ناقته يقول اشتغلت بهذه المرأة عن ناقتي إلى هذا الوقت
قوله تعالى سنقتل أبناءهم قرأ أبو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي سنقتل ويقتلون ابناءكم بالتشديد

(٢٤٤/٣)

وخفضهما نافع وقرأ ابن كثير سنقتل خفيفة ويقتلون مشددة وإنما عدل عن قتل موسى إلى قتل الابناء لعلمه أنه لا يقدر عليه وإنا فوقهم قاهرون أي عالون بالملك والسلطان فشكا بنو إسرائيل إعادة القتل على أبنائهم فقال موسى استعينوا بالله واصبروا على ما يفعل بكم إن الأرض لله يورثها من يشاء من

عباده وقرأ الحسن وهبيرة عن حفص عن عاصم يورثها بالتشديد فأطعمهم موسى أن يعطيهم الله أرض فرعون وقومه بعد إهلاكهم

قوله تعالى والعاقبة للمتقين فيها قولان أحدهما الجنة والثاني النصر والظفر

قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون

قوله تعالى قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا في هذا الأذى ستة اقوال

أحدها أن الأذى الاول والثاني أخذ الجزية قاله الحسن

والثاني أن الأول ذبح الأبناء والثاني إدراك فرعون يوم طلبهم قاله السدي

والثالث أن الأول أنهم كانوا يسخرون في الأعمال إلى نصف النهار ويرسلون في بقيته يكتسبون والثاني تسخيرهم جميع النهار بلا طعام ولا شراب قاله جويبر

والرابع أن الأول تسخيرهم في ضرب اللبن وكانوا يعطونهم التبن الذي يخلطونه في الطين والثاني أنهم كلفوا ضرب اللبن وجعل التبن عليهم قاله ابن السائب

والخامس أن الأول قتل الأبناء واستحياء البنات والثاني تكليف فرعون إياهم مالا يطيقونه قاله مقاتل

والسادس أن الأول استخدامهم وقتل أبنائهم واستحياء نسائهم والثاني إعادة ذلك العذاب

وفي قوله من قبل أن تأتينا قولان

أحدهما تأتينا بالرسالة ومن بعد ما جئنا بها قاله ابن عباس

والثاني تأتينا بعهد الله أنه سيخلصنا ومن بعد ما جئتنا به ذكره الماوردي

قوله تعالى عسى ربكم أن يهلك عدوكم قال الزجاج عسى طمع وإشفاق إلا أن ما يطمع الله فيه فهو واجب

قوله تعالى ويستخلفكم في الأرض في هذا الاستخلاف قولان

أحدهما أنه استخلاف من فرعون وقومه والثاني استخلاف عن الله تعالى لأن المؤمنين خلفاء الله في أرضه وفي الأرض قولان

أحدهما أرض مصر قاله ابن عباس والثاني أرض الشام ذكره الماوردي

قوله تعالى فينظر كيف تعملون قال الزجاج أي يراه بوقوعه منكم لأنه إنما يجازيهم على ما وقع منهم لا على ما علم أنه سيقع

قوله تعالى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين قال أبو عبيدة مجازه ابتليناهم بالجدوب وآل فرعون أهل دينه وقومه وقال مقاتل هم أهل مصر

(٣/٢٤٦)

قال الفراء بالسنين أي بالقحط والجدوب عاما بعد عام وقال الزجاج السنون في كلام العرب الجدوب يقال مستهم السنة ومعناه جدب السنة وشدة السنة وإنما أخذهم بالضراء لأن أحوال الشدة ترق القلوب وترغب فيما عند الله وفي الرجوع اليه قال قتادة أما السنون فكانت في بواديهم ومواشيهم وأما نقص الثمرات فكان في أمصارهم وقراهم وروى الضحاك عن ابن عباس قال يبس لهم كل شيء وذهبت مواشيهم حتى يبس نيل مصر فاجتمعوا إلى فرعون فقالوا له إن كنت ربا كما تزعم فاملأ لنا نيل مصر فقال غدوة يصبحكم الماء فلما خرجوا من عنده قال أي شيء صنعت أنا أقدر أن أجيء بالماء في نيل مصر غدوة أصبح فيكذبوني فلما كان جوف الليل اغتسل ثم لبس مدرعة من صوف ثم خرج حافيا حتى اتى بطن نيل مصر فقام في بطنه فقال اللهم إنك تعلم أني أعلم أنك تقدر أن تملأ نيل مصر ماء فاملأه فما علم إلا بخرير الماء لما أراد الله به من الهلكة قلت وهذا الحديث بعيد الصحة لأن الرجل كان دهريا لا يثبت آلها ولو صح كان إقراره بذلك كاقرار ابليس وتبقى مخالفته عنادا

فاذا جآءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طآئرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون

قوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة وهي الغيث والخصب وسعة الرزق والسلامة قالوا لنا هذه أي نحن مستحقوها على ما جرى لنا من العادة في سعة الرزق ولم يعلموا أنه من الله فيشكروا عليه وإن تصبهم سيئة وهي القحط والجدب والبلاء يطيروا بموسى ومن معه أي يتشاءموا بهم وكانت العرب تزجر

(٣/٢٤٧)

الطير فتتشاءم بالبارح وهو الذي يأتي من جهة الشمال وتتبرك بالسانح وهو الذي يأتي من جهة اليمين قوله تعالى ألا إنما طائرهم عند الله قال أبو عبيدة ألا تنبيه وتوكيد ومجاز طائرهم حظهم ونصيبهم وقال ابن عباس ألا إنما طائرهم عند الله أي إن الذي أصابهم من الله وقال الزجاج المعنى ألا إن الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به في الآخرة لا ما ينالهم في الدنيا

وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين

قوله تعالى وقالوا مهما قال الزجاج زعم النحويون أن أصل مهما ماما ولكن أبدل من الألف الأولى الهاء ليختلف اللفظ ف ما الأولى هي ما الجزاء وما الثانية هي التي تزاد تأكيدا للجزاء ودليل النحويين على ذلك أنه ليس شيء من حروف الجزاء إلا وما تزاد فيه قال الله تعالى فاما تثقفنهم كقولك إن تثقفنهم وقال وإما تعرضن عنهم وتكون ما الثانية للشرط والجزاء والتفسير الأول هو الكلام وعليه استعمال الناس قال ابن الانباري فعلى قول من قال إن معنى مه الكف يحسن الوقف على مه والاختيار أن لا يوقف عليها دون ما لأنها في المصحف حرف واحد وفي الطوفان ثلاثة أقوال

أحدها أنه الماء قال ابن عباس أرسل عليهم مطر دائم الليل والنهار ثمانية أيام وإلى هذا المعنى ذهب سعيد بن جبير وقتادة والضحاك وأبو مالك ومقاتل واختاره الفراء وابن قتيبة

(٢٤٨/٣)

والثاني أنه الموت روته عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه و سلم وبه قال مجاهد وعطاء ووهب بن منبه وابن كثير

والثالث أنه الطاعون نقل عن مجاهد ووهب أيضا وفي القمل سبعة أقوال

أحدها أنه السوس الذي يقع في الحنطة رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وقال به

والثاني أنه الدبى رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال مجاهد وعطاء وقال قتادة القمل أولاد الجراد وقال ابن فارس الدبى الجراد إذا تحرك قبل أن تنبت أجنحته

والثالث أنه دواب سود صغار قاله الحسن وسعيد بن جبير وقيل هذه الدواب هي السوس

والرابع أنه الجعلان قاله حبيب بن أبي ثابت

والخامس أنه القمل ذكره عطاء الخراساني وزيد بن أسلم

والسادس أنه البراغيث حكاه ابن زيد

والسابع أنه الحمنان واحدتها حمنانة وهي ضرب من القردان قاله أبو عبيدة وقرأ الحسن وعكرمة وابن يعمر القمل برفع القاف وسكون الميم

(٢٤٩/٣)

وفي الدم قولان أحدهما أن ماءهم صار دما قاله الجمهور والثاني أنه رعاف أصابهم قاله زيد بن اسلم

الإشارة إلى شرح القصة

قال ابن عباس جاءهم الطوفان فكان الرجل لا يقدر ان يخرج إلى ضيعته حتى خافوا الغرق فقالوا يا

موسى ادع لنا ربك يكشفه عنا ونؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا لهم فكشفه الله عنهم وأنبت لهم شيئا لم ينبته قبل ذلك فقالوا هذا ما كنا نتمنى فأرسل الله عليهم الجراد فأكل ما أنبتت الأرض فقالوا ادع لنا ربك فدعا فكشف الله عنهم فأحرزوا زروعهم في البيوت فأرسل الله عليهم القمل فكان الرجل يخرج بطحين عشرة أجربة إلى الرحى فلا يرى منها ثلاثة أقفزة فسألوه فدعا لهم فكشف عنهم فلم يؤمنوا فأرسل الله عليهم الضفادع ولم يكن شيء أشد منها كانت تجيء إلى القدور وهي تغلي وتفور فتلقي أنفسها فيها فتفسد طعامهم وتطفئ نيرانهم وكانت الضفادع برية فأورثها الله تعالى برد الماء والثرى إلى يوم القيامة فسألوه فدعا لهم فلم يؤمنوا فأرسل الله عليهم الدم فجرت أنهارهم وقلبهم دما فلم يقدروا على الماء العذب وبنو إسرائيل في الماء العذب فاذا دخل الرجل منهم يستقي من أنهار بني اسرائيل صار ما دخل فيه دما والماء من بين يديه ومن خلفه صاف عذب لا يقدر عليه فقال فرعون أقسم بالهي يا موسى لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل فدعا موسى فذهب الدم وعذب ماؤهم فقالوا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل

(٢٥٠/٣)

قوله تعالى آيات مفصلات قال ابن قتيبة بين الآية والآية فصل قال المفسرون كانت الآية تمكث من السبت إلى السبت ثم يبقون عقيب رفعها شهرا في عافية ثم تأتي الآية الأخرى قال وهب بن منبه بين كل آيتين أربعون يوما وروى عكرمة عن ابن عباس قال مكث موسى في آل فرعون بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم الآيات الجراد والقمل والضفادع والدم

وفي قوله فاستكبروا قولان أحدهما عن الإيمان والثاني عن الانزجار

ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين

قوله تعالى ولما وقع عليهم الرجز أي نزل بهم العذاب وفي هذا العذاب قولان

أحدهما أنه طاعون أهلك منهم سبعين ألفا قاله ابن عباس وسعيد بن جبير

والثاني أنه العذاب الذي سلطه الله عليهم من الجراد والقمل وغير ذلك قاله ابن زيد قال الزجاج الرجز العذاب أو العمل الذي يؤدي إلى العذاب ومعنى الرجز في العذاب أنه المقلقل لشدته قلقلة شديدة متتابعة وأصل الرجز في اللغة تتابع الحركات فمن ذلك قولهم ناقة رجزاء إذا كانت

(٢٥١/٣)

ترتعد قوائمها عند قيامها ومنه رجز الشعر لأنه أقصر أبيات الشعر والانتقال من بيت إلى بيت سريع نحو قوله ... يا ليتني فيها جذع ... أخب فيها وأضع ...

وزعم الخليل أن الرجز ليس بشعر وإنما هو أنصاف أبيات وأثلاث

قوله تعالى بما عهد عندك فيه أربعة أقوال

أحدها أن معناه بما أوصاك أن تدعوه به والثاني بما تقدم به إليك أن تدعوه فيجيبك والثالث بما عهد عندك في كشف العذاب عمن آمن والرابع أن ذلك منهم على معنى القسم كأنهم أقسموا عليه بما عهد عنده أن يدعو لهم

قوله تعالى إلى أجل هم بالغوه أي إلى وقت غرقهم إذا هم ينكثون أي ينقضون العهد

قوله تعالى فانتقمنا منهم قال أبو سليمان الدمشقي انتصرنا منهم باحلال نقمتنا بهم وتلك النقمة تغريقنا إياهم في اليم قال ابن قتيبة اليم البحر بالسريانية

قوله تعالى وكانوا عنها غافلين فيه قولان

أحدهما عن الآيات وغفلتهم تركهم الاعتبار بها والثاني عن النقمة

وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون

(٢٥٢/٣)

قوله تعالى وأورثنا القوم يعني بني إسرائيل الذين كانوا يستضعفون أي يستذلون بذبح الأبناء واستخدام النساء وتسخير الرجال مشارق الأرض ومغاربها فيه ثلاثة أقوال

أحدها مشارق الشام ومغاربها قاله الحسن والثاني مشارق أرض الشام ومصر والثالث أنه على إطلاقه في شرق الأرض وغربها

قوله تعالى التي باركنا فيها قال ابن عباس بالماء والشجر

قوله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى وهي وعد الله لبني إسرائيل باهلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض وذلك في قوله ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض وقد بينا علة تسمية ذلك كله في آل عمران

قوله تعالى بما صبروا فيه قولان

أحدهما على طاعة الله تعالى والثاني على أذى فرعون

قوله تعالى ودمرنا أي أهلكنا ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات والمزارع والدمار الهلاك وما كانوا يعرشون أي يبنون قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم يعرشون بكسر الراء هاهنا وفي النحل وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم بضم الراء فيهما وقرأ ابن أبي عبلة يعرشون بالتشديد قال الزجاج يقال عرش يعرش ويعرش إذا بنى

قوله تعالى يعكفون قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر ويعقوب يعكفون بضم الكاف وقرأ حمزة والكسائي

(٢٥٣/٣)

والمفضل بكسر الكاف وقرأ ابن أبي عبلة بضم الياء وتشديد الكاف قال الزجاج ومعنى يعكفون على اصنام لهم يواظبون عليها ويلازمونها يقال لكل من لزم شيئا وواظب عليه عكف يعكف ويعكف قال قتادة كان أولئك القوم نزولا بالرقة وكانوا من لخم وقال غيره كانت أصنامهم تماثيل البقر وهذا إخبار عن عظيم جهلهم حيث توهموا جواز عبادة غير الله بعدما رأوا الآيات

إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون

قوله تعالى إن هؤلاء متبر ما هم فيه قال ابن قتيبة مهلك والتبار الهلاك

قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين

قوله تعالى قال أغير الله أبغيكم إلها أي أطلب لكم وهذا استفهام إنكار قال المفسرون منهم ابن عباس ومجاهد العالمون هاهنا عالمو زمانهم

وإذا أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم

قوله تعالى وإذ أنجيناكم قرأ ابن عامر وإذا أنجاكم على لفظ الغائب المفرد

وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين

(٢٥٤/٣)

قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة المعنى وعدناه انقضاء الثلاثين ليلة قال ابن عباس قال موسى لقومه إن ربي وعدني ثلاثين ليلة فلما فصل إلى ربه زاده عشرا فكانت فتنتهم في ذلك العشر فان قيل لم زيد هذا العشر فالجواب أن ابن عباس قال صام تلك الثلاثين ليلهن ونهارهن فلما انسلخ الشهر كره

أن يكلم ربه وريح فمه ريح فم الصائم فتناول شيئا من نبات الأرض فمضغه فأوحى الله تعالى إليه لا كلمتك حتى يعود فوك على ما كان عليه أما علمت أن رائحة فم الصائم إحب إلي من ريح المسك وأمره بصيام عشرة أيام وقال أبو العالية مكث موسى على الطور أربعين ليلة فبلغنا أنه لم يحدث حتى هبط منه

فان قيل ما معنى فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقد علم ذلك عند انضمام العشر إلى الثلاثين

فالجواب من وجوه أحدها أنه للتأكيد والثاني ليدل أن العشر ليال لا ساعات والثالث لينفي تمام الثلاثين بالعشر أن تكون من جملة الثلاثين لأنه يجوز أن يسبق إلى الوهم أنها كانت عشرين ليلة فأتمت بعشر وقد بينا في سورة البقرة لماذا كان هذا الوعد

قوله تعالى وأصلح قال ابن عباس مرهم بالإصلاح وقال مقاتل ارفق

ولما جآء موسى لميقاتنا وكلمة ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول

(٢٥٥/٣)

المؤمنين قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين

قوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا قال الزجاج أي للوقت الذي وقتنا له وكلمه ربه أسمعه كلامه ولم يكن فيما بينه وبين الله عز و جل فيما سمع أحد قال رب أرني أنظر إليك أي أرني نفسك

قوله تعالى قال لن تراني تعلق بهذا نفاة الرؤية وقالوا لن لنفي الأبد وذلك غلط لأنها قد وردت وليس المراد بها الأبد في قوله ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم ثم أخبر عنهم بتمنيه في النار بقوله يا مالك ليقض علينا ربك ولأن ابن عباس قال في تفسيرها لن تراني في الدنيا وقال غيره هذا جواب لقول موسى أرني ولم يرد أرني في الآخرة وإنما أراد في الدنيا فأجيب عما سأل وقال بعضهم لن تراني بسؤالك وفي هذه الآية دلالة على جواز الرؤية لأن موسى مع علمه بالله تعالى سألها ولو كانت مما يستحيل لما جاز لموسى أن يسألها ولا يجوز أن يجهل موسى مثل ذلك لأن معرفة الأنبياء بالله ليس فيها نقص ولأن الله تعالى لم ينكر عليه المسألة وإنما منعه من الرؤية ولو استحالت عليه لقال لا أرى ألا ترى أن نوحا لما قال إن ابني من أهلي أنكر عليه بقوله إنه ليس من أهلك ومما يدل على جواز الرؤية أنه علقها باستقرار الجبل وذلك جائز غير مستحيل فدل على أنها جائزة ألا ترى أن دخول الكفار الجنة لما استحال علقه بمستحيل فقال حتى يلج الجمل في سم الخياط

قوله تعالى فان استقر مكانه أي ثبت ولم يتضعضع

قوله تعالى فلما تجلى ربه قال الزجاج ظهر وبان جعله دكا قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر دكا منونة مقصورة هاهنا وفي الكهف وقرأ عاصم دكا ها هنا منونة مقصورة وفي الكهف دكاء ممدودة غير منونة وقرأ حمزة والكسائي دكاء ممدودة غير منونة في الموضعين قال أبو عبيدة جعله دكا أي مندكا والدك المستوي والمعنى مستويا مع وجه الأرض يقال ناقة دكاء أي ذاهبة السنام مستو ظهرها قال ابن قتيبة كأن سنامها دك أي التصق قال ويقال إن اصل دككت دققت فأبدلت القاف كافا لتقارب المخرجين وقال أنس بن مالك في قوله جعله دكا ساخ الجبل قال ابن عباس واسم الجبل زبير وهو أعظم جبل بمدين وإن الجبال تطاولت ليتجلى لها وتواضع زبير فتجلى له

قوله تعالى وخر موسى صعقا فيه قولان

أحدهما مغشيا عليه قاله ابن عباس والحسن وابن زيد

والثاني ميتا قاله قتادة ومقاتل والأول أصح لقوله فلما أفاق وذلك لا يقال للميت وقيل بقي في غشيته يوما وليلة

قوله تعالى سبحانك تبت إليك فيما تاب منه ثلاثة أقوال

أحدها سؤاله الرؤية قاله ابن عباس ومجاهد والثاني من الإقدام على المسألة قبل الإذن فيها والثالث اعتقاد جواز رؤيته في الدنيا

وفي قوله وأنا أول المؤمنين قولان

أحدهما أنك لن ترى في الدنيا رواه أبو صالح عن ابن عباس

والثاني أول المؤمنين من بني إسرائيل رواه عكرمة عن ابن عباس

قوله تعالى إني اصطفيتك فتح ياء إني ابن كثير وأبو عمرو وقرأ ابن كثير ونافع برسالتي قال الزجاج المعنى اتخذتك صفوة على الناس برسالاتي وبكلامي ولو كان إنما سمع كلام غير الله لما قال برسالاتي وبكلامي لأن الملائكة تنزل إلى الأنبياء بكلام الله

وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وامر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين

قوله تعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء في ماهية الألواح سبعة أقوال

أحدها أنها زبرجد قاله ابن عباس والثاني ياقوت قاله سعيد بن جبير والثالث زمرد أخضر قاله مجاهد

والرابع برد قاله أبو العالية والخامس خشب قاله الحسن والسادس صخر قاله وهب بن منبه والسابع زمرد وياقوت قاله مقاتل وفي عددها أربعة اقوال

أحدها سبعة رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس والثاني لوحان قاله أبو صالح عن ابن عباس واختاره الفراء قال وإنما سماها الله تعالى ألواحا على مذهب العرب في إيقاع الجمع على التثنية كقوله وكنا لحكمهم شاهدين يريد داود وسليمان وقوله فقد صغت قلوبكما والثالث عشرة قاله وهب والرابع تسعة قاله مقاتل

وفي قوله من كل شيء قولان أحدهما من كل شيء يحتاج إليه في دينه من الحلال والحرام والواجب وغيره والثاني من الحكم والعبر

(٢٥٨/٣)

قوله تعالى موعظة أي نهيا عن الجهل وتفصيلا أي تبيينا لكل شيء من الأمر والنهي والحدود والأحكام

قوله تعالى فخذها بقوة فيه ثلاثة أقوال

أحدها بجد وحزم قاله ابن عباس والثاني بطاعة قاله أبو العالية والثالث بشكر قاله جويبر

قوله تعالى وأمر قومك يأخذوا بأحسنها إن قيل كأن فيها ما ليس بحسن فعنه جوابان

أحدهما أن المعنى يأخذوا بحسنها وكلها حسن قاله قطرب وقال ابن الانباري ناب أحسن عن حسن كما قال الفرزدق ... إن الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتا دعائمه أعز وأطول ...

أي عزيزة طويلة وقال غير الأحسن هاهنا صلة والمعنى يأخذوا بها

والثاني أن بعض ما فيها أحسن من بعض ثم في ذلك خمسة أقوال

أحدها أنهم أمروا فيها بالخير ونهوا عن الشر ففعل الخير هو الأحسن

والثاني أنها اشتملت على أشياء حسنة بعضها أحسن من بعض كالقصاص والعفو والانتصار والصبر فأمروا أن يأخذوا بالأحسن ذكر القولين الزجاج فعلى هذا القول يكون المعنى انهم يتبعون العزائم والفضائل وعلى الذي قبله يكون المعنى أنهم يتبعون الموصوف بالحسن وهو الطاعة ويجتنبون الموصوف بالقبح وهو المعصية

والثالث أحسنها الفرائض والنوافل وأدونها في الحسن المباح

(٢٥٩/٣)

والرابع أن يكون للكلمة معنيان أو ثلاثة فتصرف إلى الاشبه بالحق

والخامس أن أحسنها الجمع بين الفرائض والنوافل

قوله تعالى سأريكم دار الفاسقين فيها أربعة أقوال

أحدها أنها جهنم قاله الحسن ومجاهد والثاني انها دار فرعون وقومه وهي مصر قاله عطية العوفي

والثالث أنها منازل من هلك من الجبابرة والعمالقة يريهم إياها عند دخولهم الشام قاله قتادة والرابع أنها مصارع الفاسقين قاله السدي ومعنى الكلام سأريكم عاقبة من خالف أمري وهذا تهديد للمخالف وتحذير للموافق

سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون

قوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق في هذه الآية قولان

أحدهما أنها خاصة لأهل مصر فيما رأوا من الآيات والثاني أنها عامة وهو أصح وفي الآيات قولان

أحدهما أنها آيات الكتب المتلوة ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال أحدها أمنعهم فهمها والثاني أمنعهم من الإيمان بها والثالث أصرفهم عن الاعتراض عليها بالإبطال

والثاني أنها آيات المخلوقات كالسماء والأرض والشمس والقمر وغيرها فيكون المعنى أصرفهم عن التفكر والاعتبار بما خلقت وفي معنى يتكبرون قولان

أحدهما يتكبرون عن الإيمان واتباع الرسول

والثاني يحقرون الناس ويرون لهم الفضل عليهم

قوله تعالى وإن يروا سبيل الرشد قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم سبيل الرشد بضم الراء خفيفة وقرأ حمزة والكسائي سبيل الرشد بفتح الراء والشين مثقلة

قوله تعالى ذلك بأنهم قال الزجاج فعل الله بهم ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين أي كانوا في تركهم الإيمان بها والتدبر لها بمنزلة الغافلين ويجوز أن يكون المعنى وكانوا عن جزائها غافلين

واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين

قوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده أي من بعد انطلاقه إلى الجبل للميقات من حليهم قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر من حليهم بضم الحاء وقرأ حمزة والكسائي حليهم بكسر الحاء

وقرأ يعقوب بفتحها وسكون اللام وتخفيف الياء والحلي جمع حلي مثل ثدي وثدي وهو اسم لما يتحسن به من الذهب والفضة قال الزجاج ومن كسر الحاء من حليهم أتبع الحاء كسر اللام والجسد هو الذي لا يعقل ولا يميز إنما هو بمعنى الجثة فقط قال ابن الانباري ذكر الجسد دلالة على

(٢٦١/٣)

عدم الروح منه وأن شخصه شخص مثال وصورة غير منضم إليهما روح ولا نفس فأما الخوار فهو صوت البقرة يقال خارت البقرة تخور وجأرت تجأر وقد نقل عن العرب انهم يقولون في مثل صوت الإنسان من البهائم رغا البعير وجرجر وهدر وقبقب وصهل الفرس وحمحم وشهق الحمار ونهق وشحج البغل وثغت الشاة ويعرت وثأجت النعجة وبغم الظبي ونزب وزأر الأسد ونهت ونأت ووعوع الذئب ونهم الفيل وزقح القرد وضبح الثعلب وعوى الكلب ونبح وماءت السنور وصأت الفأرة ونغق الغراب معجمة الغين وزقأ الديك وسقع وصفر النسر وهدر الحمام وهدل ونقضت الضفادع ونقت وعزفت الجن قال ابن عباس كان العجل إذا خار سجدوا وإذا سكت رفعوا رؤوسهم وفي رواية أبي صالح عنه أنه خار خورة واحدة ولم يتبعها مثلها وبهذا قال وهب ومقاتل وكان مجاهد يقول خواره حفيف الريح فيه وهذا يدل على أنه لم يكن فيه روح وقرأ أبو رزين العقيلي وابو مجلز له جوار بجيم مرفوعة

قوله تعالى ألم يروا أنه لا يكلمهم أي لا يستطيع كلامهم ولا يهديهم سبيلا أي لا يبين لهم طريقا إلى حجة اتخذوه يعني اتخذوه إلها وكانوا ظالمين قال ابن عباس مشركين

(٢٦٢/٣)

ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا وكذلك نجزي المفترين

قوله تعالى ولما سقط في أيديهم أي ندموا قال الزجاج يقال للرجل النادم على ما فعل المتحسر على ما فرط قد سقط في يده وأسقط في يده وقرأ ابن السميفع وأبو عمران الجوني سقط بفتح السين قال الزجاج والمعنى ولما سقط الندم في أيديهم يشبه ما يحصل في القلب وفي النفس بما يرى بالعين قال المفسرون هذا الندم منهم إنما كان بعد رجوع موسى

قوله تعالى لئن لم يرحمنا ربنا قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم يرحمنا ربنا ويغفر لنا بالياء والرفع وقرأ حمزة والكسائي ترحمنا وتغفر لنا بالتاء ربنا بالنصب

قوله تعالى غضبان اسفا في الاسف ثلاثة أقوال

أحدها أنه الحزين قاله ابن عباس والحسن والسدي والثاني الجزع قاله مجاهد والثالث أنه الشديد الغضب قاله ابن قتيبة والزجاج وقال أبو الدرداء الأسف منزلة وراء الغضب أشد منه

(٢٦٣/٣)

قوله تعالى قال أي لقومه بئسما خلفتموني من بعدي فتح ياء بعدي أهل الحجاز وأبو عمرو والمعنى بئس ما عملتم بعد فراقي من عبادة العجل أعجلتم أمر ربكم قال الفراء يقال عجلت الأمر والشيء سبقته ومنه هذه الآية وأعجلته استحثثته قال ابن عباس أعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له قال الحسن يعني وعد الأربعين ليلة

قوله تعالى وألقى الألواح التي فيها التوراة وفي سبب ألقائه إياها قولان

أحدهما أنه الغضب حين رآهم قد عبدوا العجل قاله ابن عباس

والثاني أنه لما رأى فضائل غير أمته من أمة محمد صلى الله عليه و سلم اشتد عليه فألقاها قاله قتادة وفيه بعد قال ابن عباس لما رمى بالألواح فتحطمت رفع منها ستة أسباع وبقي سبع

قوله تعالى وأخذ برأس أخيه في ما أخذ به من رأسه ثلاثة أقوال

أحدها لحيته وذؤابته والثاني شعر رأسه والثالث أذنه وقيل إنما فعل به ذلك لأنه توهم أنه عصى الله بمقامه بينهم وترك اللحوق به وتعريفه ما أحدثوا بعده ليرجع إليهم فيتلافاهم ويردهم إلى الحق وذلك قوله ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن

قوله تعالى ابن أم قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم قال ابن أم نصبا وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بكسر الميم وكذلك في طه قال الزجاج من فتح الميم فلكثرة استعمال هذا الاسم ومن كسر أضافه إلى نفسه بعد أن جعله اسما واحدا ومن العرب من يقول يا ابن أمي باثبات الياء قال الشاعر

(٢٦٤/٣)

يا ابن أمي ويا شقيق نفسي ... أنت خليفتي لدهر شديد ...

وقال أبو علي يحتمل أن يريد من فتح يا ابن أم أما ويحذف الألف ومن كسر ابن أمي فيحذف الياء فان

قيل لم قال يا ابن أم ولم يقل يا ابن أب فالجواب أن ابن عباس قال كان أخاه لأبيه وأمه وإنما قال له ذلك ليرفقه عليه قال أبو سليمان الدمشقي والإنسان عند ذكر الوالدة أرق منه عند ذكر الوالد وقيل كان لأمه دون أبيه حكاه الثعلبي

قوله تعالى إن القوم يعني عبدة العجل استضعفوني أي استذلوني فلا تشمت بي الأعداء قرأ عبد الله بن عباس ومالك بن دينار وابن عاصم فلا تشمت بتاء مفتوحة مع فتح الميم الاعداء بالرفع وقرأ مجاهد وأبو العالية والضحاك وأبو رجاء فلا تشمت بفتح التاء وكسر الميم الأعداء بالنصب وقرأ أبو الجوزاء وابن أبي عبلة مثل ذلك إلا أنهما رفعا الأعداء ويعني بالاعداء عبدة العجل ولا تجعلني في موجدتك وعقوبتك لي مع القوم الظالمين وهم عبدة العجل فلما تبين له عذر أخيه قال رب اغفر لي

قوله تعالى وذلة في الحياة الدنيا فيها قولان

أحدهما أنها الجزية قاله ابن عباس والثاني ما أمروا به من قتل أنفسهم قاله الزجاج فعلى الأول يكون ما أضيف إليهم من الجزية في حق أولادهم لأن

أولئك قتلوا ولم يؤدوا جزية قال عطية وهذه الآية فيما أصاب بني قريظة والنضير من القتل والجلاء لتوليهم متخذي العجل ورضاهم به

قوله تعالى وكذلك نجزي المفترين قال ابن عباس كذلك أعاقب من اتخذ إلها دوني وقال مالك بن أنس ما من مبتدع إلا وهو يجد فوق رأسه ذلة وقرأ هذه الاية وقال سفيان بن عيينة ليس في الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلة تغشاه قال وهي في كتاب الله تعالى قالوا وأين هي قال أوما سمعتم قوله إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا قالوا يا أبا محمد هذه لأصحاب العجل خاصة قال كلا أتلوا ما بعدها وكذلك نجزي المفترين فهي لكل مفتر ومبتدع إلى يوم القيامة

والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم

قوله تعالى والذين عملوا السيئات فيها قولان

أحدهما أنها الشرك والثاني الشرك وغيره من الذنوب ثم تابوا من بعدها يعني السيئات وفي قوله وآمنوا قولان

أحدهما آمنوا بالله وهو يخرج على قول من قال هي الشرك

والثاني آمنوا بأن الله تعالى يقبل التوبة إن ربك من بعدها يعني السيئات

ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون

قوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب وقرأ ابن عباس وأبو عمران

(٣/٢٦٦)

سكت بفتح السين وتشديد الكاف وبتاء بعدها الغضب بالنصب وقرأ سعيد بن جبير وابن يعمر والجحدري سكت بضم السين وتشديد الكاف مع كسرها وقرأ ابن مسعود وعكرمة وطلحة سكن بنون قال الزجاج سكت بمعنى سكن يقال سكت يسكت سكتا إذا سكن وسكت يسكت سكتا وسكوتا إذا قطع الكلام قال وقال بعضهم المعنى ولما سكت موسى عن الغضب على القلب كما قالوا أدخلت القلنسوة في رأسي والمعنى أدخلت رأسي في القلنسوة والأولى هو قول أهل العربية

قوله تعالى أخذ الألواح يعني التي كان ألقاها وفي قوله وفي نسختها قولان

أحدهما وفيما بقي منها قاله ابن عباس والثاني وفيما نسخ فيهما قاله ابن قتيبة

قوله تعالى للذين هم لربهم يرهبون فيهم قولان

أحدهما أنه عام في الذين يخافون الله وهو معنى قول ابن عباس

والثاني أنهم أمة محمد صلى الله عليه و سلم خاصة وهو معنى قول قتادة

واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي بها من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين

قوله تعالى واختار موسى قومه المعنى اختار من قومه فحذف

(٣/٢٦٧)

من تقول العرب اخترتك القوم أي اخترتك من القوم وأنشدوا ... منا الذي اختير الرجال سماحة ... وجودا إذا هب الرياح الزعازع ...

هذا قول ابن قتيبة والفراء والزجاج وفي هذا الميقات أربعة أقوال

أحدها أنه الميقات الذي وقته الله لموسى ليأخذ التوراة أمر أن يأتي معه بسبعين رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال نوف البكالي

والثاني أنه ميقات وقته الله تعالى لموسى وأمره أن يختار من قومه سبعين رجلا ليدعو ربهم فدعوا فقالوا اللهم أعطنا مالم تعط أحدا قبلنا ولا تعطيه أحدا بعدنا فكره الله ذلك وأخذتهم الرجفة رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

والثالث أنه ميقات وقته الله لموسى لأن بني إسرائيل قالوا له إن طائفة تزعم أن الله لا يكلمك فخذ معك طائفة منا ليسمعوا كلامه فيؤمنوا فتذهب التهمة فأوحى الله إليه أن اختر من خيارهم سبعين ثم ارتق

بهم على الجبل انت وهارون واستخلف يوشع بن نون ففعل ذلك قاله وهب بن منبه
والرابع أنه ميقات وقته الله لموسى ليلقاه في ناس من بني إسرائيل فيعتذر إليه من فعل عبدة العجل قاله السدي وقال ابن السائب كان موسى لا يأتي إلا بإذن منه
فأما الرجفة فهي الحركة الشديدة وفي سبب أخذها إياهم أربعة أقوال
أحدها أنه ادعاؤهم على موسى قتل هارون قاله علي بن أبي طالب

(٢٦٨/٣)

والثاني اعتداؤهم في الدعاء وقد ذكرناه في رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس
والثالث أنهم لم ينهوا عبدة العجل ولم يرضوا نقل عن ابن عباس وقال قتادة وابن جريج لم يأمروهم بالمعروف ولم ينهوهم عن المنكر ولم يزايلوهم
والرابع أنهم طلبوا استماع الكلام من الله تعالى فلما سمعوه قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة قاله السدي وابن إسحاق
قوله تعالى قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي قال السدي قام موسى يبكي ويقول رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي قال الزجاج لو شئت أمتهم قبل أن تبتليهم بما أوجب عليهم الرجفة وقيل لو شئت أهلكتهم من قبل خروجنا وإياي فكان بنو إسرائيل يعاينون ذلك ولا يتهمونني
قوله تعالى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا قال المبرد هذا استفهام استعطاف أي لا تهلكنا وقال ابن الانباري هذا استفهام على تأويل الجحد أراد لست تفعل ذلك والسفهاء هاهنا عبدة العجل وقال الفراء ظن موسى أنهم أهلكوا باتخاذ أصحابهم العجل وإنما أهلكوا بقولهم أرنا الله جهرة
قوله تعالى إن هي إلا فتنتك فيها قولان
أحدهما أنها الابتلاء رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال سعيد بن جبير وأبو العالية
والثاني العذاب رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال قتادة
قوله تعالى أنت ولينا أي ناصرنا وحافظنا

(٢٦٩/٣)

واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول

النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون

قوله تعالى واكتب لنا أي حقق لنا وأوجب في هذه الدنيا حسنة وهي الأعمال الصالحة وفي الآخرة المغفرة والجنة إنا هدنا إليك أي تبنا قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وأبو العالية وقتادة والضحاك والسدي وقال ابن قتيبة ومنه الذين هادوا كأنهم رجعوا من شيء إلى شيء وقرأ أبو وجزة السعدي إنا هدنا بكسر الهاء قال ابن الانباري المعنى لا تتغير يقال هاد يهود ويهيد

قوله تعالى قال عذابي أصيب به من أشاء وقرأ الحسن البصري والأعمش وأبو العالية من اساء بسين غير معجمة مع النصب

قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء في هذا الكلام أربعة اقوال

أحدها أن مخرجه عام ومعناه خاص وتأويله ورحمتي وسعت المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه و سلم لقوله تعالى فسأكتبها للذين يتقون قاله ابن عباس

والثاني أن هذه الرحمة على العموم في الدنيا والخصوص في الآخرة وتأويلها ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا البر والفاجر وفي الآخرة هي للمتقين خاصة قاله الحسن وقتادة فعلى هذا معنى الرحمة في الدنيا للكافر أنه يرزق ويدفع عنه كقوله في حق قارون وأحسن كما أحسن إليك

والثالث أن الرحمة التوبة فهي على العموم قاله ابن زيد

والرابع أن الرحمة تسع كل الخلق إلا أن أهل الكفر خارجون منها فلو قدر دخولهم فيها لو سعتهم قاله ابن الانباري قال الزجاج وسعت كل شيء في الدنيا فسأكتبها للذين يتقون في الآخرة قال المفسرون معنى فسأكتبها فسأوجبها وفي الذين يتقون قولان

أحدهما أنهم المتقون للشرك قاله ابن عباس والثاني للمعاصي قاله قتادة وفي قوله ويؤتون الزكاة قولان أ حدهما أنها زكاة الأموال قاله الجمهور

والثاني أن المراد بها طاعة الله ورسوله قاله ابن عباس والحسن ذهبا

إلى أنها العمل بما يزكي النفس ويطهرها وقال ابن عباس وقتادة لما نزلت ورحمتي وسعت كل شيء قال إبليس أنا من ذلك الشيء فنزعها الله من إبليس فقال فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآيتنا يؤمنون فقالت اليهود نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات ربنا فنزعها الله منهم وجعلها لهذه الأمة فقال الذين يتبعون الرسول النبي الأمي وقال نوف قال الله تعالى لموسى أجعل لكم الأرض طهورا ومسجدا وأجعل السكينة معكم في بيوتكم وأجعلكم تقرؤون التوراة عن ظهور قلوبكم يقرؤها الرجل منكم والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير فأخبر موسى قومه بذلك فقالوا لا نريد أن نصلي إلا في الكنائس والبيع ولا أن تكون السكينة إلا في التابوت ولا أن نقرأ التوراة إلا نظرا فقال الله تعالى فسأكتبها للذين يتقون إلى قوله المفلحون وفي هؤلاء المذكورين في قوله للذين يتقون ويؤتون الزكاة إلى قوله المفلحون قولان

أحدهما أنهم كل من آمن بمحمد صلى الله عليه و سلم وتبعه قاله ابن عباس

والثاني أنه محمد صلى الله عليه و سلم قاله السدي وقتادة وفي تسميته بالأمي قولان أحدهما لا يكتب والثاني لأنه من أم القرى

قوله تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم أي يجدون نعته ونبوته

قوله تعالى يأمرهم بالمعروف قال الزجاج يجوز أن يكون مستأنفا ويجوز أن يكون يجدونه مكتوبا عندهم أنه يأمرهم بالمعروف قال ابن عباس المعروف مكارم الأخلاق وصلة الارحام والمنكر عبادة الأوثان وقطع الأرحام وقال مقاتل المعروف الإيمان والمنكر الشر وقال غيره المعروف الحق لأن العقول تعرف صحته والمنكر الباطل لأن العقول تنكر صحته

(٢٧٢/٣)

وفي الطيبات أربعة أقوال

أحدها أنها الحلال والمعنى يحل لهم الحلال والثاني أنها ما كانت العرب تستطيبه والثالث أنها الشحوم المحرمة على بني إسرائيل والرابع ما كانت العرب تحرمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام

وفي الخبائث ثلاثة أقوال

أحدها أنها الحرام والمعنى ويحرم عليهم الحرام

والثاني أنها ما كانت العرب تستخبثه ولا تأكله كالحيات والحشرات

والثالث ما كانوا يستحلونه من الميتة والدم ولحم الخنزير

قوله تعالى ويضع عنهم إصرهم قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي إصرهم وقرأ ابن عامر آصارهم ممدودة الألف على الجمع وفي هذا الإصر قولان

أحدهما أنه العهد الذي أخذ الله على بني إسرائيل أن يعملوا بما في التوراة قاله ابن عباس
والثاني التشديد الذي كان عليهم من تحريم السبت وأكل الشحوم والعروق وغير ذلك من الأمور الشاقة قاله قتادة وقال مسروق لقد كان الرجل من بني إسرائيل يذنب الذنب فيصبح وقد كتب على باب بيته إن كفارته أن تنزع عينيك فينزعهما
قوله تعالى والأغلال التي كانت عليهم قال الزجاج ذكر الأغلال تمثيل ألا ترى أنك تقول جعلت هذا طوقا في عنقك وليس هناك طوق

(٢٧٣/٣)

إنما جعلت لزومه كالطوق والأغلال أنه كان عليهم أن لا يقبل منهم في القتل دية وأن لا يعملوا في السبت وأن يقرضوا ما أصاب جلودهم من البول
قوله تعالى فالذين آمنوا به يعني بمحمد صلى الله عليه و سلم وعزروه وروى أبان وعزروه بتخفيف الزاي وفي المعنى قولان
أحدهما نصروه وأعانوه قاله مقاتل
والثاني عظموه قاله ابن قتيبة والنور الذي أنزل معه القرآن سماه نورا لأن بيانه في القلوب كبيان النور في العيون وفي قوله معه قولان
أحدهما أنها بمعنى عليه
والثاني بمعنى أنزل في زمانه قال قتادة أما نصره فقد سبقتم إليه ولكن خيركم من آمن به واتبع النور الذي أنزل معه
قوله تعالى الذي يؤمن بالله وكلماته في الكلمات قولان
أحدهما أنها القرآن قاله ابن عباس وقال قتادة كلماته آياته
والثاني أنها عيسى بن مريم قاله مجاهد والسدي
ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون
قوله تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق فيه قولان
أحدهما يدعون إلى الحق والثاني يعملون به
قوله تعالى وبه يعدلون قال الزجاج وبالحق يحكمون وفي المشار إليهم بهذا ثلاثة أقوال
أحدها أنهم قوم وراء الصين لم تبلغهم دعوة الإسلام قاله ابن عباس والسدي والثاني أنهم من آمن بالنبي صلى الله عليه و سلم مثل ابن سلام وأصحابه قاله

(٢٧٤/٣)

ابن السائب والثالث أنهم الذين تمسكوا بالحق في زمن أنبيائهم ذكره الماوردي
وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولو ا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيآتكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون
قوله تعالى وقطعناهم يعني قوم موسى يقول فرقناهم اثنتي عشرة أسباطا يعني أولاد يعقوب وكانوا اثنى عشر ولدا فولد كل واحد منهم سبطا قال الفراء وإنما قال اثنتي عشرة والسبط ذكر لأن بعده أمما فذهب بالتأنيث إلى الأمم ولو كان اثني عشر لتذكير السبط كان جائزا وقال الزجاج المعنى وقطعناهم اثنتي عشرة فرقة أسباطا نعت فرقة كأنه يقول جعلناهم أسباطا وفرقناهم أسباطا فيكون أسباطا بدلا من اثنتي عشرة وأمما من نعت أسباط والأسباط في ولد إسحاق بمنزلة القبائل ليفصل بين ولد إسماعيل وبين ولد إسحاق وقال أبو عبيدة الأسباط قبائل بني إسرائيل واحدهم سبط ويقال من أي سبط أنت أي من أي قبيلة وجنس
قوله تعالى فانبجست منه قال ابن قتيبة انفجرت يقال تبجس الماء كما يقال تفجر والقصة مذكورة في سورة البقرة

(٢٧٥/٣)

قوله تعالى نغفر لكم خطاياكم قرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي نغفر لكم خطيئاتكم بالتاء مهموزة على الجمع وقرأ أبو عمرو نغفر لكم خطاياكم مثل قضاياكم ولا تاء فيها وقرأ نافع تغفر بالتاء مضمومة خطيئاتكم بالهمز وضم التاء على الجمع وافقه ابن عامر في تغفر بالتاء المضمومة لكنه قرأ خطيئتكم على التوحيد
وسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون
قوله تعالى واسألهم يعني أسباط اليهود وهذا سؤال تقرير وتوبيخ يقررهم على قديم كفرهم ومخالفة أسلافهم الأنبياء ويخبرهم بما لا يعلم إلا بوحي وفي القرية خمسة اقوال
أحدها أنها أيلة رواه مرة عن ابن مسعود وأبو صالح عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وقتادة والسدي

والثاني أنها مدين رواه عكرمة عن ابن عباس
والثالث أنها ساحل مدين روي عن قتادة
والرابع أنها طبرية قاله الزهري
والخامس أنها قرية يقال لها مقنا بين مدين وعينونا قاله ابن زيد ومعنى حاضرة البحر مجاورة البحر وبقربه وعلى شاطئه إذ يعدون قال الزجاج أي يظلمون يقال عدا فلان يعدو عدوانا وعداء وعدوا وعدوا إذا ظلم وموضع إذ نصب والمعنى سلهم عن وقت عدوهم في السبت إذ تأتيهم حيتانهم في موضع نصب أيضا ب يعدون والمعنى سلهم إذ عدوا

(٢٧٦/٣)

في وقت الإتيان شرعا أي ظاهرة كذلك نبلوهم أي مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم بفسقهم ويحتمل على بعد أن يكون المعنى ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك أي لا تأتيهم شرعا ويكون نبلوهم مستأنفا وقرأ الحسن والأعمش وأبان والمفضل عن عاصم يسبتون بضم الياء
وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون
قوله تعالى وإذ قالت أمة منهم قال المفسرون افترق أهل القرية ثلاث فرق فرقة صادت وأكلت وفرقة نهت وزجرت وفرقة أمسكت عن الصيد وقالت للفرقة الناهية لم تعظون قوما الله مهلكهم لاموهم على موعظة قوم يعلمون أنهم غير مقلعين فقالت الفرقة الناهية معذرة إلى ربكم قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي معذرة رفعا أي موعظتنا إياهم معذرة والمعنى أن الأمر بالمعروف واجب علينا فعلينا موعظة هؤلاء عذرا إلى الله وقرأ حفص عن عاصم معذرة نصبا وذلك على معنى نعتذر معذرة ولعلهم يتقون أي وجائز أن ينتفعوا بالموعظة فيتركوا المعصية
فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم
قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به يعني تركوا ما وعظوا به أنجينا

(٢٧٧/٣)

الذين ينهون عن السوء وهم الناهون عن المنكر والذين ظلموا هم المعتدون في السبت
قوله تعالى بعذاب بئيس قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بئيس على وزن فعيل فالهمزة بين الباء والياء وقرأ نافع بيس بكسر الباء من غير همز وقرأ ابن عامر كذلك إلا أنه همز وروى خارجة عن نافع بيس بفتح الباء من غير همز على وزن فعل وروى أبو بكر عن عاصم بيأس على وزن فيعل وقرأ ابن عباس وأبو رزين وأيوب بيآس على وزن فيعال وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي ومعاذ القارئ بئس بفتح الباء وكسر الهمزة من غير ياء على وزن نعس وقرأ الضحاك وعكرمة بيس بتشديد الياء مثل قيم وقرأ أبو العالية وأبو مجلز بئس بفتح الباء والسين وبهمزة مكسورة من غير ياء ولا ألف على وزن فعل وقرأ أبو المتوكل وأبو رجاء بائس بألف ومدة بعد الباء وبهمزة مكسورة بوزن فاعل قال أبو عبيدة البئيس الشديد وأنشد ... حنقا علي وما ترى ... لي فيهم أثرا بئيسا ...
وقال الزجاج يقال بئس يبأس بأسا والعاتي الشديد الدخول في الفساد المتمرد الذي لا يقبل موعظة
وقال ابن جرير فلما عتوا أي تمردوا فيما نهوا عنه وقد ذكرنا في سورة البقرة قصة مسخهم وكان الحسن البصري يقول والله ما لحوم هذه الحيتان بأعظم عند الله من دماء قوم مسلمين
قوله تعالى وإذ تأذن ربك فيه أربعة أقوال

أحدها أعلم قاله الحسن وابن قتيبة وقال هو من آذنتك بالأمر
وقال ابن الانباري تأذن بمعنى آذن كما يقال تعلم أن فلانا قائم أي اعلم وقال أبو سليمان الدمشقي أي أعلم أنبياء بني إسرائيل والثاني حتم قاله عطاء والثالث وعد قاله قطرب والرابع تألى قاله الزجاج
قوله تعالى ليبعثن عليهم أي على اليهود وقال مجاهد على اليهود والنصارى بمعاصيهم من يسومهم أي يوليهم سوء العذاب وفي المبعوث عليهم قولان أحدهما أنه محمد صلى الله عليه و سلم وأمته قاله ابن عباس والثاني العرب كانو يجبونهم الخراج قاله سعيد بن جبير قال ولم يجب الخراج نبي قط إلا موسى جباه ثلاث عشرة سنة ثم أمسك إلى النبي صلى الله عليه و سلم وقال السدي بعث الله عليهم العرب يأخذون منهم الجزية ويقتلونهم وفي سوء العذاب أربعة أقوال
أحدها أخذ الجزية رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس والثاني المسكنة والجزية رواه العوفي عن ابن عباس والثالث الخراج رواه الضحاك عن ابن عباس وبه قال سعيد بن جبير والرابع أنه القتال حتى يسلموا أو يعطوا الجزية
وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيآت لعلهم يرجعون

قوله تعالى وقطعناهم في الأرض أمما قال أبو عبيدة فرقناهم فرقا قال ابن عباس هم اليهود ليس من بلد إلا وفيه منهم طائفة وقال مقاتل هم بنو إسرائيل وقيل معناه شتات أمرهم وافتراق كلمتهم منهم الصالحون وهم المؤمنون بعيسى ومحمد عليهما السلام ومنهم دون ذلك وهم الكفار وقال ابن جرير إنما كانوا على هذه الصفة قبل أن يبعث عيسى وقبل ارتدادهم

(٢٧٩/٣)

قوله تعالى وبلوناهم أي اختبرناهم بالحسنات وهي الخير والخصب والعافية والسيئات وهي الجدب والشر والشدائد فالحسنات والسيئات تحث على الطاعة أما النعم فطلب الازدياد منها وخوف زوالها والنقم فلكشفها والسلامة منها لعلهم يرجعون أي لكي يتوبوا

فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون

قوله تعالى فخلف من بعدهم أي من بعد الذين وصفناهم خلف وقرأ الجوني والجحدري خلف بفتح اللام قال أبو عبيدة الخلف والخلف واحد وقوم يجعلون المحرك اللام للصالح والمسكن لغير الصالح وقال ابن قتيبة الخلف الرديء من الناس ومن الكلام يقال هذا خلف من القول وقال ابن الانباري أكثر ما تستعمل العرب الخلف باسكان اللام في الرديء المذموم وتفتح اللام في الفاضل الممدوح وقد يوقع الخلف على الممدوح والخلف على المذموم غير أن المختار ما ذكرناه وفي المراد بهذا الخلف ثلاثة أقوال

أحدها أنهم اليهود قاله ابن عباس وابن زيد والثاني النصارى والثالث أن الخلف من أمة محمد صلى الله عليه و سلم والقولان عن مجاهد

فان قيل الخلف واحد فكيف قال يأخذون وكذلك قال في مريم أضاعوا فقد ذكر ابن الانباري عنه جوابين

(٢٨٠/٣)

أحدهما أن الخلف جمع خالف كما أن الركب جمع راكب والشرب جمع شارب

والثاني أن الخلف مصدر يكون للاثنين والجميع والمذكر والمؤنث

قوله تعالى ورثوا الكتاب أي انتقل إليهم انتقال الميراث من سلف إلى خلف فيخرج في الكتاب ثلاثة

أقوال

أحدها أنه التوراة والثاني الإنجيل والثالث القرآن

قوله تعالى يأخذون عرض هذا الأدنى أي هذه الدنيا وهو ما يعرض لهم منها وقيل سماه عرضا لقلة بقائه

قال ابن عباس يأخذون ما أحبوا من حلال أو حرام وقيل هو الرشوة في الحكم وفي وصفه بالأدنى قولان

أحدهما أنه من الدنو والثاني أنه من الدناءة

قوله تعالى سيغفر لنا فيه قولان

أحدهما أن المعنى إنا لا نؤاخذ تمنيا على الله الباطل

والثاني أنه ذنب يغفره الله لنا تأميلا لرحمة الله تعالى

وفي قوله وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه قولان

أحدهما أن المعنى لا يشبعهم شيء فهم يأخذون لغير حاجة قاله الحسن

والثاني أنهم أهل إصرار على الذنوب قاله مجاهد

قوله تعالى ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق قال ابن عباس وكد الله عليهم في التوراة أن لا يقولوا على الله إلا الحق فقالوا الباطل وهو ما أوجبوا على الله من مغفرة ذنوبهم التي لا يتوبون منها وليس في التوراة ميعاد المغفرة مع الإصرار

قوله تعالى ودرسوا ما فيه معطوف على ورثوا ومعنى درسوا ما فيه قرؤوه فكأنه قال خالفوا على علم

والدار الآخرة أي ما فيها من الثواب خير للذين يتقون أفلا يعقلون أن الباقي خير من الفاني قرأ ابن عامر ونافع وحفص عن عاصم بالتاء والباقون بالياء

والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين

قوله تعالى والذين يمسكون بالكتاب قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم يمسكون مشددة وقرؤوا ولا تمسكوا بعصم الكوافر مخففة وقرأهما أبو عمرو بالتشديد وروى أبو بكر عن عاصم أنه خففهما ويقال مسكت بالشيء وتمسكت به واستمسكت به وامتسكت به وهذه الآية نزلت في مؤمني اهل الكتاب الذين حفظوا حدوده ولم يحرفوه منهم عبد الله بن سلام واصحابه قال ابن الانباري وخبر الذين إنا وما بعده وله ضمير مقدر بعد المصلحين تأويله والذين يمسكون بالكتاب أنا لا نضيع أجر المصلحين منهم ولهذه العلة وعدهم حفظ الأجر بشرط إذ كان منهم من لم يصلح قال وقال بعض النحويين المصلحون يرجعون على الذين وتلخيص المعنى عنده والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا

الصلاة إنا لا نضيع أجرهم فأظهرت كنايتهم بالمصلحين كما يقال علي لقيت الكسائي وأبو سعيد رويت عن الخدري يراد لقيته ورويت عنه قال الشاعر

(٢٨٢/٣)

فيارب ليلى أنت في كل موطن ... وأنت الذي في رحمة الله أطمع ...
أراد في رحمته فأظهر ضمير الهاء
وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون
قوله تعالى وإذ نتقنا الجبل فوقهم أي واذكر لهم إذ نتقنا الجبل أي رفعناه قال مجاهد أخرج الجبل من الأرض ورفع فوقهم كالظلة فقيل لهم لتؤمنن أو ليقعن عليكم وقال قتادة نزلوا في أصل الجبل فرفع فوقهم فقال لتأخذن أمري أو لأرمينكم به
قوله تعالى وظنوا أنه واقع بهم فيه قولان
أحدهما أنه الظن المعروف والثاني أنه بمعنى اليقين وباقي الآية مفسر في سورة البقرة
وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين
قوله وإذ أخذ ربك من بني آدم روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان ونعمان قريب من عرفة ذكره ابن قتيبة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا وقال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا

(٢٨٣/٣)

عن هذا غافلين ومعنى الآية وإذا أخذ ربكم من ظهور بني آدم فقوله من ظهورهم بدل من بني آدم وقيل إنما قال من ظهورهم ولم يقل من ظهر آدم لأنه أخرج بعضهم من ظهور بعض فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لأنه قد علم أنهم بنوه وقد أخرجوا من ظهره وقوله تعالى ذرياتهم قرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي ذريتهم على التوحيد وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر ذرياتهم على الجمع قال أبو علي الذرية تكون جمعا وتكون واحدا
وفي قوله وأشهدهم على أنفسهم ثلاثة أقوال
أحدها أشهدهم على أنفسهم باقرارهم قاله مقاتل
والثاني دلهم بخلقه على توحيده قاله الزجاج

والثالث أنه أشهد بعضهم على بعض باقرارهم بذلك قاله ابن جرير
قوله تعالى ألست بربكم والمعنى وقال لهم ألست بربكم وهذا سؤال تقرير قالوا بلى شهدنا أنك ربنا قال السدي قوله شهدنا خبر

(٢٨٤/٣)

من الله تعالى عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم ويحسن الوقف على قوله بلى لأن كلام الذرية قد انقطع وزعم الكلبي ان الذرية لما قالت بلى قال الله للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا وروى أبو العالية عن أبي بن كعب قال جمعهم جميعا فجعلهم أزواجا ثم صورهم ثم استنطقهم ثم قال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أنك آلهنا قال فاني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين لم نعلم بهذا وقال السدي أجابته طائفة طائعين وطائفة كارهين تقية
قوله تعالى ان يقولوا قرأ أبو عمرو أن يقولوا أو يقولوا بالياء فيهما وقرأ الباقون بالتاء فيهما قال أبو علي حجة أبي عمرو قوله وإذ أخذ ربك وقوله قالوا بلى وحجة من قرأ بالتاء أنه قد جرى في الكلام خطاب ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ومعنى قوله يقولوا لئلا يقولوا مثله أن تميد بكم وفي قوله إنا كنا قولان أحدهما أنه إشارة إلى الميثاق والإقرار
والثاني أنه إشارة إلى معرفة أنه الخالق قال المفسرون وهذه الآية تذكير من الله تعالى بما أخذ على جميع المكلفين من الميثاق واحتجاج عليهم لئلا يقول الكفار إنا كنا على هذا الميثاق غافلين لم نذكره ونسيانهم لا يسقط الاحتجاج بعد أن أخبر الله تعالى بذلك على لسان النبي صلى الله عليه و سلم الصادق وإذا ثبت هذا بقول الصادق قام في النفوس مقام الذكر فالاحتجاج به قائم
أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون

(٢٨٥/٣)

قوله تعالى أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاتبعنا منهاجهم على جهل منا بآلهيتك افتهلكنا بما فعل المبطلون في دعواهم أن معك إلها فقطع الله احتجاجهم بمثل هذا إذ أذكرهم أخذ الميثاق على كل واحد منهم وجماعة أهل العلم على ما شرحنا من أنه استنطق الذر وركب فيهم عقولا وأفهاما عرفوا بها ما عرض عليهم وقد ذكر بعضهم أن معنى أخذ الذرية إخراجهم إلى الدنيا بعد كونهم نطفا ومعنى إشهادهم على أنفسهم اضطرارهم إلى العلم بأنه خالقهم بما أظهر لهم من

الآيات والبراهين ولما عرفوا ذلك ودعاهم كل ما يرون ويشاهدون إلى التصديق كانوا بمنزلة الشاهدين والمشهدين على أنفسهم بصحته كما قال شاهدين على أنفسهم بالكفر يريدهم بمنزلة الشاهدين وإن لم يقولوا نحن كفرة كما يقول الرجل قد شهدت جوارحي بصدقك أي قد عرفته ومن هذا الباب قوله شهد الله أي بين وأعلم وقد حكى نحو هذا القول ابن الانباري والأول أصح لموافقة الآثار

وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون

قوله تعالى وكذلك نفصل الآيات أي كما بينا في أخذ الميثاق الآيات ليتدبرها العباد فيعملوا بموجبها ولعلهم يرجعون أي ولكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر إلى التوحيد

واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين

قوله تعالى واتل عليهم قال الزجاج هذا نسق على ما قبله والمعنى

(٢٨٦/٣)

أتل عليهم إذ أخذ ربك واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا وفيه ستة أقوال

أحدها أنه رجل من بني إسرائيل يقال له بلعم بن أبر قاله ابن مسعود وقال ابن عباس بلعم بن باعوراء وروي عنه أنه بلعام بن باعور وبه قال مجاهد وعكرمة والسدي وروى العوفي عن ابن عباس أن بلعما من أهل اليمن وروى عنه ابن أبي طلحة أنه من مدينة الجبارين

والثاني أنه أمية بن أبي الصلت قاله عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وأبو روق وزيد بن أسلم وكان أمية قد قرأ الكتب وعلم أن الله مرسل رسولا ورجا أن يكون هو فلما بعث النبي صلى الله عليه و سلم حسده وكفر

والثالث أنه أبو عامر الراهب روى الشعبي عن ابن عباس قال الأنصار تقول هو الراهب الذي بني له مسجد الشقاق وروي عن ابن المسيب نحوه

والرابع أنه رجل كان في بني اسرائيل أعطي ثلاث دعوات يستجاب له فيهن وكانت له امرأة له منها ولد وكانت سمجة دميمة فقالت ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل فدعا الله لها فلما علمت أنه ليس في بني إسرائيل مثلها رغبت عن زوجها وأرادت غيره فلما رغبت عنه دعا الله أن يجعلها كلبة نباحة فذهبت منه فيها دعوتان فجاء بنوها وقالوا ليس بنا على هذا صبر أمنا كلبة نباحة يعيرنا الناس بها فادع الله أن يردها إلى الحال التي كانت عليها أولا فدعا الله فعادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات الثلاث رواه عكرمة عن ابن عباس والذي روي لنا في هذا الحديث وكانت سمجة بكسر الميم وقد روى سيبويه عن العرب أنهم يقولون رجل سمج بتسكين الميم ولم يقولوا سمج بكسرها

والخامس أنه المنافق قاله الحسن

والسادس أنه كل من انسلخ من الحق بعد أن أعطيه من اليهود والنصارى والحنفاء قاله عكرمة وفي الآيات خمسة أقوال

أحدها أنه اسم الله الأعظم رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال ابن جبير

والثاني أنها كتاب من كتب الله عز و جل روى عكرمة عن ابن عباس قال هو بلعام أوتي كتابا فانسلخ منه

والثالث أنه أوتي النبوة فرشاه قومه على أن يسكت ففعل وتركهم على ما هم عليه قاله مجاهد وفيه بعد لأن الله تعالى لا يصطفي لرسالته إلا معصوما عن مثل هذه الحال

والرابع أنها حجج التوحيد وفهم أدلته

والخامس أنها العلم بكتب الله عز و جل والمشهور في التفسير أنه بلعام وكان من أمره على ما ذكره المفسرون أن موسى عليه السلام غزا البلد الذي هو فيه وكانوا كفارا وكان هو مجاب الدعوة فقال ملكهم ادع على موسى فقال إنه من أهل ديني ولا ينبغي لي أن أدعو عليه فأمر الملك أن تنحت خشبة لصلبه فلما رأى ذلك خرج على أتان له ليدعو على موسى فلما عاين عسكرهم وقفت الأتان فضربها فقالت لم تضربني وهذه نار تتوقد قد منعتني أن أمشي فارجع فرجع إلى الملك فأخبره فقال إما أن تدعو عليهم وإما أن أصلبك فدعا على موسى باسم الله الأعظم أن لا يدخل المدينة فاستجاب الله له فوقع موسى وقومه في التيه بدعائه فقال موسى يا رب بأي ذنب وقعنا في التيه فقال بدعاء بلعم فقال يا رب فكما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه فدعا الله أن ينزع منه الاسم الأعظم فنزع منه وقيل إن بلعام أمر قومه أن

يزينوا النساء ويرسلوهن في العسكر ليفشوا الزنا فيهم فينصروا عليهم وقيل إن موسى قتله بعد ذلك وروى السدي عن أشياخه أن بلعم أتى إلى قومه متبرعا فقال لا ترهبوا بني إسرائيل فانكم إذا خرجتم لقتالهم دعوت عليهم فهلكوا فكان فيما شاء عندهم من الدنيا وذلك بعد مضي الأربعين سنة التي تاهوا فيها وكان نبيهم يوشع لا موسى

قوله تعالى فانسلخ منها أي خرج من العلم بها

قوله تعالى فأتبعه الشيطان قال ابن قتيبة أدركه يقال اتبعت القوم إذا لحقتهم وتبعتهم سرت في أثرهم وقرأ طلحة بن مصرف فاتبعه بالتشديد وقال اليزيدي أتبعه واتبعه لغتان وكأن اتبعه خفيفة بمعنى قفاه

واتبعه مشددة حذا حذوه ولا يجوز أن تقول أتبعناك وأنت تريد اتبعناك لأن معناها اقتدينا بك وقال الزجاج يقال تبع الرجل الشيء واتبعه بمعنى واحد قال الله تعالى فمن تبع هداي وقال فاتبعهم فرعون قوله تعالى فكان من الغاوين فيه قولان

أحدهما من الضالين قاله مقاتل والثاني من الهالكين الفاسدين قاله الزجاج

ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون

قوله تعالى ولو شئنا لرفعناه بها في هاء الكناية في رفعناه قولان

(٢٨٩/٣)

أحدهما أنها تعود إلى الإنسان المذكور وهو قول الجمهور فيكون المعنى ولو شئنا لرفعنا منزلة هذا الإنسان بما علمناه

والثاني أنها تعود إلى الكفر بالآيات فيكون المعنى لو شئنا لرفعنا عنه الكفر بآياتنا وهذا المعنى مروي عن مجاهد وقال الزجاج لو شئنا لحلنا بينه وبين المعصية

قوله تعالى ولكنه أخلد إلى الأرض أي ركن إلى الدنيا وسكن قال الزجاج يقال أخلد وخلد والأول أكثر في اللغة والأرض هاهنا عبارة عن الدنيا لأن الدنيا هي الأرض بما عليها وفي معنى الكلام قولان

أحدهما أنه ركن إلى أهل الدنيا ويقال إنه أرضى امرأته بذلك لأنها حملته عليه وقيل أرضي بني عمه وقومه

والثاني أنه ركن إلى شهوات الدنيا وقد بين ذلك بقوله واتبع هواه والمعنى أنه انقاد لما دعاه إليه الهوى قال ابن زيد كان هواه مع قومه وهذه الآية من أشد الآيات على أهل العلم إذ مالوا عن العلم إلى الهوى

قوله تعالى فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث معناه أن هذا الكافر إن زجرته لم ينزجر وإن تركته لم يهتد فالحالتان عنده سواء كحالتي الكلب فانه إن طرد وحمل عليه بالطرد كان لاهثا وإن ترك وربض كان أيضا لاهثا والتشبيه بالكلب اللاهث خاصة فالمعنى فمثله كمثل الكلب لاهثا وإنما شبهه بالكلب اللاهث لأنه أخس الأمثال على أخس الحالات وأبشعها وقال ابن قتيبة كل لاهث إنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب فانه يلهث في حال راحته وحال كلاله فضربه الله مثلا لمن كذب بآياته فقال إن

(٢٩٠/٣)

وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال كالكلب إن طردته وزجرته فسعى لهث أو تركته على حاله رابضا لهث قال المفسرون زجر في منامه عن الدعاء على بني اسرائيل فلم ينزجر وخاطبته أتانه فلم ينته فضرب له هذا المثل ولسائر الكفار فذلك قوله ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا لأن الكافر إن وعظته فهو ضال وإن تركته فهو ضال وهو مع إرسال الرسل إليه كمن لم يأته رسول ولا بينة

قولا تعالى فاقصص القصص قال عطاء قصص الذين كفروا وكذبوا أنبياءهم

ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون

قوله تعالى ساء مثلا يقال ساء الشيء يسوء إذا قبح والمعنى ساء مثلا مثل القوم فحذف المضاف فنصب مثلا على التمييز

قوله تعالى وأنفسهم كانوا يظلمون أي يضرون بالمعصية

ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون

قوله تعالى ولقد ذرأنا أي خلقنا قال ابن قتيبة ومنه ذرية الرجل إنما هي الخلق منه ولكن همزها يتركه أكثر العرب

(٢٩١/٣)

قوله تعالى لجهنم هذه اللام يسميها بعض أهل المعاني لام العاقبة كقوله ليكون لهم عدوا وحزنا ومثله قول الشاعر ... أموالنا لذوي الميراث نجمعها ... ودورنا لخراب الدهر نبنيها ...

ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز يعزيه بموت ابنه فقال ... تعز أمير المؤمنين فإنه ... لما قد ترى يغذى الصغير ويولد ...

وقد أخبر الله عز و جل في هذه الآية بنفاذ علمه فيهم أنهم يصيرون إليها بسبب كفرهم

قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها لما أعرض القوم عن الحق والتفكر فيه كانوا بمنزلة من لم يفقه ولم يبصر ولم يسمع وقال محمد بن القاسم النحوي أراد بهذا كله أمر الآخرة فانهم يعقلون أمر الدنيا

قوله تعالى أولئك كالأنعام شبههم بالأنعام لأنها تسمع وتبصر ولا تعتبر ثم قال بل هم أضل لأن الأنعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء يعلم أكثرهم أنه معاند فيقدم على النار أولئك هم الغافلون عن أمر الآخرة

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون

قوله تعالى ولله الأسماء الحسنى سبب نزولها أن رجلا دعا الله في صلاته ودعا الرحمن فقال أبو جهل

أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا يدعو اثنين فأنزل الله هذه الآية قاله مقاتل فأما الحسنى فهي تأنيث الأحسن ومعنى الآية أن أسماء الله حسنى وليس المراد أن فيها ما ليس

(٢٩٢/٣)

بحسن وذكر الماوردي أن المراد بذلك ما مالت إليه النفوس من ذكره بالعفو والرحمة دون السخط والنقمة وقوله فادعوه بها أي نادوه بها كقولك يا الله يا رحمن

قوله تعالى وذروا الذين يلحدون في أسمائه قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر يلحدون بضم الياء وكذلك في النحل والسجدة وقرأ حمزة يلحدون بفتح الحاء والياء فيهن ووافقه الكسائي وخلف في النحل قال الاخفش ألحد ولحد لغتان فمن قرأ بهما أراد الأخذ باللغتين فكأن الإلحاد العدول عن الاستقامة وقال ابن قتيبة يجورون عن الحق ويعدلون فيقولون اللات والعزى ومناة وأشباه ذلك ومنه لحد القبر لأنه في جانب قال الزجاج ولا ينبغي لأحد أن يدعوه بما لم يسم به نفسه فيقول يا جواد ولا يقول يا سخي ويقول يا قوي ولا يقول يا جلد ويقول يا رحيم ولا يقول يا رفيق لأنه لم يصف نفسه بذلك قال أبو سليمان الخطابي ودليل هذه الآية أن الغلط في أسمائه والزيغ عنها إلحاد ومما يسمع على ألسنة العامة قولهم يا سبحان يا برهان وهذا مهجور مستهجن لا قدوة فيه وربما قال بعضهم يا رب طه ويس وقد أنكر ابن عباس على رجل قال يا رب القرآن وروي عن ابن عباس أن إلحادهم في أسمائه أنهم سموا بها أوثانهم وزادوا فيها ونقصوا منها فاشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان

فصل

والجمهور على أن هذه الآية محكمة لأنها خارجة مخرج التهديد كقوله ذرني

(٢٩٣/٣)

ومن خلقت وحيدا وقد ذهب بعضهم إلى أنها منسوخة بآية القتال لأن قوله وذروا الذين يلحدون في أسمائه يقتضي الإعراض عن الكفار وهذا قول ابن زيد

وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون

قوله تعالى وممن خلقنا أمة يهدون بالحق أي يعملون به وبه يعدلون أي وبالعمل به يعدلون وفيمن أريد بهذه الآية أربعة أقوال

أحدها أنهم المهاجرون والأنصار والتابعون باحسان من هذه الأمة قاله ابن عباس وكان ابن جريج يقول

ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه و سلم قال هذه أمتي بالحق يأخذون ويعطون ويقضون وقال قتادة بلغنا أن النبي صلى الله عليه و سلم كان إذا تلا هذه الآية قال هذه لكم وقد أعطي القوم مثلها ثم يقرأ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون

والثاني أنهم من جميع الخلق قاله ابن السائب

والثالث أنهم الأنبياء والرابع أنهم العلماء ذكر القولين الماوردي

والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي متين

قوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا قال أبو صالح عن ابن عباس هم أهل مكة وقال مقاتل نزلت في المستهزئين من قريش

قوله تعالى سنستدرجهم قال الخليل بن أحمد سنطوي أعمارهم في اغترار

(٢٩٤/٣)

منهم وقال أبو عبيدة الاستدراج أن يتدرج إلى الشيء في خفية قليلا قليلا ولا يهجم عليه وأصله من الدرجة وذلك أن الراقي والنازل يرقى وينزل مرقاة مرقاة ومنه درج الكتاب إذا طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم إذا ماتوا بعضهم في أثر بعض وقال اليزيدي الاستدراج أن يأتيه من حيث لا يعلم وقال ابن قتيبة هو ان يذيقهم من بأسه قليلا قليلا من حيث لا يعلمون ولا يباغتهم به ولا يجاهرهم وقال الأزهري سنأخذهم قليلا قليلا من حيث لا يحتسبون وذلك أن الله تعالى يفتح عليهم من النعم ما يغتبطهم به ويركنون إليه ثم يأخذهم على غرتهم أغفل ما يكونون قال الضحاك كلما جددوا لنا معصية جددنا لهم نعمة

وفي قوله من حيث لا يعلمون قولان

أحدهما من حيث لا يعلمون بالاستدراج والثاني بالهلكة

قوله تعالى وأملي لهم الإملاء الإمهال والتأخير

قوله تعالى إن كيدي متين قال ابن عباس إن مكري شديد وقال ابن فارس الكيد المكر فكل شيء عالجته فأنت تكيده قال المفسرون مكر الله وكيده مجازاة أهل المكر والكيد على نحو ما بينا في سورة البقرة وآل عمران من ذكر الاستهزاء والخداع والمكر

أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون

(٢٩٥/٣)

قوله تعالى أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه و سلم علا على الصفا ليلة ودعا قريشا فخذا فخذا يا بني فلان يا بني فلان يا بني فلان فحذرهم بأس الله وعقابه فقال قائلهم إن صاحبكم هذا لمجنون بات يصوت حتى الصباح فنزلت هذه الآية قاله الحسن وقتادة ومعنى الآية أولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة أي جنون فحثهم على التفكر في أمره ليعلموا أنه بريء من الجنون إن هو أي ما هو إلا نذير أي مخوف مبين يبين طريق الهدى ثم حثهم على النظر المؤدي إلى العلم فقال أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ليستدلوا على أن لها صانعا مدبرا وقد سبق بيان الملكوت في سورة الأنعام

قوله تعالى وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم قرأ ابن مسعود وأبي والجحدري آجالهم ومعنى الآية أولم ينظروا في الملكوت وفيما خلق الله من الأشياء كلها وفي أن عسى أن تكون آجالهم قد قربت فيهلكوا على الكفر ويصيروا إلى النار فبأي حديث بعده يؤمنون يعني القرآن وما فيه من البيان ثم ذكر سبب إعراضهم عن الإيمان فقال من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ونذرهم بالنون والرفع وقرأ أبو عمرو بالياء والرفع وقرأ حمزة والكسائي ويذرهم بالياء مع الجزم خفيفة فمن قرأ بالرفع استأنف ومن جزم ويذرهم عطف على موضع الفاء قال سيبويه وموضعها جزم فالمعنى من يضلل الله يذره وقد سبق في سورة البقرة معنى الطغيان والعمه

(٢٩٦/٣)

يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسئلونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون

قوله تعالى يسألونك عن الساعة في سبب نزولها قولان

أحدهما أن قوما من اليهود قالوا يا محمد أخبرنا متى الساعة فنزلت هذه الآية قاله ابن عباس

والثاني أن قريشا قالت يا محمد بيننا وبينك قرابة فبين لنا متى الساعة فنزلت هذه الآية قاله قتادة وقال عروة الذي سأله عن الساعة عتبة بن ربيعة والمراد بالساعة هاهنا التي يموت فيها الخلق

قوله تعالى أيان مرساها قال أبو عبيدة اى متى مرساها أي منتهاها ومرسا السفينة حيث تنتهي وقال ابن قتيبة أيان بمعنى متى ومتى بمعنى أي حين ونرى أن أصلها أي أوان فحذفت الهمزة والواو وجعل الحرفان واحدا ومعنى الآية متى ثبوتها يقال رسا في الأرض أي ثبت ومنه قيل للجبال رواسي قال الزجاج ومعنى الكلام متى وقوعها

قوله تعالى قل إنما علمها عند ربي أي قد استأثر بعلمها لا يجليها أي لا يظهرها في وقتها إلا هو
قوله تعالى ثقلت في السموات والأرض فيه أربعة أقوال

(٢٩٧/٣)

أحدها ثقل وقوعها على أهل السموات والأرض قاله ابن عباس ووجهه أن الكل يخافونها محسنهم ومسيئهم
والثاني عظم شأنها في السموات والأرض قاله عكرمة ومجاهد وابن جريج
والثالث خفي أمرها فلم يعلم متى كونها قاله السدي
والرابع أن في بمعنى على فالمعنى ثقلت على السموات والأرض قاله قتادة
قوله تعالى لا تأتيكم إلا بغتة أي فجأة
قوله تعالى كأنك حفي عنها فيه أربعة أقوال
أحدها أنه من المقدم والمؤخر فتقديره يسألونك عنها كأنك حفي أي بر بهم كقولهم إنه كان بي حفيا قال العوفي عن ابن عباس وأسباط عن السدي كأنك صديق لهم
والثاني كأنك حفي بسؤالهم مجيب لهم قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس كأنك يعجبك سؤالهم وقال خصيف عن مجاهد كأنك تحب أن يسألوك عنها وقال الزجاج كأنك فرح بسؤالهم
والثالث كأنك عالم بها قاله الضحاك عن ابن عباس وهو قول ابن زيد والفراء

(٢٩٨/٣)

والرابع كأنك استحفيت السؤال عنها حتى علمتها قاله ابن ابي نجيح عن مجاهد وقال عكرمة كأنك سؤول عنها وقال ابن قتيبة كأنك معني بطلب علمها وقال ابن الانباري فيه تقديم وتأخير تقديره يسألونك عنها كأنك حفي بها والحفي في كلام العرب المعني
قوله تعالى قل إنما علمها عند الله أي لا يعلمها إلا هو ولكن أكثر الناس لا يعلمون قال مقاتل في آخرين المراد بالناس هاهنا أهل مكة وفي قوله لا يعلمون قولان أحدهما لا يعلمون أنها كائنة قاله مقاتل والثاني لا يعلمون أن هذا مما استأثر الله بعلمه قاله أبو سليمان الدمشقي
قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون
قوله تعالى قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا سبب نزولها أن أهل مكة قالوا يا محمد ألا يخبرك ربك

بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فتشتري فتربح وبالأرض التي تريد أن تجدب فترتحل عنها إلى ما قد أخصب فنزلت هذه الآية روي عن ابن عباس وفي المراد بالنفع والضر قولان

أحدهما أنه عام في جميع ما ينفع ويضر قاله الجمهور

والثاني أن النفع الهدى والضر الضلالة قاله ابن جريج

قوله تعالى إلا ما شاء الله أي إلا ما أراد أن أملكه بتمليكه إياي ومن هو على هذه الصفة فكيف يعلم علم الساعة

قوله تعالى ولو كنت أعلم الغيب فيه أربعة أقوال

(٣/٢٩٩)

أحدها لو كنت أعلم بجدب الأرض وقحط المطر قبل كون ذلك لهيأت لسنة الجدب ما يكفيها قاله أبو صالح عن ابن عباس

والثاني لو كنت أعلم ما أربح فيه إذا اشتريته لاستكثرت من الخير قاله الضحاك عن ابن عباس

والثالث لو كنت أعلم متى أموت لاستكثرت من العمل الصالح قاله مجاهد

والرابع لو كنت أعلم ما أسأل عنه من الغيب لأجبت عنه وما مسني السوء أي لم يلحقني تكذيب قاله الزجاج فأما الغيب فهو كل ما غاب عنك ويخرج في المراد بالخير هاهنا ثلاثة أقوال

أحدها أنه العمل الصالح والثاني المال والثالث الرزق

قوله تعالى وما مسني السوء فيه أربعة اقوال

أحدها أنه الفقر قاله ابن عباس والثاني أنه كل ما يسوء قاله ابن زيد والثالث الجنون قاله الحسن والرابع التكذيب قاله الزجاج فعلى قول الحسن يكون هذا الكلام مبتدأ والمعنى وما بي من جنون إنما أنا نذير وعلى باقي الأقوال يكون متعلقا بما قبله

هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون

قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة يعني بالنفس آدم

(٣/٣٠٠)

وبزوجها حواء ومعنى ليسكن إليها ليأنس بها ويأوي إليها فلما تغشاها أي جامعها قال الزجاج وهذا أحسن كناية عن الجماع والحمل بفتح الحاء ما كان في بطن أو أخرجته شجرة والحمل بكسر الحاء ما يحمل والمراد بالحمل الخفيف الماء

قوله تعالى فمرت به أي استمرت به قعدت وقامت ولم يثقلها وقرأ سعد بن أبي وقاص وابن مسعود وابن عباس والضحاك فاستمرت به وقرأ أبي بن كعب والجوني استمارت به بزيادة ألف وقرأ عبد الله ابن عمرو والجحدري فمارت به بألف وتشديد الراء وقرأ أبو العالية وايوب ويحيى بن يعمر فمرت به خفيفة الراء أي شكت وتمارت أحملت أم لا فلما أثقلت أي صار حملها ثقيلا وقال الأخفش صارت ذا ثقل يقال أثمرنا أي صرنا ذوي ثمر

قوله تعالى دعوا الله ربهما يعني آدم وحواء لئن آتيتنا صالحا وفي المراد بالصالح قولان

أحدهما أنه الإنسان المشابه لهما وخافا أن يكون بهيمة هذا قول الأكثرين

والثاني أنه الغلام قاله الحسن وقتادة

شرح السبب في دعائهما

ذكر أهل التفسير أن إبليس جاء حواء فقال ما يدريك ما في بطنك لعله كلب أو خنزير أو حمار وما يدريك من أين يخرج ايشق بطنك أم يخرج من فيك أو من منخريك فأحزنها ذلك فدعوا الله حينئذ فجاء إبليس

(٣٠١/٣)

فقال كيف تجدينك قالت ما أستطيع القيام إذا قعدت قال أفرأيت إن دعوت الله فجعله إنسانا مثلك ومثل آدم أتسمينه باسمي قالت نعم فلما ودلته سويا جاءها إبليس فقال لم لا تسمينه بي كما وعدتني فقالت وما اسمك قال الحارث وكان اسم إبليس في الملائكة الحارث فسمته عبد الحارث وقيل عبد شمس برضى آدم فذلك قوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم شركاء بضم الشين والمد جمع شريك وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم شركا مكسورة الشين على المصدر لا على الجمع قال أبو علي من قرأ شركا حذف المضاف كأنه أراد جعلا له ذا شرك وذوي شريك فيكون المعنى جعلا لغيره شركا لأنه إذا كان التقدير جعلا له ذوي شرك فالمعنى جعلا لغيره شركا وهذه القراءة في المعنى كقراءة من قرأ شركاء وقال غيره معنى شركاء شريكا فأوقع الجمع موقع الواحد كقوله الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم والمراد بالشريك إبليس لأنهما أطاعاه في الاسم فكان الشرك في الطاعة لا في العبادة ولم

(٣٠٢/٣)

يقصدا أن الحارث ربهما لكن قصدا أنه سبب نجاة ولدهما وقد يطلق العبد على من ليس بمملوك قال الشاعر ... وإني لعبد الضيف ما دام ثاويا ... وما في إلا تلك من شيمة العبد ...

وقال مجاهد كان لا يعيش لآدم ولد فقال الشيطان إذا ولد لكما ولد فسمياه عبد الحارث فأطاعاه في الاسم فذلك قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما هذا قول الجمهور وفيه قول ثان رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما أشرك آدم إن أول الآية لشكر وآخرها مثل ضربه الله لمن يعبده في قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما وروى قتادة عن الحسن قال هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادا فهودوهم ونصروهم وروي عن الحسن وقتادة قالا الضمير في قوله جعلا له شركاء عائد إلى النفس وزوجه من ولد آدم لا إلى آدم وحواء وقيل الضمير راجع إلى الولد الصالح وهو السليم الخلق فالمعنى جعل له ذلك الولد شركاء وإنما قيل جعلا لأن حواء كانت تلد في كل

(٣٠٣/٣)

بطن ذكرا وأنثى قال ابن الانباري الذين جعلوا له شركاء اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار الذين هم أولاد آدم وحواء فتأويل الآية فلما آتاهما صالحا جعل أولادهما له شركاء فحذف الأولاد وأقامهما مقامهم كما قال واسأل القرية وذهب السدي إلى أن قوله فتعالى الله عما يشركون في مشركي العرب خاصة وأنها مفصولة عن قصة آدم وحواء

أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون

قوله تعالى أيشركون مالا يخلق شيئا قال ابن زيد هذه لآدم وحواء حيث سميا ولدهما عبد شمس والشمس لا تخلق شيئا وقال غيره هذا راجع إلى الكفار حيث أشركوا بالله الاصنام وهي لا تخلق شيئا وقوله وهم يخلقون أي وهي مخلوقة قال ابن الانباري وإنما قال ما ثم قال وهم يخلقون لأن ما تقع على الواحد والاثنين والجميع وإنما قال وهم وهو يعني الأصنام لأن عابديها أدعوا أنها تعقل وتميز فأجريت مجرى الناس فهو كقوله رأيتهم لي ساجدين وقوله يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وقوله وكل في فلك يسبحون قال الشاعر ... تمززتها والديك يدعو صباحه ... إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا ...

وأنشد ثعلب لعبدة بن الطبيب ... إذ أشرف الديك يدعو بعض أسرته ... لدى الصباح وهم قوم معازيل

(٣٠٤/٣)

لما جعله يدعو جعل الديكة قوما وجعلهم معازيل وهم الذين لا سلاح معهم وجعلهم أسرة وأسرة الرجل رهطه وقومه

ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون

قوله تعالى ولا يستطيعون لهم نصرا يقول إن الاصنام لا تستطيع نصر من عبدها ولا تمنع من نفسها

وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعونكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون

قوله تعالى وإن تدعوهم فيه قولان

أحدهما أنها ترجع إلى الأصنام فالمعنى وإن دعوتم أيها المشركون أصنامكم إلى سبيل رشاد لا يتبعوكم لأنهم لا يعقلون

والثاني أنها ترجع إلى الكفار فالمعنى وإن تدع يا محمد هؤلاء المشركين إلى الهدى لا يتبعوكم فدعاؤكم إياهم وصمتكم عنهم سواء لأنهم لا ينقادون إلى الحق وقرأ نافع لا يتبعوكم بسكون التاء

إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين

(٣٠٥/٣)

قوله تعالى إن الذين تدعون من دون الله يعني الأصنام عباد أمثالكم في أنهم مسخرون مذللون لأمر الله وإنما قال عباد وقال فادعوهم وإن كانت الأصنام جمادا لما بينا عند قوله وهم يخلقون

قوله تعالى فليستجيبوا لكم أي فليجيبوكم إن كنتم صادقين أن لكن عندهم نفعا وثوابا ألهم أرجل يمشون بها في المصالح أم لهم أيد يبطشون بها في دفع ما يؤذي وقرأ أبو جعفر يبطشون بضم الطاء هاهنا وفي القصص والدخان أم لهم أعين يبصرون بها المنافع من المضار أم لهم آذان يسمعون بها تضرعكم ودعاءكم وفي هذا تنبيه على تفضيل العابدين على المعبودين وتوبيخ لهم حيث عبدوا من هم أفضل منه قل ادعوا شركاءكم قال الحسن كانوا يخوفونه بآلهتهم فقال الله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدوني أنتم وهم فلا تنظرون أي لا تؤخروا ذلك وكان ابن كثير وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي يقرؤون ثم كيدون بغير ياء في الوصل والوقف وقرأ أبو عمرو ونافع في رواية ابن حماد بالياء في الوصل وروى ورش وقالون والمسيبي بغير ياء في الوصل ولا وقف فأما تنظرون فأثبت فيها الياء يعقوب في الوصل والوقف إن وليي الله أي ناصري الذي نزل الكتاب وهو القرآن أي كما أيدني بانزال الكتاب ينصرني

والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون

قوله تعالى والذين تدعون من دونه يعني الأصنام لا يستطيعون نصركم أي لا يقدرون على منعكم ممن أرادكم بسوء ولا يمنعون أنفسهم من سوء أريد بهم

(٣٠٦/٣)

وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون

قوله تعالى وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا في المراد بهؤلاء قولان

أحدهما أنهم الأصنام ثم في قوله وتراهم ينظرون إليك قولان أحدهما يواجهونك تقول العرب داري تنظر إلى دارك وهم لا يبصرون لأنه ليس فيهم أرواح والثاني وتراهم كأنهم ينظرون إليك لأن لهم أعينا مصنوعة فأسقط كاف التشبيه كقوله وترى الناس سكارى أي كأنهم سكارى وهم لا يبصرون في الحقيقة وإنما أخبر عنهم بالهاء والميم لأنهم على هيئة بني آدم

والقول الثاني أنهم المشركون فالمعنى وتراهم ينظرون إليك بأعينهم ولا يبصرون بقلوبهم

خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين

قوله تعالى خذ العفو العفو الميسور وقد سبق شرحه في سورة البقرة وفي الذي أمر بأخذ العفو منه ثلاثة اقوال

أحدها أخلاق الناس قاله ابن الزبير والحسن ومجاهد فيكون

(٣٠٧/٣)

المعنى إقبل الميسور من أخلاق الناس ولا تستقص عليهم فتظهر منهم البغضاء

والثاني أنه المال وفيه قولان أحدهما أن المراد بعفو المال الزكاة قاله مجاهد في رواية الضحاك والثاني أنها صدقة كانت تؤخذ قبل فرض الزكاة ثم نسخت بالزكاة روي عن ابن عباس

والثالث أن المراد به مساهلة المشركين والعفو عنهم ثم نسخ بآية السيف قاله ابن زيد

قوله تعالى وامر بالعرف أي بالمعروف

وفي قوله وأعرض عن الجاهلين قولان

أحدهما أنهم المشركون أمر بالإعراض عنهم ثم نسخ ذلك بآية السيف

والثاني أنه عام فيمن جهل أمر بصيانة النفس عن مقابلتهم على سفههم وإن وجب عليه الإنكار عليهم وهذه الآية عند الأكثرين كلها محكمة وعند بعضهم أن وسطها محكم وطرفيها منسوخان على ما بينا

وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون

(٣٠٨/٣)

قوله تعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ قال ابن زيد لما نزلت خذ العفو قال النبي صلى الله عليه و سلم يا رب كيف بالغضب فنزلت هذه الآية فأما قوله وإما فقد سبق بيانه في سورة البقرة في قوله فأما يأتينكم مني هدي وقال أبو عبيدة ومجاز الكلام وإما تستخفنك منه خفة وغضب وعجلة وقال السدي النزغ الوسوسة وحديث النفس قال الزجاج النزغ أدنى حركة تكون تقول قد نزغته إذا حركته وقد سبق معنى الاستعاذة

قوله تعالى إذا مسهم طيف قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي طيف بغير ألف وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة طائف بألف ممدودا مهموزا وقرأ ابن عباس وابن جبير والجحدري والضحاك طيف بتشديد الياء من غير ألف وهل الطائف والطيف بمعنى واحد أم يختلفان فيه قولان

أحدهما أنهما بمعنى واحد وهما ما كان كالخيال والشيء يلم بك حكي عن الفراء وقال الأخفش الطيف أكثر في كلام العرب من الطائف قال الشاعر ... الا بالقوم لطيف الخيال ... أرق من نازح ذي دلال ...

والثاني أن الطائف ما يطوف حول الشيء والطيف اللمة والوسوسة

(٣٠٩/٣)

والخطرة حكي عن أبي عمرو وروي عن ابن عباس أنه قال الطائف اللمة من الشيطان والطيف الغضب وقال ابن الانباري الطائف الفاعل من الطيف والطيف عند أهل اللغة اللمم من الشيطان وزعم مجاهد أنه الغضب

قوله تعالى تذكروا فيه ثلاثة أقوال

أحدها تذكروا الله إذا هموا بالمعاصي فتركوها قاله مجاهد

والثاني تفكروا فيما أوضح الله لهم من الحجة قاله الزجاج

والثالث تذكروا غضب الله والمعنى إذا جرأهم الشيطان على مالا يحل تذكروا غضب الله فأمسكوا فاذا هم مبصرون لمواضع الخطأ بالتفكر

وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون

قوله تعالى وإخوانهم في هذه الهاء والميم قولان
أحدهما أنها عائدة على المشركين فتكون هذه الآية مقدمة على التي قبلها والتقدير وأعرض عن الجاهلين وإخوان الجاهلين وهم الشياطين يمدونهم في الغي قرأ نافع يمدونهم بضم الياء وكسر الميم والباقون بفتح الياء وضم الميم قال أبو علي عامة ما جاء في التنزيل فيما يحمد ويستحب أمددت على أفعلت كقوله أتمدونن بمال أنما نمدهم به من مال وأمددناهم بفاكهة وما كان على خلافه يجيء على مددت كقوله ويمدهم في طغيانهم فهذا يدل على أن الوجه فتح الياء إلا أن وجه قراءة نافع بمنزلة فبشرهم بعذاب أليم قال المفسرون يمدونهم في الغي أي يزينونه لهم

(٣١٠/٣)

ويريدون منهم لزومه فيكون معنى الكلام أن الذين اتقوا إذا جرهم الشيطان إلى خطيئة تابوا منها وإخوان الجاهلين وهم الشياطين يمدونهم في الغي هذا قول الأكثرين من العلماء وقال بعضهم الهاء والميم ترجع إلى الشياطين وقد جرى ذكرهم لقوله من الشيطان فالمعنى وإخوان الشياطين يمدونهم
والثاني أن الهاء والميم ترجع إلى المتقين فالمعنى وإخوان المتقين من المشركين وقيل من الشياطين يمدونهم في الغي أي يريدون من المسلمين أن يدخلوا معهم في الكفر ذكر هذا القول جماعة منهم ابن الانباري فان قيل كيف قال وإخوانهم وليسوا على دينهم فالجواب أنا إن قلنا إنهم المشركون فجائز أن يكونوا إخوانهم في النسب أو في كونهم من بني آدم أو لكونهم يظهرون النصح كالإخوان وإن قلنا إنهم الشياطين فجائز أن يكونوا لكونهم مصاحبين لهم والقول الأول أصح
قوله تعالى ثم لا يقصرون وقرأ الزهري وابن أبي عبلة لا يقصرون بالتشديد قال الزجاج يقال أقصر يقصر وقصر يقصر قال ابن عباس لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين تقصر عنهم فعلى هذا يكون قوله يقصرون من فعل الفريقين وهذا على القول المشهور ويخرج على القول الثاني أن يكون هذا وصفا للاخوان فقط
وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون
قوله تعالى وإذا لم تأتهم بآية يعني به المشركين وفي معنى الكلام قولان
أحدهما إذا لم تأتهم بآية سألوها تعنتا قاله ابن السائب

(٣١١/٣)

والثاني إذا لم تأتهم بآية لإبطاء الوحي قاله مقاتل

وفي قوله لولا اجتبيتها قولان

أحدهما هلا افتعلتها من تلقاء نفسك قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد والفراء والزجاج وابن قتيبة في آخرين وحكي عن الفراء أنه قال العرب تقول اجتبيت الكلام واختلقته وارتجلته إذا افتعلته من قبل نفسك

والثاني هلا طلبتها لنا قبل مسألتك ذكره الماوردي والأول أصح

قوله تعالى قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي أي ليس الأمر لي

قوله تعالى هذا بصائر من ربكم يعني القرآن قال أبو عبيدة البصائر بمعنى الحجج والبرهان والبيان واحدتها بصيرة وقال الزجاج معنى البصائر ظهور الشيء وبيانه

وأذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون

قوله تعالى وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له اختلفوا في نزولها على خمسة أقوال

أحدها أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قرأ في الصلاة المكتوبة فقرأ أصحابه وراءه رافعين أصواتهم فنزلت هذه الآية قاله ابن عباس

والثاني أن المشركين كانوا يأتون رسول الله إذا صلى فيقول بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه فنزلت هذه الآية قاله سعيد بن المسيب

والثالث أن فتى من الأنصار كان كلما قرأ النبي صلى الله عليه و سلم شيئا قرأ هو فنزلت هذه الآية قاله الزهري

والرابع أنهم كانوا يتكلمون في صلاتهم أول ما فرضت فيجيء الرجل فيقول لصاحبه كم صليتم فيقول كذا وكذا فنزلت هذه الآية قاله قتادة

والخامس أنها نزلت تأمر بالإنصات للامام في الخطبة يوم الجمعة روي عن عائشة وسعيد بن جبير وعطاء ومجاهد وعمرو بن دينار في آخرين

واذكر ربك في نفسك تضرعا وخفية ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين

قوله تعالى واذكر ربك في نفسك في هذا الذكر أربعة اقوال

أحدها أنه القراءة في الصلاة قاله ابن عباس فعلى هذا أمر أن يقرأ في نفسه في صلاة الإسرار

والثاني أنه القراءة خلف الإمام سرا في نفسه قاله قتادة

والثالث أنه ذكر الله باللسان

والرابع أنه ذكر الله باستدامة الفكر لا يغفل عن الله تعالى ذكر القولين الماوردي وفي المخاطب بهذا الذكر قولان

أحدهما أنه المستمع للقرآن إما في الصلاة وإما من الخطيب قاله ابن زيد

والثاني أنه خطاب النبي صلى الله عليه و سلم ومعناه عام في جميع المكلفين

(٣١٣/٣)

قوله تعالى تضرعا وخيفة التضرع الخشوع في تواضع والخيفة الحذر من عقابه

قوله تعالى ودون الجهر من القول الجهر الإعلان بالشيء ورجل جهير الصوت إذا كان صوته عاليا وفي هذا نص على أنه الذكر باللسان ويحتمل وجهين

أحدهما قراءة القرآن والثاني الدعاء وكلاهما مندوب إلى إخفائه إلا أن صلاة الجهر قد بين أدبها في قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها فأما الغدو فهو جمع غدوة والآصال جمع أصل والأصل جمع أصيل فالآصال جمع الجمع والآصال العشيات وقال أبو عبيدة هي ما بين العصر إلى المغرب وأنشد

... لعمري لأنت البيت أكرم أهله ... وأقعد في أفيائه بالأصائل ...

وروي عن ابن عباس أنه قال يعني بالغدو صلاة الفجر والآصال صلاة العصر

إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون

قوله تعالى إن الذين عند ربك يعني الملائكة لا يستكبرون أي لا يتكبرون ويتعظمون عن عبادته وفي هذه العبادة قولان

(٣١٤/٣)

أحدهما الطاعة والثاني الصلاة والخضوع فيها

وفي قوله ويسبحونه قولان

أحدهما ينزهونه عن السوء والثاني يقولون سبحان الله

قوله تعالى وله يسجدون أي يصلون وقيل سبب نزول هذه الآية أن كفار مكة قالوا أنسجد لما تأمرنا فنزلت هذه الآية تخبر أن الملائكة وهم أكبر شأنا منكم لا يتكبرون عن عبادة الله وقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار

(٣١٥/٣)

بسم الله الرحمن الرحيم سورة الأنفال

وهي مدنية باجماعهم وحكى الماوردي عن ابن عباس أن فيها سبع آيات مكيات أولها وإذ يمكر بك الذين كفروا

يسئلونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين

قوله تعالى يسألونك عن الأنفال في سبب نزولها ثلاثة أقوال

أحدها أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال يوم بدر من قتل قتيلا فله كذا وكذا ومن اسر أسيرا فله كذا وكذا فأما المشيخة فثبتوا تحت الرايات وأما الشبان فسارعوا إلى القتل والغنائم فقال المشيخة للشبان أشركونا معكم فانا كنا لكم ردءا فأبوا فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فنزلت سورة الأنفال رواه عكرمة عن ابن عباس

(٣١٦/٣)

والثاني أن سعد بن أبي وقاص أصاب سيفا يوم بدر فقال يا رسول الله هبه لي فنزلت هذه الآية رواه مصعب بن سعد عن أبيه وفي رواية أخرى عن سعد قال قتلت سعد بن العاص وأخذت سيفه فأتيت به رسول الله فقال اذهب فاطرحه في القبض فرجعت وبي مالا يعلمه إلا الله فما جاوزت إلا قريبا حتى نزلت سورة الأنفال فقال اذهب فخذ سيفك

وقال السدي اختصم سعد وناس آخرون في ذلك السيف فسألوا النبي صلى الله عليه و سلم فأخذه النبي صلى الله عليه و سلم منهم فنزلت هذه الآية

والثالث أن الأنفال كانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه و سلم ليس لأحد منها شيء فسالوه أن يعطيهم منها شيئا فنزلت هذه الآية رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس وفي المراد بالأنفال ستة أقوال

(٣١٧/٣)

أحدها أنها الغنائم رواه عكرمة عن ابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد وعطاء وعكرمة والضحاك وأبو عبيدة والزجاج وابن قتيبة في آخرين وواحد الانفال نفل قال لبيد ... إن تقوى ربنا خير نفل ... وباذن

الله ريثي وعجل ...
والثاني أنها ما نفله رسول الله صلى الله عليه و سلم القاتل من سلب قتيله
والثالث أنها ما شذ من المشركين إلى المسلمين من عبد أو دابة بغير قتال قاله عطاء وهذا والذي قبله مرويان عن ابن عباس ايضا
والرابع أنه الخمس الذي أخذه رسول الله صلى الله عليه و سلم من الغنائم قاله مجاهد
والخامس أنه أنفال السرايا قاله علي بن صالح بن حي وحكي عن الحسن قال هي السرايا التي تتقدم أمام الجيوش
والسادس أنها زيادات يؤثر بها الإمام بعض الجيش لما يراه من المصلحة ذكره الماوردي وفي عن قولان أحدهما أنها زائدة والمعنى يسألونك الأنفال وكذلك قرأ سعد بن أبي وقاص وابن مسعود وأبي بن كعب وابو العالية يسألونك الأنفال بحذف عن
والثاني أنها أصل والمعنى يسألونك عن الأنفال لمن هي أو عن حكم الأنفال وقد ذكرنا في سبب نزولها ما يتعلق بالقولين وذكر أنهم إنما سألوا عن حكمها لأنها كانت حراما على الأمم قبلهم

(٣١٨/٣)

فصل
واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية فقال بعضهم إنها ناسخة من وجه منسوخة من وجه وذلك أن الغنائم كانت حراما في شرائع الأنبياء المتقدمين فنسخ الله ذلك بهذه الآية وجعل الأمر في الغنائم إلى ما يراه الرسول صلى الله عليه و سلم ثم نسخ ذلك بقوله واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وقال آخرون المراد بالأنفال شيئان
أحدهما ما يجعله الرسول صلى الله عليه و سلم لطائفة من شجعان العسكر ومتقدميه يستخرج به نصحهم ويحرضهم على القتال
والثاني ما يفضل من الغنائم بعد قسمتها كما روي عن ابن عمر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه و سلم في سرية فغنمنا إبلا فأصاب كل واحد منا اثنا عشر بعيرا ونفلنا بعيرا بعيرا فعلى هذا هي محكمة لأن هذا الحكم باق إلى وقتنا هذا
فصل
ويجوز النفل قبل إحراز الغنيمة وهو أن يقول الإمام من أصاب شيئا فهو له وبه قال الجمهور فأما بعد إحرازها ففيه عن أحمد روايتان وهل يستحق القاتل سلب المقتول إذا لم يشرطه له الإمام فيه قولان

أحدهما يستحقه وبه قال الأوزاعي والليث والشافعي
والثاني لا يستحقه ويكون غنيمة للجيش وبه قال أبو حنيفة ومالك وعن أحمد روايتان كالقولين

(٣/٣١٩)

قوله تعالى قل الأنفال لله والرسول يحكمان فيها ما أرادا فاتقوا الله بترك مخالفته وأصلحوا ذات بينكم
قال الزجاج معنى ذات بينكم حقيقة وصلكم والبين الوصل كقوله لقد تقطع بينكم
ثم في المراد بالكلام قولان أحدهما أن يرد القوي على الضعيف قاله عطاء والثاني ترك المنازعة تسليما لله ورسوله
قوله تعالى وأطيعوا الله ورسوله أي اقبلوا ما أمرتم به في الغنائم وغيرها
إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون
قوله تعالى إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله قال الزجاج إذا ذكرت عظمته وقدرته وما خوف به من عصاه فزعت قلوبهم قال الشاعر ... لعمرك ما أدري وإني لأوجل ... على أينا تعدو المنية أول ...
يقال وجل يوجل وياجل ويجل وييجل هذه أربع لغات حكاها سيبويه وأجودها يوجل وقال السدي هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله فينزع عنها
قوله تعالى وإذا تليت عليهم آياته أي آيات القرآن
وفي قوله زادتهم إيمانا ثلاثة أقوال
أحدها تصديقا قاله ابن عباس والمعنى أنهم كلما جاءهم شيء عن الله آمنوا به فيزدادوا إيمانا بزيادة الآيات
والثاني يقينا قاله الضحاك

(٣/٣٢٠)

والثالث خشية الله قاله الربيع بن أنس وقد ذكرنا معنى التوكل في آل عمران
الذين يقيمون الصلواة ومما رزقناهم ينفقون
قوله تعالى الذين يقيمون الصلاة قال ابن عباس يعني الصلوات الخمس ومما رزقناهم ينفقون يعني الزكاة
أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم
قوله تعالى أولئك هم المؤمنون حقا قال الزجاج حقا منصوب بمعنى دلت عليه الجملة والجملة أولئك هم المؤمنون فالمعنى أحق ذلك حقا وقال مقاتل المعنى أولئك هم المؤمنون لا شك في إيمانهم كشك

المنافقين

قوله تعالى لهم درجات عند ربهم قال عطاء درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم والرزق الكريم ما أعد لهم فيها

كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون

قوله تعالى كما أخرجك ربك في متعلق هذه الكاف خمسة أقوال

أحدها أنها متعلقة بالأنفال ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال أحدها أن تأويله امض لأمر الله في الغنائم وإن كرهوا كما مضيت في خروجك من بيتك وهم كارهون قاله الفراء والثاني أن الانفال لله والرسول صلى الله عليه و سلم بالحق الواجب كما

أخرجك ربك بالحق وإن كرهوا ذلك قاله الزجاج والثالث أن المعنى يسألوك عن الأنفال مجادلة كما جادلوك في خروجك حكاه جماعة من المفسرين

والثاني أنها متعلقة بقوله فاتقوا الله وأصلحوا والمعنى إن التقوى والاصلاح خير لكم كما كان إخراج الله نبيه محمدا خير لكم وإن كرهه بعضكم هذا قول عكرمة

والثالث أنها متعلقة بقوله يجادلونك فالمعنى مجادلتهم إياك في الغنائم كاخراج الله إياك إلى بدر وهم كارهون قاله الكسائي

والرابع أنها متعلقة بقوله أولئك هم المؤمنون والمعنى وهم المؤمنون حقا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ذكره بعض ناقلي التفسير

والخامس أن كما في موضع قسم معناها والذي أخرجك من بيتك قاله أبو عبيدة واحتج بأن ما في موضع الذي ومنه قوله وما خلق الذكر والأنثى قال ابن الانباري وفي هذا القول بعد لأن الكاف ليست من حروف الاقسام وفي هذا الخروج قولان

أحدهما أنه خروجه إلى بدر وكره ذلك طائفة من أصحابه لأنهم علموا أنهم لا يظفرون بالغنيمة إلا بالقتال

والثاني أنه خروجه من مكة إلى المدينة للهجرة

وفي معنى قوله بالحق قولان أحدهما أنك خرجت ومعك الحق

والثاني أنك خرجت بالحق الذي وجب عليك

وفي قوله وإن فريقا من المؤمنين لكارهون قولان
أحدهما كارهون خروجك

(٣٢٢/٣)

والثاني كارهون صرف الغنيمة عنهم وهذه كراهة الطبع لمشقة السفر والقتال وليست كراهة لأمر الله تعالى
قوله تعالى يجادلونك في الحق يعني في القتال يوم بدر لأنهم خرجوا بغير عدة فقالوا هلا أخبرتنا بالقتال لنأخذ العدة فجادلوه طلبا للرخصة في ترك القتال وفي قوله بعد ما تبين ثلاثة أقوال
أحدها تبين لهم فرضه والثاني تبين لهم صوابه والثالث تبين لهم أنك لا تفعل إلا ما أمرت به وفي المجادلين قولان
أحدهما أنهم طائفة من المسلمين قاله ابن عباس والجمهور
والثاني أنهم المشركون قاله ابن زيد فعلى هذا يكون جدالهم في الحق الذي هو التوحيد لا في القتال فعلى الأول يكون معنى قوله كأنما يساقون إلى الموت أي في لقاء العدو وهم ينظرون لأن أشد حال من يساق إلى الموت أن يكون ناظرا إليه وعالما به وعلى قول ابن زيد كأنما يساقون إلى الموت حين يدعون إلى الإسلام لكراهتهم إياه
وإذا يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون
قوله تعالى وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين قال أهل التفسير أقبل أبو سفيان من الشام في عير لقريش حتى إذا دنا من بدر نزل جبريل فأخبر النبي صلى الله عليه و سلم بذلك فخرج في جماعة من اصحابه يريدهم فبلغهم ذلك فبعثوا عمرو ابن ضمضم الغفاري إلى مكة مستغيثا فخرجت قريش للمنع عنها ولحق أبو سفيان

(٣٢٣/٣)

بساحل البحر ففات رسول الله ونزل جبريل بهذه الآية وإذ يعدكم الله والمعنى اذكروا إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين والطائفتان أبو سفيان وما معه من المال وأبو جهل ومن معه من قريش فلما سبق أبو سفيان بما معه كتب إلى قريش إن كنتم خرجتم لتحرزوا ركائبكم فقد أحرزتها لكم فقال أبو جهل والله لا نرجع وسار رسول الله صلى الله عليه و سلم يريد القوم فكره أصحابه ذلك وودوا أن لو نالوا الطائفة

التي فيها الغنيمة دون القتال فذلك قوله وتودون أن غير ذات الشوكة أي ذات السلاح يقال فلان شاكي السلاح بالتخفيف وشاك في السلاح بالتشديد وشائك قال أبو عبيدة ومجاز الشوكة الحد يقال ما أشد شوكة بني فلان أي حدهم وقال الأخفش إنما لبثت ذات الشوكة لأنه يعني الطائفة

قوله تعالى ويريد الله أن يحق الحق في المراد بالحق قولان

أحدهما أنه الإسلام قاله ابن عباس في آخرين

والثاني أنه القرآن والمعنى يحق ما أنزل إليك من القرآن

قوله تعالى بكلماته أي بعداته التي سبقت من إعزاز الدين كقوله ليظهره على الدين كله

قوله تعالى ويقطع دابر الكافرين أي يجتث أصلهم وقد بينا ذلك في الأنعام

قوله تعالى ليحق الحق المعنى ويريد أن يقطع دابر الكافرين كيما يحق الحق وفي هذا الحق القولان المتقدمان فأما الباطل فهو الشرك والمجرمون هاهنا المشركون

(٣/٣٢٤)

إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إني ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم – قوله تعالى إذ تستغيثون ربكم سبب نزولها ما روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما كان يوم بدر نظر النبي صلى الله عليه و سلم إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ونظر إلى المشركين وهم ألف وزيادة فاستقبل القبلة ثم مد يديه وعليه رداؤه وإزاره ثم قال اللهم أنجز ما وعدتني اللهم أنجز ما وعدتني اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض أبدا فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه فأتاه أبو بكر الصديق فأخذ رداءه فرداه به ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كذاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك وأنزل الله تعالى هذه الآية

قوله تعالى إذ قال ابن جرير هي من صلة يبطل وفي قوله تستغيثون قولان

أحدهما تستنصرون والثاني تستجيرون والفرق بينهما أن المستنصر يطلب الظفر والمستجير يطلب الخلاص وفي المستغيثين قولان

أحدهما أنه رسول الله صلى الله عليه و سلم والمسلمون قاله الزهري

والثاني أنه رسول الله صلى الله عليه و سلم قاله السدي فأما الإمداد فقد سبق في

(٣/٣٢٥)

آل عمران وقوله بألف قرأ الضحاك وابو رجاء بآلاف بهمزة ممدودة وبألف على الجمع وقرأ أبوالعالية وأبو المتوكل بألوف برفع الهمزة واللام وبواو بعدها على الجمع وقرأ ابن حذلم والجحدري بألف بضم الألف واللام من غير واو ولا ألف وقرأ أبو الجوزاء وأبو عمران بيلف بياء مفتوحة وسكون اللام من غير واو ولا ألف فأما قوله مردفين فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي مردفين بكسر الدال قال ابن عباس وقتادة والضحاك وابن زيد والفراء هم المتتابعون وقال أبو علي يحتمل وجهين

أحدهما أن يكونوا مردفين مثلهم تقول أردفت زيدا دابتي فيكون المفعول الثاني محذوفا في الآية والثاني أن يكونوا جاؤوا بعدهم تقول العرب بنو فلان مردوفونا أي هم يجيؤون بعدنا قال أبو عبيدة مردفين جاؤوا بعد وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم مردفين بفتح الدال قال الفراء أراد فعل ذلك بهم أي إن الله أردف المسلمين بهم وقرأ معاذ القارئ وأبو المتوكل الناجي وأبو مجلز مردفين بفتح الراء والدال مع التشديد وقرأ أبو الجوزاء وأبو عمران مردفين برفع الراء وكسر الدال وقال الزجاج يقال ردفت الرجل إذا ركبت خلفه وأردفته إذا أركبته خلفي ويقال هذه دابة لا ترادف ولا يقال لا تردف ويقال أردفت الرجل إذا جئت بعده فمعنى مردفين يأتون فرقة بعد فرقة ويجوز في اللغة مردفين ومردفين ومردفين فالدال مكسورة مشددة على كل حال والراء يجوز فيها الفتح والضم والكسر قال

(٣/٣٢٦)

سيبويه الأصل مرتدفين فأدغمت التاء في الدال فصارت مردفين لأنك طرحت حركة التاء على الراء وإن شئت لم تطرح حركة التاء وكسرت الراء لالتقاء الساكنين والذين ضموا الراء جعلوها تابعة لضمة الميم وقد سبق في آل عمران تفسير قوله وما جعله الله إلا بشرى وكان مجاهد يقول ما أمد الله النبي صلى الله عليه و سلم بأكثر من هذه الألف التي ذكرت في الأنفال وما ذكر الثلاثة والخمسة إلا بشرى ولم يمدوا بها والجمهور على خلافه وقد ذكرنا اختلافهم في عدد الملائكة في آل عمران

إذ يغشيكم النعاس أمنة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام

قوله تعالى إذ يغشاكم النعاس أمنة منه قال الزجاج إذ موضعها نصب على معنى وما جعله الله إلا بشرى في ذلك الوقت ويجوز أن يكون المعنى اذكروا إذ يغشاكم النعاس قرأ ابن كثير وأبو عمرو إذ يغشاكم بفتح الياء وجزم الغين وفتح الشين وألف النعاس بالرفع وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي يغشيكم بضم الياء وفتح الغين مشددة الشين مكسورة النعاس بالنصب وقرأ نافع يغشيكم بضم الياء وجزم الغين وكسر الشين النعاس بالنصب وقال أبو سليمان الدمشقي الكلام راجع على قوله ولتطمئن به

قلوبكم إذ يغشاكم النعاس قال الزجاج وأمنة منصوب مفعول له كقولك فعلت ذلك حذر الشر يقال أمنت آمن أمنا وأمانا وأمنة وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وأبو المتوكل وأبو العالية وابن يعمر وابن محيصن أمنة منه بسكون الميم

(٣٢٧/٣)

قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء قال ابن عباس نزل النبي صلى الله عليه و سلم يوم بدر وبينه وبين الماء رملة وغلبهم المشركون على الماء فأصاب المسلمين الظمأ وجعلوا يصلون محدثين وألقى الشيطان في قلوبهم الوسوسة يقول تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون محدثين فأنزل الله عليهم مطرا فشربوا وتطهروا واشتد الرمل حين اصابه المطر وأزال الله رجز الشيطان وهو وسواسه حيث قال قد غلبكم المشركون على الماء وقال ابن زيد رجز الشيطان كيده حيث أوقع في قلوبهم أنه ليس لكم بهؤلاء القوم طاقة وقال ابن الانباري ساءهم عدم الماء عند فقرهم إليه فأرسل الله السماء فزالت وسوسة الشيطان التي تكسب عذاب الله وغضبه إذ الرجز العذاب قوله تعالى وليربط على قلوبكم الربط الشد وعلى في قول بعضهم صلة فالمعنى وليربط قلوبكم وفي الذي ربط به قلوبهم وقواها ثلاثة اقوال

أحدها أنه الصبر قاله ابو صالح عن ابن عباس والثاني أنه الإيمان قاله مقاتل والثالث أنه المطر الذي أرسله يثبت به قلوبهم بعد اضطرابها بالوسوسة التي تقدم ذكرها

قوله تعالى ويثبت به الأقدام في هاء به قولان

أحدهما أنها ترجع إلى الماء فان الأرض كانت رملة فاشتدت بالمطر وثبتت عليها الأقدام قاله ابن عباس ومجاهد والسدي في آخرين

والثاني انها ترجع إلى الربط فالمعنى ويثبت بالربط الأقدام ذكره الزجاج

(٣٢٨/٣)

إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وإن للكافرين عذاب النار

قوله تعالى إذ يوحي ربك إلى الملائكة إني معكم قال الزجاج إذ في موضع نصب والمعنى وليربط إذ يوحي ويجوز أن يكون المعنى واذكروا إذ يوحي قال ابن عباس وهذا الوحي إلهام

قوله تعالى إلى الملائكة وهم الذين أمد بهم المسلمين أني معكم بالعون والنصرة فثبتوا الذين آمنوا فيه أربعة اقوال

أحدها قاتلوا معهم قاله الحسن

والثاني بشروهم بالنصر فكان الملك يسير أمام الصف في صورة الرجل ويقول أبشروا فان الله ناصركم قاله مقاتل

والثالث ثبتوهم بأشياء تلقونها في قلوبهم تقوى بها ذكره الزجاج

والرابع صححوا عزائمهم ونياتهم على الجهاد ذكره الثعلبي فأما الرعب فهو الخوف قال السائب بن يسار كنا إذا سألنا يزيد بن عامر السوائي عن الرعب الذي ألقاه الله في قلوب المشركين كيف كان يأخذ الحصى فيرمي به الطست فيطن فيقول كما نجد في أجوافنا مثل هذا

قوله تعالى فاضربوا فوق الأعناق في المخاطب بهذا قولان

أحدهما أنهم الملائكة قال ابن الانباري لم تعلم الملائكة أين تقصد بالضرب من الناس فعلمهم الله تعالى ذلك

(٣/٣٢٩)

والثاني أنهم المؤمنون ذكره جماعة من المفسرين وفي معنى الكلام قولان

أحدهما فاضربوا الأعناق وفوق صلة وهذا قول عطية والضحاك والأخفش وابن قتيبة وقال أبو عبيدة فوق بمعنى على تقول ضربته فوق الرأس وضربته على الرأس

والثاني اضربوا الرؤوس لانها فوق الأعناق وبه قال عكرمة

وفي المراد بالبنان ثلاثة أقوال

أحدها أنه الأطراف قاله ابن عباس والضحاك وقال الفراء علمهم مواضع الضرب فقال اضربوا الرؤوس والأيدي والأرجل وقال أبو عبيدة وابن قتيبة البنان أطراف الأصابع قال ابن الانباري واكتفى بهذا من جملة اليد والرجل

والثاني أنه كل مفصل قاله عطية والسدي

والثالث أنه الأصابع وغيرها من جميع الأعضاء والمعنى أنه أباحهم قتلهم بكل نوع هذا قول الزجاج قال واشتقاق البنان من قولهم أبن بالمكان إذا أقام به فالبنان به يعتمل كل ما يكون للاقامة والحياة

قوله تعالى ذلك بأنهم شاقوا الله ذلك إشارة إلى الضرب وشاقوا بمعنى جانبوا فصاروا في شق غير شق المؤمنين

قوله تعالى ذلكم فذوقوه خطاب للمشركين والمعنى ذوقوا هذا في عاجل الدنيا وفي فتح أن قولان

أحدهما باضمار فعل تقديره ذلكم فذوقوه واعلموا أن للكافرين
والثاني أن يكون المعنى ذلك بأن للكافرين عذاب النار فاذا ألقيت

الباء نصبت وإن شئت جعلت أن في موضع رفع يريد ذلكم فذوقوه وذلكم أن للكافرين عذاب النار
هذا معنى قول الفراء
يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب الله ومأواه جهنم وبئس المصير
قوله تعالى إذا لقيتم الذين كفروا زحفا الزحف جماعة يزحفون إلى عدوهم قاله الليث والتزاحف التداني والتقارب قال الأعشى ... لمن الظعائن سيرهن تزحف ...
قال الزجاج ومعنى الكلام إذا واقفتموهم للقتال فلا تدبروا ومن يولهم يوم حربهم دبره إلا أن يتحرف ليقاتل أو يتحيز إلى فئة ف متحرفا ومتحيزا منصوبان على الحال ويجوز أن يكون نصبهما على الاستثناء فيكون المعنى إلا رجلا متحرفا أو متحيزا وأصل متحيز متحيوز فأدغمت الياء في الواو
قوله تعالى ومأواه جهنم أي مرجعه إليها ولا يدل ذلك على التخليد
فصل
اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قوم هذه خاصة في أهل بدر وهو مروي عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري والحسن وابن جبير وقتادة والضحاك وقال آخرون هي على عمومها في كل منهزم وهذا مروي عن ابن عباس أيضا وقال آخرون هي على عمومها غير أنها نسخت بقوله فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين فلس للمسلمين أن يفروا من مثليهم وبه قال

عطاء بن أبي رباح وروى أبو طالب عن أحمد أنه سئل عن الفراء من الزحف فقال لا يفر رجل من رجلين فان كانوا ثلاثة فلا بأس وقد نقل نحو هذا عن ابن عباس وقال محمد بن الحسن إذا بلغ الجيش اثني عشر ألفا فليس لهم أن يفروا من عدوهم وإن كثر عددهم ونقل نحو هذا عن مالك ووجهه ما روي عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال ما هزم قوم إذا بلغوا اثني عشر ألفا من قلة إذا صبروا وصدقوا
فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين

قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة إلا عاصما ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف النون ورفع اسم الله فيهما وسبب نزول هذا الكلام أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم لما رجعوا عن بدر جعلوا يقولون قتلنا وقتلنا هذا معنى قول مجاهد

فأما قوله تعالى وما رميت إذ رميت ففي سبب نزوله ثلاثة أقوال

أحدها أن النبي صلى الله عليه و سلم قال لعلي ناولني كفا من حصباء فناوله فرمى به في وجوه القوم فما بقي منهم أحد إلا وقعت في عينه حصاة وقيل أخذ قبضة من تراب فرمى بها وقال شاهت الوجوه فما بقي مشرك إلا شغل بعينه يعالج التراب الذي فيها فنزلت وما رميت إذ رميت ولكن الله

(٣٣٢/٣)

رمى وذلك يوم بدر هذا قول الأكثرين وقال ابن الانباري وتأويل شاهت قبحت يقال شاه وجهه يشوه شوها وشوهة ويقال رجل أشوه وامرأة شوهاء إذا كانا قبيحين

والثاني أن أبي بن خلف أقبل يوم أحد إلى النبي صلى الله عليه و سلم يريده فاعترض له رجال من المؤمنين فأمرهم رسول الله صلى الله عليه و سلم فخلوا سبيله وطعنه النبي صلى الله عليه و سلم بحرتبه فسقط أبي عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور فقالوا إنما هو خدش فقال والذي نفسي بيده لو كان الذي بي بأهل المجاز لماتوا أجمعون فمات قبل أن يقدم مكة فنزلت هذه الآية رواه سعيد بن المسيب عن أبيه

والثالث أن رسول الله صلى الله عليه و سلم رمى يوم خيبر بسهم فأقبل السهم يهوي حتى قتل ابن أبي الحقيق وهو على فراشه فنزلت هذه الآية ذكره أبو سليمان الدمشقي في آخرين

قوله تعالى ولكن الله قتلهم اختلفوا في معنى إضافة قتلهم إليه على أربعة اقوال

أحدها أنه قتلهم بالملائكة الذين أرسلهم والثاني أنه أضاف القتل إليه لأنه تولى نصرهم والثالث لأنه ساقهم إلى المؤمنين وأمكنهم منهم والرابع لأنه ألقى الرعب في قلوبهم وفي قوله وما رميت إذ رميت ثلاثة اقوال

أحدها أن المعنى وما ظفرت أنت ولا أصبت ولكن الله اظفرك وايدك قاله أبو عبيدة

(٣٣٣/٣)

والثاني وما بلغ رميك كفا من تراب أو حصى أن تملأ عيون ذلك الجيش الكثير إنما الله تولى ذلك قاله الزجاج

والثالث وما رميت قلوبهم بالرعب إذ رميت وجوههم بالتراب ذكره ابن الانباري
قوله تعالى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا أي لينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والأجر إن الله سميع لدعائهم عليم بنياتهم
قوله تعالى ذلكم قال الزجاج موضعه رفع والمعنى الأمر ذلكم وقال غيره ذلكم إشارة إلى القتل والرمي والبلاء الحسن وأن الله أي واعلموا أن الله والذي ذكرناه في فتح أن في قوله وأن للكافرين عذاب النار هو مذكور في فتح أن هذه
قوله تعالى موهن قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر موهن بفتح الواو وتشديد الهاء منونة كيد بالنصب وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم موهن ساكنة الواو كيد بالنصب وروى حفص عن عاصم موهن كيد مضاف والموهن المضعف والكيد المكر
إن تستفتحوا فقد جآءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون
قوله تعالى إن تستفتحوا في سبب نزولها خمسة أقوال
أحدها أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم استنصروا الله وسألوه الفتح فنزلت هذه الآية وهذا المعنى مروي عن أبي بن كعب وعطاء الخراساني

والثاني أن أبا جهل قال اللهم أينا كان أحب إليك وأرضى عندك فانصره اليوم فنزلت هذه الآية قاله أبو صالح عن ابن عباس
والثالث أن المشركين أخذوا بأستار الكعبة قبل خروجهم إلى بدر فقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأكرم القبيلتين فنزلت هذه الآية قاله السدي
والرابع أن المشركين قالوا اللهم إنا لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فنزلت هذه الآية قاله عكرمة
والخامس أنهم قالوا بمكة اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية فعذبوا يوم بدر قاله ابن زيد فخرج من هذه الأقوال أن في المخاطبين بقوله إن تستفتحوا قولان
أحدهما أنهم المؤمنون والثاني المشركون وهو الأشهر
وفي الاستفتاح قولان
أحدهما انه الاستنصار قاله ابن عباس والزجاج في آخرين فان قلنا إنهم المسلمون كان المعنى إن تستنصروا فقد جاءكم النصر بالملائكة وإن قلنا إنهم المشركون احتمل وجهين أحدهما إن تستنصروا

فقد جاء النصر عليكم والثاني إن تستنصروا لأحب الفريقين إلى الله فقد جاء النصر لأحب الفريقين
والثاني أن الاستفتاح طلب الحكم والمعنى إن تسألوا الحكم بينكم وبين المسلمين فقد جاءكم الحكم
وإلى هذا المعنى ذهب عكرمة ومجاهد وقتادة فأما قوله وإن تنتهوا فهو خير لكم فهو خطاب للمشركين
على قول الجماعة
وفي معناه قولان
أحدهما إن تنتهوا عن قتال محمد صلى الله عليه و سلم والكفر قاله أبو صالح عن ابن عباس

(٣٣٥/٣)

والثاني إن تنتهوا عن استفتاحكم فهو خير لكم لأنه كان عليهم لا لهم ذكره الماوردي
وفي قوله وإن تعودوا نعد قولان
أحدهما وإن تعودوا إلى القتال نعد إلى هزيمتكم قاله أبو صالح عن ابن عباس والثاني وإن تعودوا إلى
الاستفتاح نعد إلى الفتح لمحمد صلى الله عليه و سلم قاله السدي
قوله تعالى ولن تغني عنكم فئتكم شيئا أي جماعتكم وإن كثرت وأن الله مع المؤمنين بالعون والنصر
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وأبو بكر عن عاصم وإن الله بكسر الألف وقرأ نافع وابن عامر وحفص
عن عاصم وأن بفتح الألف فمن قرأ بكسر أن استأنف قال الفراء وهو أحب إلي من فتحها ومن فتحها
أراد ولأن الله مع المؤمنين
قوله تعالى ولا تولوا عنه فيه قولان
أحدهما لا تولوا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم
والثاني لا تولوا عن أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم وأنتم تسمعون ما نزل من القرآن روي القولان
عن ابن عباس
ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون
قوله تعالى ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال

(٣٣٦/٣)

أحدها أنها نزلت في بني عبد الدار بن قصي قاله أبو صالح عن ابن عباس
والثاني في اليهود قريظة والنضير روي عن ابن عباس أيضا
والثالث في المنافقين قاله ابن إسحاق والواقدي ومقاتل

وفي معنى الكلام قولان
أحدهما أنهم قالوا سمعنا ولم يتفكروا فيما سمعوا فكانوا كمن لم يسمع قاله الزجاج
والثاني أنهم قالوا سمعنا سماع من يقبل وليسوا كذلك حكي عن مقاتل
قوله تعالى إن شر الدواب عند الله الصم البكم اختلفوا فيمن نزلت على قولين
أحدهما أنها نزلت في بني عبد الدار بن قصي قاله أبو صالح عن ابن عباس
والثاني في المنافقين قاله ابن إسحاق والواقدي والدواب اسم كل حيوان يدب وقد بينا في سورة البقرة معنى الصم والبكم ولم سماهم بذلك
ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون
قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا فيه أربعة أقوال
أحدها ولو علم فيهم صدقا وإسلاما والثاني لو علم فيهم خيرا في سابق القضاء والثالث لو علم أنهم يصلحون والرابع لو علم أنهم يصغون
وفي قوله لأسمعهم ثلاثة اقوال

(٣٣٧/٣)

أحدها لأسمعهم جواب كل ما يسألون عنه قاله الزجاج والثاني لرزقهم الفهم قاله أبو سليمان الدمشقي
والثالث لأسمعهم كلام الموتي يشهدون بنبوتك حكاه الماوردي وفي قوله وهم معرضون قولان
أحدهما مكذبون قاله أبو صالح عن ابن عباس
والثاني وهم معرضون عما أسمعهم لمعاندتهم قاله الزجاج
يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون
قوله تعالى استجيبوا أي أجيبوا
قوله تعالى إذا دعاكم يعني الرسول لما يحييكم وفيه ستة أقوال
أحدها أن الذي يحييكم كل ما يدعو الرسول إليه وهو معنى قول أبي صالح عن ابن عباس وفي أفراد البخاري من حديث أبي سعيد بن المعلى قال كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه و سلم فلم أجبه ثم أتيته فقلت يا رسول الله إني كنت أصلي فقال ألم يقل الله استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم قلت بلى ولا أعود إن شاء الله
والثاني أنه الحق رواه شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد
والثالث أنه الإيمان رواه ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وبه قال السدي

(٣٣٨/٣)

والرابع أنه اتباع القرآن قاله قتادة وابن زيد

والخامس أنه الجهاد قاله ابن إسحاق وقال ابن قتيبة هو الجهاد الذي يحيي دينهم ويعليهم

والسادس أنه إحياء أمورهم قاله الفراء فيخرج في إحيائهم خمسة اقوال

أحدها أنه إصلاح أمورهم في الدنيا والآخرة

والثاني بقاء الذكر الجميل لهم في الدنيا وحياة الأبد في الآخرة

والثالث أنه دوام نعيمهم في الآخرة

والرابع أنه كونهم مؤمنين لأن الكافر كالميت

والخامس أنه يحييهم بعد موتهم وهو على قول من قال هو الجهاد لأن الشهداء أحياء ولأن الجهاد يعزهم بعد ذلهم فكأنهم صاروا به أحياء

قوله تعالى واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وفيه عشرة أقوال

أحدها يحول بين المؤمن وبين الكفر وبين الكافر وبين الإيمان رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال سعيد بن جبير

والثاني يحول بين المؤمن وبين معصيته وبين الكافر وبين طاعته رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال الضحاك والفراء

والثالث يحول بين المرء وقلبه حتى لا يتركه يعقل قاله مجاهد قال ابن الانباري المعنى يحول بين المرء وعقله فبادروا الأعمال فانكم لاتأمنون زوال العقول فتحصلون على ما قدمتم

والرابع أن المعنى هو قريب من المرء لا يخفى عليه شيء من سره كقوله ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وهذا معنى قول قتادة

(٣٣٩/٣)

والخامس يحول بين المرء وقلبه فلا يستطيع إيمانا ولا كفرا إلا بإذنه قاله السدي

والسادس يحول بين المرء وبين هواه ذكره ابن قتيبة

والسابع يحول بين المرء وبين ما يتمنى بقلبه من طول العمر والنصر وغيره

والثامن يحول بين المر وقلبه بالموت فبادروا الأعمال قبل وقوعه

والتاسع يحول بين المرء وقلبه بعمله فلا يضمر العبد شيئا في نفسه إلا والله عالم به لا يقدر على تغييبه عنه

والعاشر يحول بين ما يوقعه في قلبه من خوف أو أمن فيأمن بعد خوفه ويخاف بعد أمنه ذكر معنى هذه الأقوال ابن الانباري

وحكى الزجاج أنهم لما فكروا في كثرة عدوهم وقلة عددهم فدخل الخوف قلوبهم أعلمه الله تعالى أنه يحول بين المرء وقلبه بأن يبدله بالخوف الأمن ويبدل عدوة بالقوة الضعف وقد أعلمت هذه الآية أن الله تعالى هو المقلب للقلوب المتصرف فيها

قوله تعالى وأنه إليه تحشرون أي للجزاء على أعمالكم

(٣٤٠/٣)

واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب

قوله تعالى واتقوا فتنة اختلفوا فيمن نزلت على أربعة اقوال

أحدها أنها نزلت في أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم خاصة قاله ابن عباس والضحاك وقال الزبير بن العوام لقد قرأناها زمانا وما نرى أنا من أهلها فاذا نحن المعنيون بها

والثاني أنها نزلت في رجلين من قريش قاله أبو صالح عن ابن عباس ولم يسمهما

والثالث أنها عامة قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية أمر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب وقال مجاهد هذه الآية لكم أيضا

والرابع أنها نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير قاله الحسن وقال السدي نزلت في أهل بدر خاصة فأصابتهم يوم الجمل

وفي الفتنة هاهنا سبعة أقوال

أحدها القتال والثاني الضلالة والثالث السكوت عن إنكار المنكر والرابع الاختبار والخامس الفتنة بالأموال والأولاد والسادس البلاء والسابع ظهور البدع فأما قوله لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فقال الفراء أمرهم ثم نهاهم وفيه طرف من الجزاء وإن كان نهيا كقوله يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان أمرهم ثم نهاهم وفيه تأويل الجزاء وقال الأخفش لا تصيبن ليس بجواب وإنما هو نهي

(٣٤١/٣)

بعد نهي ولو كان جوابا ما دخلت النون وذكر ابن الانباري فيها قولين

أحدهما أن الكلام تأويله تأويل الخبر إذ كان المعنى إن لا يتقوها تصب الذين ظلموا أي وغيرهم أي لا

تقع بالظالمين دون غيرهم لكنها تقع بالصالحين والطالحين فلما ظهر الفعل ظهور النهي والنهي راجع إلى معنى الأمر إذ القائل يقول لا تقم يريد دع القيام ووقع مع هذا جوابا للأمر أو كالجواب له فأكد له شبه النهي فدخلت النون المعروف دخولها في النهي وما يضارعه

والثاني أنها نهي محض معناه لا يقصدن الظالمون هذه الفتنة فيهلكوا فدخلت النون لتوكيد الاستقبال كقوله لا يحطمنكم وللمفسرين في معنى الكلام قولان

أحدهما لا تصيبن الفتنة الذين ظلموا

والثاني لا يصيبن عقاب الفتنة فان قيل فما ذنب من لم يظلم فالجواب أنه بموافقته للأشرار أو بسكوته عن الإنكار أو بتركه للفرار استحق العقوبة وقد قرأ علي وابن مسعود وأبي بن كعب لتصيبن الذين ظلموا بغير ألف

واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون

(٣٤٢/٣)

قوله تعالى واذكروا إذ أنتم قليل قال ابن عباس نزلت في المهاجرين خاصة كانت عدتهم قليلة وهم مقهورون في أرض مكة يخافون أن يستلبهم المشركون وفي المراد بالناس ثلاثة أقوال

أحدها أنهم أهل مكة قاله ابن عباس والثاني فارس والروم قاله وهب بن منبه والثالث أنهم المشركون الذين حضروا بدرا والمسلمون قليلون يومئذ قاله قتادة

قوله تعالى فآواكم فيه قولان

أحدهما فآواكم إلى المدينة بالهجرة قاله ابن عباس والأكثرون

والثاني جعل لكم مأوى تسكنون فيه آمنين ذكره الماوردي

وفي قوله وأيدكم بنصره قولان

أحدهما قواكم بالملائكة يوم بدر قاله الجمهور والثاني عضدكم بنصره في بدر وغيرها قاله أبو سليمان الدمشقي وفي قوله ورزقكم من الطيبات قولان

أحدهما أنها الغنائم التي أحلها لهم قاله السدي

والثاني أنها الخيرات التي مكنهم منها ذكره الماوردي

يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون

قوله تعالى لا تخونوا الله والرسول اختلفوا فيمن نزلت على أربعة اقوال

أحدها أنها نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر وذاك أن النبي صلى الله عليه و سلم لما حاصر قريظة

سألوه أن يصالحهم على ما صالح عليه بني النضير على أن يسيروا إلى أرض الشام فأبى أن يعطيهم ذلك إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا

(٣٤٣/٣)

وقالوا أرسل إلينا أبا لبابة وكان مناصحا لهم لأن ولده وأهله كانوا عندهم فبعثه إليهم فقالوا ما ترى أننزل على حكم سعد بن معاذ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه إنه الذبح فلا تفعلوا فأطاعوه فكانت تلك خيانته قال أبو لبابة فما زالت قدماي حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله ونزلت هذه الآية هذا قول ابن عباس والأكثرين وروي أن أبا لبابة ربط نفسه بعد نزول هذه الآية إلى سارية من سواري المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أويتوب الله علي فمكث سبعة أيام كذلك ثم تاب الله عليه فقال والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه و سلم هو الذي يحلني فجاء فحله بيده فقال أبو لبابة إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم يجزئك الثلث

والثاني أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال إن أبا سفيان في مكان كذا وكذا فقال رسول النبي الله صلى الله عليه و سلم لأصحابه اخرجوا إليه واكتموا فكتب إليه رجل من المنافقين إن محمدا يريدكم فخذوا حذركم فنزلت هذه الآية قاله جابر بن عبد الله

والثالث أنها نزلت في قتل عثمان بن عفان قاله المغيرة بن شعبة

والرابع أن قوما كانوا يسمعو الحديث من رسول الله صلى الله عليه و سلم فيفشونه حتى يبلغ المشركين فنزلت هذه الآية قاله السدي وفي خيانة الله قولان

(٣٤٤/٣)

أحدهما ترك فرائضه والثاني معصية رسوله وفي خيانة الرسول قولان أحدهما مخالفته في السر بعد طاعته في الظاهر والثاني ترك سنته

وفي المراد بالأمانات ثلاثة أقوال

أخذها أنها الفرائض قاله ابن عباس وفي خيا تنقيصها والثاني تركها

والثاني أنها الدين قاله ابن زيد فيكون المعنى لا تظهروا الإيمان وتبطنوا الكفر

والثالث أنها عامة في خيانة كل مؤتمن ويؤكده نزولها في ما جرى لأبي لبابة

واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم

فرقانا ويكفر عنكم سيآتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم
قوله تعالى واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة قال ابن عباس هذا خطاب لأبي لبابة لأنه كانت له أموال وأولاد عند بني قريظة فأما الفتنة فالمراد بها الابتلاء والامتحان الذي يظهر ما في النفس من اتباع الهوى أو تجنبه وأن الله عنده أجر عظيم خير من الأموال والأولاد

(٣٤٥/٣)

قوله تعالى إن تتقوا الله أي بترك معصيته واجتناب الخيانة لله ورسوله
قوله تعالى يجعل لكم فرقانا فيه أربعة أقوال
أحدها أنه المخرج رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال عكرمة ومجاهد والضحاك وابن قتيبة والمعنى يجعل لكم مخرجا في الدين من الضلال
والثاني أنه النجاة رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال قتادة والسدي
والثالث أنه النصر رواه الضحاك عن ابن عباس وبه قال الفراء
والرابع أنه هدى في قلوبهم يفرقون به بين الحق والباطل قاله ابن زيد وابن إسحاق
وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين
قوله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا هذه الآية متعلقة بقوله واذكروا إذ أنتم قليل فالمعنى أذكر المؤمنين ما من الله به عليهم واذكر إذ يمكر بك الذين كفروا
الإشارة إلى كيفية مكرهم
قال أهل التفسير لما بويع رسول الله صلى الله عليه و سلم ليلة العقبة وأمر أصحابه أن يلحقوا بالمدينة اشفقت قريش أن يعلو أمره وقالوا والله لكأنكم به قد كر عليكم بالرجال فاجتمع جماعة من أشرافهم ليدخلوا دار الندوة فيتشاوروا في أمره فاعترضهم إبليس في صورة شيخ كبير فقالوا من أنت قال أنا شيخ من

(٣٤٦/٣)

أهل نجد سمعت ما اجتمعتم له فأردت أن أحضركم ولن تعدموا من رأيي نصحا فقالوا ادخل فدخل معهم فقالوا انظروا في أمر هذا الرجل فقال بعضهم احبسوه في وثاق وتربصوا به ريب المنون فقال إبليس ما هذا برأي يوشك أن يثب أصحابه فيأخذوه من أيديكم فقال قائل أخرجوه من بين أظهركم فقال ما هذا برأي يوشك أن يجمع عليكم ثم يسير إليكم فقال أبو جهل نأخذ من كل قبيلة غلاما ثم

نعطي كل غلام سيفا فيضربوه به ضربة رجل واحد فيفرق دمه في القبائل فما ظن هذا الحي من قريش يقوى على ضرب قريش كلها فيقبلون العقل ونستريح فقال إبليس هذا والله الرأي فتفرقوا عن ذلك وأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه و سلم فأمره أن لا يبيت في مضجعه وأخبره بمكر القوم فلم يبت في مضجعه تلك الليلة وأمر عليا فبات في مكانه وبات المشركون يحرسونه فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه و سلم أذن له الله في الخروج إلى المدينة وجاء المشركون لما أصبحوا فرأوا عليا فقالوا أين صاحبك قال لا أدري فاقتصوا أثره حتى بلغوا الجبل فمروا بالغار فرأوا نسج العنكبوت فقالوا لو دخله لم يكن عليه نسج العنكبوت فأما قوله ليثبتوك فقال ابن قتيبة معناه ليحبسوك يقال فلان مثبت وجعا إذا لم يقدر على الحركة وللمفسرين فيه قولان

(٣٤٧/٣)

أحدهما ليثبتوك في الوثاق قاله ابن عباس والحسن في آخرين

والثاني ليثبتوك في الحبس قاله عطاء والسدي في آخرين وكان القوم أرادوا أن يحبسوه في بيت ويشدوا عليه بابه ويلقوا إليه الطعام والشراب وقد سبق بيان المكر في آل عمران

وإذ تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين

قوله تعالى وإذا تتلى عليهم آياتنا ذكر أهل التفسير أن هذه الآيه نزلت في النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة وأنه لما سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يذكر قصص القرون الماضية قال لو شئت لقلت مثل هذا وفي قوله قد سمعنا قولان

أحدهما قد سمعنا منك ولا نطيعك

والثاني قد سمعنا قبل هذا مثله وكان النضر يختلف إلى فارس تاجرا فيسمع العباد يقرؤون الإنجيل وقد بين التحدي كذب من قال لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد سبق معنى الأساطير في الأنعام

وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم

قوله تعالى وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال

أحدها أنها نزلت في النضر أيضا رواه جماعة عن ابن عباس وبه قال سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء والسدي

(٣٤٨/٣)

والثاني أنها نزلت في أبي جهل فهو القائل لهذا قاله أنس بن مالك وهو مخرج في الصحيحين
والثالث أنها نزلت في قريش قالوا هذا ثم ندموا فقالوا غفرانك اللهم فأنزل الله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون رواه أبو معشر عن يزيد ابن رومان ومحمد بن قيس وفي المشار إليه بقوله إن كان هذا ثلاثة أقوال
أحدها أنه القرآن والثاني كل ما يقوله رسول الله صلى الله عليه و سلم من الأمر بالتوحيد وغيره والثالث أنه إكرام محمد صلى الله عليه و سلم بالنبوة من بين قريش
وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم في المشار إليه قولان
أحدهما أهل مكة وفي معنى الكلام قولان أحدهما وما كان الله ليعذبهم وأنت مقيم بين أظهرهم قال ابن عباس لم تعذب قرية حتى يخرج نبيها والمؤمنون معه والثاني وما كان الله ليعذبهم وأنت حي قاله أبو سليمان
والثاني أن المشار إليهم المؤمنون والمعنى وما كان الله ليعذب المؤمنين بضرب من العذاب الذي أهلك به من قبلهم وأنت حي ذكره أبو سليمان الدمشقي
فصل
قال الحسن وعكرمة هذه الآية منسوخة بقوله وما لهم ألا يعذبهم

الله وفيه بعد لأن النسخ لا يدخل على الأخبار وقال ابن أبزى كان النبي صلى الله عليه و سلم بمكة فأنزل الله عز و جل وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم فخرج إلى المدينة فأنزل الله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وكان أولئك البقية من المسلمين بمكة يستغفرون فلما خرجوا أنزل الله وما لهم ألا يعذبهم الله وجميع أقوال المفسرين تدل على أن قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون كلام مبتدأ من إخبار الله عز و جل وقد روي عن محمد بن إسحاق أنه قال هذه الآية من قول المشركين قالوا والله إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفر فرد الله عليهم ذلك بقوله وما لهم ألا يعذبهم الله
قوله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وفي معنى هذا الكلام خمسة أقوال
أحدها وما كان الله معذب المشركين وفيهم من قد سبق له أن يؤمن رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس واختاره الزجاج
والثاني وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون الله فانهم كانوا يلبون ويقولون غفرانك وهذا مروي عن ابن عباس أيضا وفيه ضعف لأن استغفار المشرك لا أثر له في القبول

والثالث وما كان الله معذبهم يعني المشركين وهم يعني المؤمنين الذين بينهم يستغفرون روي عن ابن عباس أيضا وبه قال الضحاك وأبو مالك قال ابن الانباري وصفوا بصفة بعضهم لأن المؤمنين بين أظهرهم فأوقع

(٣٥٠/٣)

العموم على الخصوص كما يقال قتل أهل المسجد رجلا وأخذ أهل البصرة فلانا ولعله لم يفعل ذلك إلا رجل واحد

والرابع وما كان الله معذبهم وفي أصلابهم من يستغفر الله قاله مجاهد قال ابن الانباري فيكون معنى تعذيبهم إهلاكهم فالمعنى وما كان الله مهلكهم وقد سبق في علمه أنه يكون لهم أولاد يؤمنون به ويستغفرونه فوصفهم بصفة ذراريهم وغلبوا عليهم كما غلب بعضهم على كلهم في الجواب الذي قبله

والخامس أن المعنى لو استغفروا لما عذبهم الله ولكنهم لم يستغفروا فاستحقوا العذاب وهذا كما تقول العرب ما كنت لأهينك وأنت تكرمني يريدون ما كنت لأهينك لو أكرمتني فأما إذا لست تكرمني فانك مستحق لإهانتي وإلى هذا القول ذهب قتادة والسدي قال ابن الانباري وهو اختيار اللغويين وذكر المفسرون في معنى هذا الاستغفار ثلاثة أقوال

أحدها أنه الاستغفار المعروف وقد ذكرناه عن ابن عباس

والثاني أنه بمعنى الصلاة رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس ومنصور عن مجاهد وبه قال الضحاك

والثالث أنه بمعنى الإسلام رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد وبه قال عكرمة وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون

قوله تعالى وما لهم ألا يعذبهم الله هذه الآية أجازت تعذيبهم والأولى

(٣٥١/٣)

نفت ذلك وهل المراد بهذا العذاب الاول أم لا فيه قولان

أحدهما أنه هو الأول إلا أن الأول امتنع بشيئين أحدهما كون النبي صلى الله عليه و سلم فيهم والثاني كون المؤمنين المستغفرين بينهم فلما وقع التمييز بالهجرة وقع العذاب بالباقين يوم بدر وقيل بل وقع بفتح مكة

والثاني أنهما مختلفان وفي ذلك قولان أحدهما أن العذاب الثاني قتل بعضهم يوم بدر والأول استئصال الكل فلم يقع الأول لما قد علم من إيمان بعضهم وإسلام بعض ذراريهم ووقع الثاني والثاني أن العذاب

الأول عذاب الدنيا والثاني عذاب الآخرة قاله ابن عباس فيكون المعنى وما كان الله معذب المشركين لاستغفارهم في الدنيا وما لهم ألا يعذبهم الله في الآخرة

قوله تعالى وهم يصدون قال الزجاج المعنى وهم يصدون عن المسجد الحرام أولياءه وفي هاء الكناية في قوله وما كانوا أولياؤه قولان

أحدهما أنها ترجع إلى المسجد وهو قول الجمهور قال الحسن إن المشركين قالوا نحن أولياء المسجد الحرام فرد الله عليهم بهذا

والثاني أنها تعود إلى الله عز و جل ذكره أبو سليمان الدمشقي

قوله تعالى إن أولياؤه أي ما أولياؤه إلا المتقون للشرك والمعاصي ولكن أكثر أهل مكة لا يعلمون من الأولى ببيت الله

وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون

قوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت سبب نزولها أنهم كانوا يطوفون بالبيت ويصفقون ويصفرون ويضعون خدودهم بالأرض فنزلت هذه الآية قاله ابن عمر فأما المكاء ففيه قولان

(٣٥٢/٣)

أحدهما أنه الصفير قاله ابن عمر وابن عباس وابن جبير وقتادة وأبو عبيدة والزجاج وابن قتيبة قال ابن فارس يقال مكا الطائر يمكو مكاء إذا صفر ويقال مكيت يده تمكى مكى مقصور أي غلظت وخشنت ويقال تمكى إذا توضأ وأنشدوا ... إنك والجور على سبيل ... كالمتمكي بدم القتيل ...

وسئل أبو سلمة بن عبد الرحمن عن المكاء فجمع كفيه وجعل يصفر فيهما

والثاني أنه إدخال أصابعهم في أفواههم يخلطون به وبالتصدية على محمد صلى الله عليه و سلم صلاته قاله مجاهد قال ابن الانباري أهل اللغة ينكرون أن يكون المكاء إدخال الأصابع في الأفواه وقالوا لا يكون إلا الصفير وفي التصدية قولان

أحدهما أنها التصفيق قاله ابن عمر وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والجمهور قال ابن قتيبة يقال صدى إذا صفق بيديه قال الراجز ... ضنت بخد وجلت عن خد ... وأنا من غرو الهوى أصدي ...

الغرو العجب يقال لا غرو من كذا أي لا عجب

والثاني أن التصدية صدهم الناس عن البيت الحرام قاله سعيد بن جبير وقال ابن زيد هو صدهم عن سبيل الله ودينه وزعم مقاتل أن النبي صلى الله عليه و سلم كان إذا صلى في المسجد الحرام قام رجلان من المشركين من بني عبد الدار عن

(٣٥٣/٣)

يمينه فيصفران ورجلان عن يساره فيصفقان فتختلط على النبي صلى الله عليه و سلم صلاته وقراءته فقتلهم الله ببدر فذلك قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بتوحيد الله

فان قيل كيف سمى المكاء والتصدية صلاة

فعنه جوابان ذكرهما ابن الانباري

أحدهما أنهم جعلوا ذلك مكان الصلاة ومشهور في كلام العرب أن يقول الرجل زرت عبد الله فجعل جفائي صلتي أي أقام الجفاء مقام الصلة قال الشاعر ... قلت له اطعمني عميم تمرا ... فكان تمري كهرة وزبرا ...

أي أقام الصياح علي مقام التمر

والثاني أن من كان المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له كما تقول العر ب ما لفلات عيب إلا السخاء يريدون من السخاء عيبه فلا عيب له قال الشاعر ... فتى كملت خيراته غير أنه ... جواد فلا يبقى من المال باقيا ...

إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون

قوله تعالى إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال

أحدها أنها نزلت في المطعمين ببدر وكانوا اثني عشر رجلا يطعمون الناس الطعام كل رجل يطعم يوما وهم عتبة وشيبة ومنبه ونبية ابنا الحجاج وأبو البختري والنضر بن الحارث وأبو جهل وأخوه الحارث وحكيم بن حزام وأبي بن خلف وزمعة بن الأسود والحارث بن عامر ابن نوفل هذا قول أبي صالح عن ابن عباس

والثاني أنها نزلت في أبي سفيان بن حرب استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش لقتال رسول الله صلى الله عليه و سلم سوى من استجاش من العرب قاله سعيد بن جبير وقال مجاهد نزلت في نفقة أبي سفيان على الكفار يوم أحد

والثالث أنها نزلت في أهل بدر وبه قال الضحاك فأما سبيل الله فهو دين الله

قوله تعالى ثم تكون عليهم حسرة أي تكون عاقبة نفقتهم ندامة لأنهم لم يظفروا

ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون

قوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر ليميز خفيفة وقرأ حمزة والكسائي ليميز بالتشديد وهما لغتان مزته وميزته وفي لام ليميز قولان

(٣٥٥/٣)

أحدهما أنها متعقلة بقوله فسينفقونها قاله ابن الانباري

والثاني أنها متعقلة بقوله إلى جهنم يحشرون قاله ابن جرير الطبري وفي معنى الآية ثلاثة اقوال

أحدها ليميز أهل السعادة من أهل الشقاء رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس وقال السدي ومقاتل يميز المؤمن من الكافر

والثاني ليميز العمل الطيب من العمل الخبيث قاله أبو صالح عن ابن عباس

والثالث ليميز الإنفاق الطيب في سبيله من الانفاق الخبيث في سبيل الشيطان قاله ابن زيد والزجاج

قوله تعالى ويجعل الخبيث بعضه على بعض أي يجمع بعضه فوق بعض وهو قوله فيركمه قال الزجاج الركم أن يجعل بعض الشيء على بعض يقال ركمت الشيء أركمه ركما والركام الاسم فمن قال المراد بالخبيث الكفار فانهم في النار بعضهم على بعض ومن قال أموالهم فله في ذلك قولان

أحدهما أنها ألقيت في النار ليعذب بها أربابها كما قال تعالى فتكوى بها جباههم

والثاني أنهم لما عظموها في الدنيا أراهم هوانها بالقائها في النار كما تلقى الشمس والقمر في النار ليرى من عبدهما ذلهما

قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنت الأولين

قوله تعالى قل للذين كفروا نزلت في أبي سفيان وأصحابه قاله أبو صالح عن ابن عباس وفي معنى الآية قولان

(٣٥٦/٣)

أحدهما إن ينتهوا عن المحاربة يغفر لهم ما قد سلف من حربهم فلا يؤاخذون به وإن يعودوا إلى المحاربة فقد مضت سنة الاولين في نصر الله أولياءه وقيل في قتل من قتل يوم بدر وأسر

والثاني إن ينتهوا عن الكفر يغفر لهم ما قد سلف من الإثم وإن يعودوا إليه فقد مضت سنة الأولين من الأمم السالفة حين أخذوا بالعذاب المستأصل قال يحيى بن معاذ في هذه الآية إن توحيدا لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب

وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير

قوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة أي شرك وقال الزجاج حتى لا يفتن الناس فتنة كفر ويدل عليه قوله ويكون الدين كله لله

قوله تعالى فان انتهوا أي عن الكفر والقتال فان الله بما يعملون بصير وقرأ يعقوب إلا روحا بما تعملون بالتاء

وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير

قوله تعالى وإن تولوا أي أعرضوا عن الإيمان وعادوا إلى القتال

(٣٥٧/٣)

فاعلموا أن الله مولاكم أي وليكم وناصركم قال ابن قتيبة نعم المولى أي نعم الولي ونعم النصير أي الناصر مثل قدير وقادر وسميع وسامع

واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير

قوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء اختلفوا هل الغنيمة والفيء بمعنى واحد أم يختلفان على قولين أحدهما أنهما يختلفان ثم في ذلك قولان أحدهما أن الغنيمة ما طهر عليه من أموال المشركين والفيء ما ظهر عليه من الأرضين قاله عطاء بن السائب والثاني أن الغنيمة ما أخذ عنوة والفيء ما أخذ عن صلح قاله سفيان الثوري وقيل بل الفيء ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب كالعشور والجزية وأموال المهادنة والصلح وما هربوا عنه

والثاني أنهما واحد وهما كل ما نيل من المشركين ذكره الماوردي وقال الزجاج الأموال ثلاثة اصناف فما صار إلى المسلمين من المشركين في حال الحرب فقد سماه الله تعالى أنفالا وغنائم وما صار من المشركين من خراج أو جزية مما لم يؤخذ في الحرب فقد سماه فيئا وما خرج من أموال المسلمين كالزكاة والنذر والقرب سماه صدقة وأما قوله من شيء فالمراد به كل ما وقع عليه اسم الشيء قال مجاهد المخيط من الشيء

قوله تعالى فإن لله خمسه وروى عبد الوارث خمسه بسكون الميم وفي المراد بالكلام قولان

(٣٥٨/٣)

أحدهما أن نصيب الله مستحق يصرف إلى بيته قال أبو العالية كان يجاء بالغنيمة فيقسمها رسول الله صلى الله عليه و سلم على خمسة أسهم فيقسم أربعة بين الناس ثم يجعل من السهم الخامس للكعبة

وهذا مما انفرد به أبو العالية فيما يقال

والثاني أن ذكر الله هاهنا لأحد وجهين أحدهما لأنه المتحكم فيه والمالك له والمعنى فان للرسول خمسة ولذي القربى كقوله يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول والثاني أن يكون المعنى إن الخمس مصروف في وجوه القرب إلى الله تعالى وهذ قول الجمهور فعلى هذا تكون الواو زائدة كقوله فلما أسلما وتله للجبين وناديناه المعنى ناديناه ومثله كثير

فصل

أجمع العلماء على أن أربعة أخماس الغنيمة لأهل الحرب خاصة فأما الخمس الخامس فكيف يقسم فيه ثلاثة أقوال

أحدها يقسم منه لله وللرسول ولمن ذكر في الآية وقد ذكرنا أن هذا مما انفرد به أبو العالية وهو يقتضي أن يقسم على ستة أسهم

والثاني أنه مقسوم على خمسة أسهم سهم للرسول وسهم لذوي القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لأبناء السبيل على ظاهر الآية وبه قال الجمهور

والثالث أنه يقسم على أربعة اسهم فسهم الله عز و جل وسهم رسوله عائد على ذوي القربى لأن رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يكن يأخذ منه شيئا وهذا المعنى رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس

فصل

فأما سهم رسول الله صلى الله عليه و سلم فانه كان يصنع فيه ما بينا وهل سقط بموته أم لا فيه قولان أحدهما لم يسقط بموته وبه قال أحمد والشافعي في آخرين وفيما يصنع به قولان أحدهما أنه للخليفة بعده قاله قتادة والثاني أنه يصرف في المصالح وبه قال أحمد والشافعي

والثاني أنه يسقط بموته كما يسقط الصفي فيرجع إلى جملة الغنيمة وبه قال أبو حنيفة وأما ذوو القربى ففيهم ثلاثة أقوال

أحدها أنهم جميع قريش قال ابن عباس كنا نقول نحن هم فأبى علينا قومنا وقالوا قريش كلها ذوو قربى والثاني بنو هاشم وبنو المطلب و به قال أحمد و الشافعي و الثالث أنهم بنو هاشم فقط قاله أبو حنفية و بماذا يستحقون فيه قولان

أحدهما بالقرابة وإن كانوا أغنياء وبه قال أحمد والشافعي

والثاني بالفقر لا بالاسم وبه قال أبو حنيفة وقد سبق في البقرة معنى اليتامى والمساكين وابن السبيل

وينبغي أن تعتبر في اليتيم أربعة أوصاف موت الأب وإن كانت الأم باقية والصغر لقوله عليه السلام لا يتم بعد حلم والإسلام لأنه مال للمسلمين والحاجة لأنه معد للمصالح

(٣٦٠/٣)

قوله تعالى وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان هو يوم بدر فرق فيه بين الحق والباطل بنصر المؤمنين والذي أنزل عليه يومئذ قوله يسألونك عن الأنفال نزلت حين اختلفوا فيها فالمعنى إن كنتم آمنتم بذلك فاصدروا عن أمر الرسول في هذا أيضا

إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم

قوله تعالى إذ أنتم بالعدوة الدنيا قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالعدوة والعدوة العين فيهما مكسورة وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بضم العين فيهما قال الأخفش لم يسمع من العرب إلا الكسر وقال ثعلب بل الضم أكثر اللغتين قال ابن السكيت عدوة الوادي وعدوته جانبه والجمع عدى وعدى والدنيا تأنيث الأدنى وضدها القصوى وهي تأنيث الأقصى وما كان من النعوت على فعلى من ذوات الواو فان العرب تحوله إلى الياء نحو الدنيا من دنوت والعليا من علوت لأنهم يستثقلون الواو مع ضم الأول وليس في هذا اختلاف إلا أن

(٣٦١/٣)

أهل الحجاز قالوا القصوى فأظهروا الواو وهو نادر وغيرهم يقول القصيا قال المفسرون إذ أنتم بشفير الوادي الأدنى من المدينة وعدوكم بشفيره الأقصى من مكة وكان الجمعان قد نزلا وادي بدر على هذه الصفة والركب أبو سفيان وأصحابه قال الزجاج من نصب أسفل اراد والركب مكانا أسفل منكم ويجوز الرفع على المعنى والركب أشد تسفلا منكم قال قتادة وكان المسلمون أعلى الوادي والمشركون أسفله وفي قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد قولان

أحدهما لو تواعدتم ثم بلغكم كثرتهم لتأخرتم عن الميعاد قاله ابن اسحاق

والثاني لو تواعدتم على الاجتماع في المكان الذي اجتمعتم فيه من عدوتي وادي بدر لاختلفتم في الميعاد قاله أبو سليمان وقال الماوردي كانت تقع الزيادة والنقصان أو التقدم والتأخر من غير قصد لذلك

قوله تعالى ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا وهو إعزاز الإسلام وإذلال الشرك

قوله تعالى ليهلك من هلك عن بينة وروى خلف عن يحيى ليهلك بضم الياء وفتح اللام
قوله تعالى ويحيى من حي عن بينة قرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي من حي بياء واحدة مشددة وهذه رواية حفص عن عاصم وقنبل عن ابن كثير وروى شبل عن ابن كثير وابو بكر عن عاصم حيي بياءين الأولى مكسورة والثانية مفتوحة وهي قراءة نافع فمن قرأ بياءين بين ولم يدغم ومن أدغم ياء حيي فلاجتماع حرفين من جنس واحد وفي معنى الكلام قولان

(٣٦٢/٣)

أحدهما ليقتل من قتل من المشركين عن حجة ويبقى من بقي منهم عن حجة
والثاني ليكفر من كفر بعد حجة ويؤمن من آمن عن حجة
إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور
قوله تعالى إذ يريكهم الله في منامك قليلا فيه قولان
أحدهما أن نبي الله صلى الله عليه و سلم رأى عسكر المشركين في المنام قبل لقائهم في قلة قاله أبو صالح عن ابن عباس قال مجاهد لما أخبر أصحابه بأنه رآهم في المنام قليلا كان ذلك تثبيتا لهم قال أبو سليمان الدمشقي والكلام متعلق بما قبله فالمعنى وإن الله لسميع لما يقوله أصحابك عليم بما يضمرونه إذ حدثتهم بما رأيت في منامك
والثاني إذ يريكهم الله بعينك التي تنام بها قاله الحسن قال الزجاج وكثير من النحويين يذهبون إلى هذا المذهب ومعناه عندهم إذ يريكهم الله في موضع منامك أي بعينك ثم حذف الموضع واقام المنام مقامه قوله تعالى لفشلتم أي لجبنتم وتأخرتم عن حربهم وقال مجاهد لفشل اصحابك ولرأوا ذلك في وجهك قوله تعالى ولتنازعتم في الأمر أي لاختلفتم في حربهم فكان ذلك من دواعي هزيمتكم ولكن الله سلم من المخالفة والفشل

(٣٦٣/٣)

وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور
قوله تعالى وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا قال مقاتل صدق الله رؤيا رسوله التي أخبر بها المؤمنين عن قلة عدوهم قبل لقائهم بأن قللهم وقت اللقاء في أعينهم وقال ابن مسعود لقد قلوا في

أعيننا حتى قلت لرجل إلى جانبي أتراهم سبعين قال أراهم مائة حتى أخذنا رجلا منهم فسألناه فقال كنا ألفا قال أبو صالح عن ابن عباس استقل المسلمون المشركين والمشركون المسلمين فاجترأ بعضهم على بعض

فان قيل ما فائدة تكرير الرؤية هاهنا وقد ذكرت في قوله إذ يريكهم الله فعنه جوابان

أحدهما أن الأولى كانت في المنام والثانية في اليقظة

والثاني أن الأولى للنبي صلى الله عليه و سلم خاصة والثانية له ولأصحابه فان قيل تكثير المؤمنين في أعين الكافرين أولى لمكان إعزازهم فعنه ثلاثة أجوبة

أحدها أنهم لو كثروا في أعينهم لم يقدموا عليهم فلم يكن قتال والقتال سبب النصر فقللهم لذلك

والثاني أنه قللهم لئلا يتأهب المشركون كل التأهب فاذا تحقق القتال وجدهم المسلمون غير مستعدين فظفروا بهم

والثالث أنه قللهم ليحمل الأعداء عليهم في كثرتهم فيغلبهم المسلمون فيكون ذلك آية للمشركين ومنبها على نصرة الحق

يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله

(٣٦٤/٣)

كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين

قوله تعالى إذا لقيتم فئة فاثبتوا الفئة الجماعة واذكروا الله كثيرا فيه قولان

أحدهما أنه الدعاء والنصر والثاني ذكر الله على الإطلاق

قوله تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا قد سبق ذكر التنازع والفشل آنفا

قوله تعالى وتذهب ريحكم وروى أبان ويذهب بالياء والجزم وفيه أربعة أقوال

أحدها تذهب شدتكم قاله أبو صالح عن ابن عباس وقال السدي حدتكم وجدكم وقال الزجاج صولتكم وقوتكم

والثاني يذهب نصركم قاله مجاهد وقتادة

والثالث تتقطع دولتكم قاله أبو عبيدة وقال ابن قتيبة يقال هبت له ريح النصر إذا كانت له الدولة ويقال له الريح اليوم أي الدولة

والرابع أنها ريح حقيقة ولم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله فتضرب وجوه العدو ومنه قوله عليه السلام

نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وهذا قول ابن زيد ومقاحل
ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس يصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط

(٣٦٥/٣)

قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا قال المفسرون هم أبو جهل ومن خرج معه من مكة خرجوا ليدفعوا عن عيرهم التي كانت مع أبي سفيان ومعهم القيان والمعازف وهم يشربون الخمور فلما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز ما معه كتب إليهم إني قد أحرزت أموالكم فارجعوا فقال أبو جهل والله لا نفعل حتى نرد بدرا فنقيم ثلاثا وننحر الجزر ونطعم الطعام وسقى الخمور وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابونا فساروا إلى بدر فكانت الوقعة فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فأما البطر فهو الطغيان في النعم وترك شكرها والرياء العمل من أجل رؤية الناس وسبيل الله هاهنا دينه
وإذا زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما ترآءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى مالا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب
قوله تعالى وإذا زين لهم الشيطان أعمالهم قال عروة بن الزبير لما أجمعت قريش المسير إلى بدر ذكروا ما بينهم وبين كنانة من الحرب فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك المدلجي وكان من اشراف بني كنانة فقال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم من أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه فخرجوا سراعا وفي المراد بأعمالهم هاهنا ثلاثة أقوال
أحدها شركهم والثاني مسيرهم إلى بدر والثالث قتالهم لرسول الله صلى الله عليه و سلم
قوله تعالى فلما تراءت الفئتان أي صارتا بحيث رأت إحداهما الأخرى

(٣٦٦/٣)

وفي المراد بالفئتين قولان
أحدهما فئة المسلمين وفئة المشركين وهو قول الجمهور
والثاني فئة المسلمين وفئة الملائكة ذكره الماوردي
قوله تعالى نكص على عقبيه قال أبو عبيدة رجع من حيث جاء وقال ابن قتيبة رجع القهقري قال ابن السائب كان إبليس في صف المشركين على صورة سراقة آخذا بيد الحارث بن هشام فرأى الملائكة فنكص على عقبيه فقال له الحارث أفرارا من غير قتال فقال إني أرى مالا ترون فلما هزم المشركون

قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم قال قتادة صدق عدة الله في قوله إني أرى مالا ترون ذكر لنا أنه رأى جبريل ومعه الملائكة فعلم أنه لا يد له بالملائكة وكذب عدو الله في قوله إني أخاف الله الله ما به مخافة الله ولكن علم أنه لا قوة له بهم وقال عطاء معناه إني أخاف الله أن يهلكني وقال ابن الانباري لما رأى نزول الملائكة خاف أن تكون القيامة فيكون انتهاء إنظاره فيقع به العذاب ومعنى نكص رجع هاربا بخزي وذل واختلفوا في قوله والله شديد العقاب هل هو ابتداء كلام أو تمام الحكاية عن إبليس على قولين

إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم قوله تعالى إذ يقول المنافقون قال ابن عباس هم قوم من أهل المدينة من الأوس والخزرج فأما الذين في قلوبهم مرض ففيهم ثلاثة اقوال

أحدها أنهم قوم كانوا قد تكلموا بالإسلام بمكة فأخرجهم المشركون

(٣٦٧/٣)

معهم يوم بدر كرها فلما رأوا قلة المسلمين وكثرة المشركين ارتابوا ونافقوا وقالوا غر هؤلاء دينهم قاله أبو صالح عن ابن عباس وإليه ذهب الشعبي في آخرين وعدهم مقاتل فقال كانوا سبعة قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحارث بن زمعة وعلي بن أمية بن خلف والعاص بن منية بن الحجاج والوليد بن الوليد بن المغيرة والوليد بن عتبة ابن ربيعة

والثاني أنهم المشركون لما رأوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن

والثالث أنهم قوم مرتابون لم يظهروا عداوة النبي صلى الله عليه و سلم ذكره الماوردي والمرض هاهنا الشك والإشارة بقوله هؤلاء إلى المسلمين وإنما قالوا هذا لأنهم رأوا قلة المسلمين فلم يشكوا في أن قريشا تغلبهم

ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق

قوله تعالى ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة قرأ الجمهور يتوفى بالياء وقرأ ابن عامر تتوفى بتاءين

قال المفسرون نزلت في الرهط الذين قالوا غر هؤلاء دينهم وفي المراد بالملائكة ثلاثة أقوال

أحدها ملك الموت وحده قاله مقاتل والثاني ملائكة العذاب قاله أبو سليمان الدمشقي والثالث الملائكة الذين قاتلوا يوم بدر ذكره الماوردي

وفي قوله يضربون وجوههم وأدبارهم أربعة أقوال

أحدها يضربون وجوههم ببدر لما قاتلوا وأدبارهم لما انهزموا

(٣٦٨/٣)

والثاني أنهم جاؤوهم من بين أيديهم ومن خلفهم فالذين أمامهم ضربوا وجوههم والذين وراءهم ضربوا أدبارهم

والثالث يضربون وجوههم يوم القيامة إذا لقوهم وأدبارهم إذا ساقوهم إلى النار

والرابع أنهم يضربون وجوههم وأدبارهم عند الموت بسياط من نار وهل المراد نفس الوجوه والأدبار أم المراد ما أقبل من أبدانهم وأدبر فيه قولان

وفي قوله وذوقوا عذاب الحريق قولان

أحدهما أنه في الدنيا وفيه إضمار يقولون فالمعنى يضربون ويقولون كقوله وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا أي ويقولان قال النابغة ... كأنك من جمال بني أقيش ... يقعقع خلف رجليه بشن ...

والمعنى كأنك جمل من جمال لبني أقيش هذا قول الفراء وأبي عبيدة

والثاني أن الضرب لهم في الدنيا فاذا وردوا يوم القيامة إلى النار قال خزنتها ذوقوا عذاب الحريق هذا قول مقاتل

(٣٦٩/٣)

ذلك بما قدمت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد

قوله تعالى ذلك بما قدمت أيديكم أي بما كسبتم من قبائح أعمالكم وأن الله ليس بظلام للعبيد لا يظلم عباده بعقوبتهم على الكفر وإن كان كفرهم بقضائه لأنه مالك فله التصرف في ملكه كما يشاء فيستحيل نسبة الظلم إليه

كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب

قوله تعالى كدأب آل فرعون أي كعادتهم والمعنى كذب هؤلاء كما كذب أولئك فنزل بهم العذاب كما نزل بأولئك قال ابن عباس أيقن آل فرعون أن موسى نبي الله فكذبوه فكذلك هؤلاء في حق محمد صلى الله عليه و سلم

ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم

قوله تعالى ذلك بأن الله أي ذلك الأخذ والعقاب بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا بالكفران وترك الشكر قال مقاتل والمراد بالقوم هاهنا أهل مكة أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ثم بعث فيهم محمدا صلى الله عليه و سلم فلم يعرفوا المنعم عليهم فغير الله ما بهم وقال السدي كذبوا

بمحمد فنقله الله إلى الأنصار قال أبو سليمان الخطابي والقوي يكون بمعنى القادر فمن قوي على شيء فقد قدر عليه وقد يكون معناه التام القوة

(٣٧٠/٣)

الذي لا يستولي عليه العجز في حال والمخلوق وإن وصف بالقوة فقوته متناهية وعن بعض الأمور قاصرة

كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين

قوله تعالى كدأب آل فرعون والذين من قبلهم أي كذب أهل مكة بمحمد والقرآن كما كذب آل فرعون بموسى والتوراة وكذب من قبلهم بأنبيائهم قال مكي بن أبي طالب الكاف من كدأب في موضع نصب نعت لمحذوف تقديره غيرنا بهم لما غيروا تغييرا مثل عادتنا في آل فرعون ومثلها الآية الأولى إلا أن الأولى للعادة في العذاب تقديره فعلنا بهم ذلك فعلا مثل عادتنا في آل فرعون

قوله تعالى فأهلكناهم يعني الأمم المتقدمة بعضهم بالرجفة وبعضهم بالريح فكذلك أهلكنا كفار مكة ببدر وقال بعضهم يعني بقوله فأهلكناهم الذين أهلكوا ببدر

إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون

قوله تعالى إن شر الدواب عند الله الذين كفروا قال أبو صالح عن ابن عباس نزلت في بني قريظة من اليهود منهم كعب بن الأشرف وأصحابه

الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون

قوله تعالى الذين عاهدت منهم في من أربعة أقوال

أحدها أنها صلة والمعنى الذين عاهدتم

(٣٧١/٣)

الثاني أنها للتبعيض فالمعنى إن شر الدواب الكفار وشرهم الذين عاهدت ونقضوا

والثالث أنها بمعنى مع والمعنى عاهدت معهم

والرابع أنها دخلت لأن العهد أخذ منهم

قوله تعالى ثم ينقضون عهدهم في كل مرة أي كلما عاهدتهم نقضوا

وفي قوله وهم لا يتقون قولان

أحدهما لا يتقون نقض العهد والثاني لا يتقون الله في نقض العهد
قال المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قد عاهد يهود قريظة أن لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه فنقضوا العهد وأعانوا عليه مشركي مكة بالسلاح ثم قالوا نسينا وأخطأنا ثم عاهدوه الثانية فنقضوا ومالؤوا الكفار يوم الخندق وكتب كعب ابن الأشرف إلى مكة يوافقهم على مخالفة رسول الله صلى الله عليه و سلم
فأما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يتذكرون
قوله تعالى فاما تثقفنهم قال أبو عبيدة مجازه فان تثقفنهم فعلى قوله تكون ما زائدة وقد سبق بيان فاما في البقرة قال ابن قتيبة فمعنى تثقفنهم تظفر بهم فشرد بهم من خلفهم أي افعل بهم فعلا من العقوبة والتنكيل يتفرق به من وراءهم من أعدائك قال ويقال شرد بهم أي سمع بهم بلغة قريش قال الشاعر ... أطوف في الأباطح كل يوم ... مخافة أن يشرد بي حكيم

(٣٧٢/٣)

وقال ابن عباس نكل بهم تنكيلا يشرد غيرهم من ناقضي العهد لعلهم يذكرون النكال فلا ينقضون العهد
وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين
قوله تعالى وإما تخافن من قوم خيانة قال المفسرون الخوف هاهنا بمعنى العلم والمعنى إن علمت من قوم قد عاهدتهم خيانة وهي نقض عهد وقال مجاهد نزلت في بني قريظة
وفي قوله فانبذ إليهم على سواء أربعة أقوال
أحدها فألق إليهم نقضك العهد لتكون وإياهم في العلم بالنقض سواء هذا قول الأكثرين واختاره الفراء وابن قتيبة وأبو عبيدة
والثاني فانبذ إليهم جهرا غير سر ذكره الفراء أيضا في آخرين
والثالث فانبذ إليهم على مهل قاله الوليد بن مسلم
والرابع فانبذ إليهم على عدل من غير حيف وأنشدوا ... فاضرب وجوه الغدر الأعداء ... حتى يجيبوك إلى السواء ...
ذكره أبو سليمان الدمشقي
ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون
قوله تعالى ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي وأبو بكر عن عاصم ولا تحسبن بالتاء وكسر السين إلا أن عاصما فتح السين وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم بالياء وفتح السين وفي الكافرين هاهنا قولان

أحدهما جميع الكفار قاله أبو صالح عن ابن عباس
والثاني أنهم الذين انهزموا يوم بدر ذكره محمد بن القاسم النحوي وغيره وسبقوا بمعنى فاتوا قال ابن الانباري وذلك أنهم أشفقوا من هلكة تنزل بهم في بعض الأوقات فلما سلموا منها قيل لا تحسبن أنهم فاتوا بسلامتهم الآن فانهم لا يعجزونا أي لا يفوتونا فيما يستقبلون من الأوقات
قوله تعالى إنهم لا يعجزون قرأ الجمهور بكسر الألف وقرأ ابن عامر بفتحها وعلى قراءته اعتراض لقائل أن يقول إذا كان قد قرأ يحسبن بالياء وقرأ أنهم بالفتح فقد أقرهم على أنهم لا يعجزون ومتى علموا أنهم لا يعجزون لم يلاموا فقد أجاب عنه ابن الانباري فقال المعنى لا يحسبن الذين كفروا سبقوا لا يحسبن أنهم يعجزون ولا زائدة مؤكدة وقال أبو علي المعنى لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سبقوا وآباءهم سبقوا لأنهم لا يفوتون فهم يجزون على كفرهم
وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل يوف إليكم وأنتم لا تظلمون
قوله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة في المراد بالقوة أربعة اقوال
أحدها أنها الرمي رواه عقبة بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم وقال

الحكم بن أبان هي النبل والثاني ذكور الخيل قاله عكرمة والثالث السلاح قاله السدي وابن قتيبة والرابع أنه كل ما يتقوى به على حرب العدو من آلة الجهاد
قوله تعالى ومن رباط الخيل يعني ربطها واقتناءها للغزو وهو عام في الذكور والإناث في قول الجمهور وكان عكرمة يقول المراد بقوله ومن رباط الخيل إناثها
قوله تعالى ترهبون به روى رويس وعبد الوارث ترهبون بفتح الراء وتشديد الهاء أي تخيفون وترعبون به عدو الله وعدوكم وهم مشركو مكة وكفار العرب
قوله تعالى وآخرين من دونهم أي من دون كفار العرب واختلفوا فيهم على خمسة أقوال
أحدها أنهم الجن روي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال هم الجن وإن الشيطان لا يخبل أحدا في داره فرس عتيق والثاني أنهم بنو قريظة قاله مجاهد والثالث أهل فارس قاله السدي والرابع المنافقون قاله ابن زيد والخامس اليهود قاله مقاتل
وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم

(٣٧٥/٣)

قوله تعالى وإن جنحوا للسلم قرأ أبو بكر عن عاصم للسلم بكسر السين قال الزجاج السلم الصلح والمسالمة يقال سلم وسلم وسلم في معنى واحد أي إن مالوا إلى الصلح فمل إليه قال الفراء إن شئت جعلت لها كناية عن السلم لأنها تؤنث وإن شئت جعلتها للفعلة كقوله إن ربك من بعدها لغفور رحيم فان قيل لم قال لها ولم يقل إليها

فالجواب أن اللام وإلى تنوب كل واحدة منهما عن الأخرى وفيمن أريد بهذه الآية قولان

أحدهما المشركون وأنها نسخت بآية السيف والثاني أهل الكتاب

فان قيل إنها نزلت في ترك حربهم إذ بذلوا الجزية وقاموا بشرط الذمة فهي محكمة

وإن قيل نزلت في موادعتهم على غير جزية توجه النسخ لها بآية الجزية

وإن يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو انفقت ما في الأرض ما جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم

قوله تعالى وإن يريدوا قال مقاتل يعني يهود قريظة أن يخدعوك بالصلح لتكف عنهم حتى إذا جاء مشركو العرب أعانوهم عليك فان حسبك الله قال الزجاج فان الذي يتولى كفايتك الله هو الذي أيدك أي قواك وقال مقاتل قواك بنصره وبالمؤمنين من الأنصار يوم بدر

(٣٧٦/٣)

قوله تعالى وألف بين قلوبهم يعني الأوس والخزرج وهم الأنصار كانت بينهم عداوة في الجاهلية فألف الله بينهم بالإسلام وهذا من أعجب الآيات لأنهم كانوا ذوي أنفة شديدة فلو أن رجلا لطم رجلا لقاتلت عنه قبيلته حتى تدرك ثأره فآل بهم الإسلام إلى أن يقتل الرجل ابنه وأباه

يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين

قوله تعالى حسبك الله ومن اتبعك فيه قولان

أحدهما حسبك الله وحسب من اتبعك هذا قول أبي صالح عن ابن عباس وبه قال ابن زيد ومقاتل والأكثرون

والثاني حسبك الله ومتبعوك قاله مجاهد وعن الشعبي كالقولين

وأجاز الفراء والزجاج الوجهين وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أسلم مع رسول الله صلى الله عليه و سلم تسعة وثلاثون ثم أسلم عمر فصاروا أربعين فنزلت هذه الآية قال أبو سليمان الدمشقي هذا لا يحفظ والسورة مدنية باجماع والقول الأول أصح

يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين
قوله تعالى حرض المؤمنين على القتال قال الزجاج تأويله حثهم

(٣٧٧/٣)

وتأويل التحريض في اللغة أن يحث الإنسان على الشيء حثا يعلم معه أنه حارض إن تخلف عنه والحارض الذي قد قارب الهلاك
قوله تعالى إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين لفظ هذا الكلام لفظ الخبر ومعناه الأمر والمراد يقاتلوا مائتين وكان هذا فرضا في أول الأمر ثم نسخ بقوله لان خفف الله عنكم ففرض على الرجل أن يثبت لرجلين فان زادوا جاز له الفرار قال مجاهد وهذا التشديد كان في يوم بدر واتفق القراء على قوله إن يكن منكم فقرؤوا يكن بالياء واختلفوا في قوله وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا وفي قوله فان تكن منكم مائة صابرة فقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر بالتاء فيهما وقرأهما عاصم وحمزة والكسائي بالياء وقرأ أبو عمرو يكن منكم مائة يغلبوا بالياء فان تكن منكم مائة صابرة بالتاء قال الزجاج من أنث فللفظ المائة ومن ذكر فلأن المائة وقعت على عدد مذكر وقال أبو علي من قرأ بالياء فلأنه أريد منه المذكر بدليل قوله يغلبوا وكذلك المائة الصابرة هم رجال فقرؤوها بالياء لموضع التذكير فأما أبو عمرو فانه لما رأى صفة المائة مؤنثة بقوله صابرة أنث الفعل ولما رأى يغلبوا مذكرا ذكر ومعنى الكلام إن يكن منكم عشرون صابرون يثبتون عند اللقاء يغلبوا مائتين لأن المؤمنين يحتسبون أفعالهم وأهل الشرك يقاتلون على غير احتساب ولا طلب ثواب فاذا صدقهم المؤمنون القتال لم يثبتوا وذلك معنى قوله لا يفقهون قوله تعالى وعلم وروى المفضل وعلم بضم العين أن فيكم ضعفا بضم الضاد وقرأ عاصم وحمزة بفتح الضاد وكذلك خلافهم في الروم قال الفراء الضم لغة قريش والفتح لغة تميم قال الزجاج والمعنى في القراءتين

(٣٧٨/٣)

واحد يقال هو الضعف والضعف والمكث والمكث والفقر والفقر وفي اللغة كثير من باب فعل وفعل والمعنى واحد وقرأ أبو جعفر وعلم أن فيكم ضعفاء على فعلاء فأما قوله باذن الله فهو إعلام بأن الغلبة لا تقع إلا بارادته

ما كان لنبي أن يكون له اسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم

قوله تعالى ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الأرض روى مسلم في افراده من حديث عمر بن الخطاب قال لما هزم الله المشركين يوم بدر وقتل منهم سبعون واسر منهم سبعون استشار النبي صلى الله عليه و سلم أبا بكر وعمر وعليا فقال أبو بكر يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا فقال رسول الله ما ترى ياابن الخطاب قلت والله ما أرى ما رأى أبو بكر ولكن أرى أن تمكنني من فلان قريب لعمر فأضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من أخيه فلان فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم فهوى رسول الله ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد غدوت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فاذا هو قاعد وأبو بكر الصديق وهما يبكيان فقلت يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت فقال النبي صلى الله عليه و سلم أبكي للذي عرض علي أصحابك من الفداء لقد عرض علي عذابكم

(٣٧٩/٣)

أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة فأنزل الله ما كان لنبي أن يكون له أسرى إلى قوله عظيم

وروي عن ابن عمر قال لما أشار عمر بقتلهم وفاداهم رسول الله صلى الله عليه و سلم أنزل الله تعالى ما كان لنبي إلى قوله حلالا طيبا فلقي النبي صلى الله عليه و سلم عمر فقال كاد يصيبنا في خلافك بلاء فأما الأسرى فهو جمع أسير وقد ذكرناه في البقرة والجمهور قرؤوا أن يكون بالياء لأن الاسراء مذكرون وقرأ أبو عمرو أن تكون قال أبو علي أنث على لفظ الاسرى لأن الاسرى وإن كان المراد به التذكير والرجال فهو مؤنث اللفظ والأكثرون قرؤوا أسرى وكذلك لمن في أيديكم من الأسرى وقرأ أبو جعفر والمفضل أسارى في الموضعين ووافقهما أبو عمرو وأبان في الثاني قال الزجاج والإثخان في كل شيء قوة الشيء وشدته يقال قد أثخنه المرض إذا اشتدت قوته عليه والمعنى حتى يبالغ في قتل أعدائه ويجوز أن يكون المعنى حتى يتمكن في الأرض قال المفسرون معنى الآية ما كان لنبي أن يحبس كافرا قدر عليه للفداء أو المن قبل الإثخان في الارض وكانت غزاة

(٣٨٠/٣)

بدر أول قتال قاتله رسول الله صلى الله عليه و سلم ولم يكن قد أثخن في الأرض بعد
تريدون عرض الدنيا وهو المال وكان أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم قد فادوا يومئذ بأربعة آلاف أربعة آلاف وفي قوله والله يريد الآخرة قولان
أحدهما يريد لكم الجنة قاله ابن عباس
والثاني يريد العمل بما يوجب ثواب الآخرة ذكره الماوردي
فصل
وقد روي عن ابن عباس و مجاهد في آ خرين أن هذه الآية منسوخة بقوله فاما منا ب فداء وليس للنسخ وجه لأن غزاة بدر كانت وفي المسلمين قلة فلما كثروا واشتد سلطانهم نزلت الآية الأخرى ويبين هذا قوله حتى يثخن في الأرض
لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم
قوله تعالى لولا كتاب من الله سبق في معناه خمسة أقوال
أحدها لولا أن الله كتب في أم الكتاب أنه سيحل لكم الغنائم لمسكم فيما تعجلتم من المغانم والفداء يوم بدر قبل أن تؤمروا بذلك عذاب عظيم روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال مقاتل وقال أبو هريرة تعجل ناس من المسلمين فأصابوا الغنائم فنزلت الآية
والثاني لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب من أتى ذنبا على جهالة

لعوقبتم روى هذا المعنى عطاء عن ابن عباس وابن جريج عن مجاهد وقال ابن اسحاق سبق أن لا أعذب إلا بعد النهي ولم يكن نهاهم
والثالث لولا ما سبق لأهل بدر أن الله لا يعذبهم لعذبتم قاله الحسن وابن جبير وابن أبي نجيح عن مجاهد
والرابع لولا كتاب من الله سبق من أنه يغفر لمن عمل الخطايا ثم علم ما عليه فتاب ذكره الزجاج
والخامس لولا القرآن الذي اقتضى غفران الصغائر لعذبتم ذكره الماوردي فيخرج في الكتاب قولان
أحدهما أنه كتاب مكتوب حقيقة ثم فيه قولان أحدهما أنه ما كتبه الله في اللوح والمحفوظ والثاني أنه القرآن
والثاني أنه بمعنى القضاء
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله إن الله غفور رحيم يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم

قوله تعالى فكلوا مما غنمتم قال الزجاج الفاء للجزاء والمعنى قد أحللت لكم الفداء فكلوا والحلال منصوب على الحال قال مقاتل إن الله غفور لما أخذتم من الغنيمة قبل حلها رحيم بكم إذ أحلها لكم فجعل رسول الله صلى الله عليه و سلم عمر بن الخطاب وخباب بن الأرت يوم بدر على القبض وقسمها

(٣٨٢/٣)

النبي صلى الله عليه و سلم بالمدينة وانطلق بالأسارى فيهم العباس وعقيل ونوفل بن الحارث ابن عبد المطلب وكان مع العباس يومئذ عشرون أوقية من ذهب فلم تحسب له من فدائه وكلف أن يفدي ابني أخيه فأدى عنهما ثمانين أوقية من ذهب وقال النبي صلى الله عليه و سلم أضعفوا على العباس الفداء فأخذوا منه ثمانين أوقية وكان فداء كل أسير أربعين أوقية فقال العباس لرسول الله صلى الله عليه و سلم لقد تركتني ما حييت أسأل قريشا بكفي فقال له أين الذهب الذي تركته عند أم الفضل فقال أي الذهب فقال إنك قلت لها إني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولولدك فقال ابن أخي من أخبرك فقال الله أخبرني فقال العباس أشهد أنك صادق وما علمت أنك رسول الله قبل اليوم وأمر ابني أخيه فأسلما وفيهم نزلت قل لمن في أيديكم من الأسارى الآية وروى العوفي عن ابن عباس أنها نزلت في جميع من اسر يوم بدر وقال ابن زيد لما بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم أتاه رجال فقالوا لولا أنا نخاف هؤلاء القوم لأسلمنا ولكنا نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فلما كان يوم بدر قال المشركون لا يتخلف عنا أحد إلا هدمنا داره واستحللنا ماله فخرج أولئك القوم فقتلت طائفة منهم واسرت طائفة فأما الذين قتلوا فهم الذين قال الله فيهم الذين تتوفاهم الملائكة ظالمين أنفسهم وأما الذين أسروا فقالوا يا رسول الله أنت تعلم أنا كنا نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وإنما خرجنا مع هؤلاء خوفا منهم فذلك قوله قل لمن في أيديكم من الأسارى إلى قوله عليم حكيم فأما قوله إن يعلم الله في قلوبكم خيرا فمعناه إسلاما وصدقا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من الفداء وفيه قولان

(٣٨٣/٣)

أحدهما أكثر مما أخذ منكم والثاني أحل وأطيب وقرأ الحسن ومجاهد وقتادة وابن أبي عبلة مما أخذ منكم بفتح الخاء يشيرون إلى الله تعالى وفي قوله ويغفر لكم قولان
أحدهما يغفر لكم كفركم وقتالكم رسول الله قاله الزجاج

والثاني يغفر لكم خروجكم مع المشركين قاله ابن زيد في تمام كلامه الأول
وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم
قوله تعالى وإن يريدوا خيانتك يعني إن أراد الأسراء خيانتك بالكفر بعد الإسلام فقد خانوا الله من قبل إذ كفروا به قبل أسرهم وقال ابن زيد فقد خانوا بخروجهم مع المشركين وقد ذكرنا عنه أنها نزلت في قوم تكلموا بالإسلام وقال مقاتل المعنى إن خانوك أمكنتك منهم فقتلتهم وأسرتهم كما أمكنتك ببدر قال الزجاج والله عليم بخيانة إن خانوها حكيم في تدبيره عليهم ومجازاته إياهم
إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير
قوله تعالى إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله يعني المهاجرين الذين هجروا ديارهم وأموالهم وقومهم في نصرة الدين

(٣٨٤/٣)

والذين آووا ونصروا يعني الأنصار آووا رسول الله وأسكنوا المهاجرين ديارهم ونصروهم على أعدائهم اولئك بعضهم أولياء بعض فيه قولان
أحدهما في النصرة والثاني في الميراث
قال المفسرون كانوا يتوارثون بالهجرة وكان المؤمن الذي لم يهاجر لا يرث قريبه المهاجر وهو معنى قوله مالكم من ولايتهم من شيء قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر وعاصم والكسائي ولايتهم بفتح الواو وقرأ حمزة بكسر الواو قال الزجاج المعنى ليس بينكم وبينهم ميراث حتى يهاجروا ومن كسر واو الولاية فهي بمنزلة الإمارة وإذا فتحت فهي من النصرة وقال يونس النحوي الولاية بالفتح لله عز و جل والولاية بالكسر من وليت الأمر وقال أبو عبيدة الولاية بالفتح للخالق والولاية للمخلوق قال ابن الانباري الولاية بالفتح مصدر الولي والولاية مصدر الوالي يقال ولي بين الولاية ووال بين الولاية فهذا هو الاختيار ثم يصلح في ذا ما يصلح في ذا وقال ابن فارس الولاية بالفتح النصرة وقد تكسر والولاية بالكسر السلطان
فصل
وذهب قوم إلى أن المراد بهذه الولاية موالاة النصر والمودة قالوا ونسخ هذا الحكم بقوله والمؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض فأما القائلون بأنها ولاية الميراث فقالوا نسخت بقوله وأولو الأحام بعضهم أولى ببعض

قوله تعالى وإن استنصروكم في الدين أي إن استنصركم المؤمنون الذين لم يهاجروا فانصروهم إلا أن يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم عهد فلا تغدروا بأرباب العهد وقال بعضهم لم يكن على المهاجر أن ينصر من لم يهاجر إلا أن يستنصره

والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم

قوله تعالى والذين كفروا بعضهم أولياء بعض فيه قولان

أحدهما في الميراث قاله ابن عباس

والثاني في النصرة قاله قتادة

وفي قوله إلا تفعلوه قولان

أحدهما أنه يرجع إلى الميراث فالمعنى إلا تأخذوا في الميراث بما أمرتكم قاله ابن عباس

والثاني أنه يرجع إلى التناصر فالمعنى إلا تتعانوا وتتناصروا في الدين قاله ابن جريج وبيانه أنه إذا لم يتول المؤمن المؤمن توليا حقا ويتبرأ من الكافر جدا أدى ذلك إلى الضلال والفساد في الدين فاذا هجر المسلم أقاربه الكفار ونصر المسلمين كان ذلك أدعى لأقاربه الكفار إلى الإسلام وترك الشرك

قوله تعالى وفساد كبير قرأ أبو هريرة وابن سيرين وابن السميفع كثير بالثاء

قوله تعالى أولئك هم المؤمنون حقا أي هم الذين حققوا إيمانهم بما يقتضيه من الهجرة والنصرة بخلاف من أقام بدار الشرك والرزق الكريم هو الحسن وذلك في الجنة

والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم

قوله تعالى والذين آمنوا من بعد أي من بعد المهاجرين الأولين قال ابن عباس هم الذين هاجروا بعد الحديبية

قوله تعالى وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض أي في المواريث بالهجرة قال ابن عباس آخى رسول النبي الله صلى الله عليه و سلم بين أصحابه وكانوا يتوارثون بذلك الإخاء حتى نزلت هذه الآية فتوارثوا بالنسب

قوله تعالى في كتاب الله فيه ثلاثة أقوال

أحدها أنه اللوح المحفوظ
والثاني أنه القرآن وقد بين لهم قسمة الميراث في سورة النساء
والثالث أنه حكم الله ذكره الزجاج

(٣٨٧/٣)

سورة التوبة
براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين
فصل في نزولها
هي مدنية باجماعهم سوى الآيتين في آخرها لقد جاءكم رسول من أنفسكم فانها نزلت بمكة روى البخاري في صحيحه من حديث البراء قال آخر سورة نزلت براءة وقد نقل عن بعض العرب أنه سمع قارئا يقرأ هذه السورة فقال الأعرابي إني لأحسب هذه من آخر ما نزل من القرآن قيل له ومن أين علمت فقال إني لأسمع عهودا تنبذ ووصايا تنفذ
فصل
واختلفوا في أول ما نزل من براءة على ثلاثة اقوال
أحدها أن أول ما نزل منها قوله لقد نصركم الله في مواطن كثيرة قاله مجاهد

(٣٨٨/٣)

والثاني انفروا خفافا وثقالا قاله أبو الضحى وأبو مالك
والثالث إلا تنصروه قاله مقاتل وهذا الخلاف إنما هو في أول ما نزل منها بالمدينة فانهم قد قالوا نزلت الآيتان اللتان في آخرها بمكة
فصل
ولها تسعة أسماء أحدها سورة التوبة والثاني براءة وهذان مشهوران بين الناس والثالث سورة العذاب قاله حذيفة والرابع المقشقشة قاله ابن عمر والخامس سورة البحوث لأنها بحثت عن سرائر المنافقين قاله المقداد بن الأسود والسادس الفاضحة لأنها فضحت المنافقين قاله ابن عباس والسابع المبعثرة لأنها بعثرت أخبار الناس وكشفت عن سرائرهم قاله الحاث بن يزيد وابن إسحاق والثامن المثيرة لأنها أثارت مخازي المنافقين ومثالبهم قاله قتادة والتاسع الحافرة لأنها حفرت عن قلوب المنافقين قاله الزجاج
فصل

وفي سبب امتناعهم من كتابة التسمية في أولها ثلاثة أقوال
أحدها رواه ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما بسم الله الرحمن الرحيم فقال كان رسول الله صلى الله عليه و سلم

(٣٨٩/٣)

إذا أنزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب فيقول ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وبراءة من آخر القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصتها وقبض رسول الله صلى الله عليه و سلم ولم يبين لنا أنها منها فظننا أنها منها فمن ثم قرنت بينهما ولم أكتب بينهما بسم الله الرحمن الرحيم وذكر نحو هذا المعنى عن أبي بن كعب قال الزجاج والشبه الذي بينهما أن في الأنفال ذكر العهود وفي براءة نقضها وكان قتادة يقول هما سورة واحدة
والثاني رواه محمد بن الحنفية قال قلت لأبي لم لم تكتبوا في براءة بسم الله الرحمن الرحيم فقال يا بني إن براءة نزلت بالسيف وإن بسم الله الرحمن الرحيم أمان وسئل سفيان بن عيينة عن هذا فقال لأن التسمية رحمة والرحمة أمان وهذه السورة نزلت في المنافقين
والثالث أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما كتب في صلح الحديبية بسم الله الرحمن الرحيم لم يقبلوها وردوها فما ردها الله عليهم قاله عبد العزيز بن يحيى المكي
فصل
فأما سبب نزولها فقال المفسرون أخذت العرب تنقض عهودا بنتها مع

(٣٩٠/٣)

رسول الله صلى الله عليه و سلم فأمره الله تعالى بالقاء عهودهم إليهم فأنزل براءة في سنة تسع فبعث رسول الله أبا بكر أميرا على الموسم ليقيم للناس الحج في تلك السنة وبعث معه صدرا من براءة ليقرأها على أهل الموسم فلما سار دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم عليا فقال اخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن في الناس بذلك فخرج علي على ناقة رسول الله صلى الله عليه و سلم العضباء حتى أدرك أبا بكر فرجع أبو بكر فقال يا رسول الله أنزل في شأني شيء قال لا ولكن لا يبلغ عني إلا رجل مني أما ترضى أنك كنت صاحبي في الغار وأنك صاحبي على الحوض قال بلى يا رسول الله فسار أبو بكر أميرا على الحج وسار علي ليؤذن ب براءة

فصل

وفي عدد الآيات التي بعثها رسول الله صلى الله عليه و سلم من أول براءة خمسة أقوال أحدها أربعون آية قاله علي عليه السلام والثاني ثلاثون آية قاله أبو هريرة والثالث عشر آيات قاله أبو صالح عن ابن عباس والرابع سبع آيات رواه ابن جريج عن عطاء والخامس تسع آيات قاله مقاتل

فصل

فان توهم متوهم أن في أخذ براءة من أبي بكر وتسليمها إلى علي تفضيلا لعلي على أبي بكر فقد جهل لأن النبي صلى الله عليه و سلم أجرى العرب في ذلك على عادتهم قال الزجاج وقد جرت عادة العرب في عقد عهدها ونقضها أن

يتولى ذلك على القبيلة رجل منها وجائز أن تقول العرب إذا تلا عليها نقض العهد من ليس من رهط النبي صلى الله عليه و سلم هذا خلاف ما نعراف فينا في نقض العهود فأزاح النبي صلى الله عليه و سلم العلة بما فعل وقال عمرو بن بحر ليس هذا بتفضيل لعلي على أبي بكر وإنما عاملهم بعادتهم المتعارفة في حل العقد وكان لا يتولى ذلك إلا السيد منهم أو رجل من رهطه دنيا كأخ أو عم وقد كان أبو بكر في تلك الحجة الإمام وعلي ياتم به وأبو بكر الخطيب وعلي يسمع وقال أبو هريرة بعثني أبو بكر في تلك الحجة مع المؤذنين الذين بعثهم يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فأذن معنا علي ب براءة وبذلك الكلام وقال الشعبي بعث رسول الله عليا يؤذن بأربع كلمات ألا لا يحج بعد العام مشرك ألا ولا يطوف بالبيت عريان ألا ولا يدخل الجنة إلا مسلم ألا ومن كانت بينه وبين محمد مدة فأجله إلى مدته والله بريء من المشركين ورسوله

فصل

فأما التفسير فقوله تعالى براءة قال الفراء هي مرفوعة باضمار هذه ومثله سورة أنزلناها وقال الزجاج يقال برئت من الرجل والدين براءة وبرئت من المرض وبرأت أيضا أبرأ برءا وقد رووا برأت أبرؤ بروءا ولم نجد في مالامه همزة فعلت أفعل إلا هذا الحرف ويقال بريت القلم وكل شيء نحته أبريه بريا غير مهموز وقرأ أبو رجاء ومورق وابن يعمر براءة بالنصب قال المفسرون والبراءة هاهنا قطع الموالاة

وارتفاع العصمة وزوال الأمان والخطاب في قوله إلى الذين عاهدتم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم والمراد رسول الله صلى الله عليه و سلم لأنه هو الذي كان يتولى المعاهدة وأصحابه راضون فكأنهم بالرضا عاهدوا أيضا وهذا عام في كل من عاهد رسول الله صلى الله عليه و سلم وقال مقاتل هم ثلاثة أحياء من العرب خزاعة وبنو مدلج وبنو خزيمة

فسيحوا في الأرض أربعة اشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين

قوله تعالى فسيحوا في الأرض أي انطلقوا فيها آمنين لا يقع بكم منا مكروه

إن قال قائل هذه مخاطبة شاهد والآية الأولى إخبار عن غائب فعنه جوابان

أحدهما أنه جائز عند العرب الرجوع من الغيبة إلى الخطاب قال عنترة ... شطت مزار العاشقين فأصبحت ... عسرا علي طلابك ابنة مخرم ...

هذا قول أبي عبيدة

والثاني أن في الكلام إضمارا تقديره فقل لهم سيحوا في الارض أي اذهبوا فيها وأقبلوا وأدبروا وهذا قول الزجاج

واختلفوا فيمن جعلت له هذه الأربعة الأشهر على أربعة أقوال

(٣٩٣/٣)

أحدها أنها أمان لأصحاب العهد فمن كان عهده أكثر منها حط إليها ومن كان عهده أقل منها رفع إليها ومن لم يكن له عهد فأجله انسلاخ المحرم خمسون ليلة قاله ابن عباس وقتادة والضحاك

والثاني أنها للمشركين كافة من له عهد ومن ليس له عهد قاله مجاهد والزهري والقرظي

والثالث أنها أجل لمن كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قد آمنه أقل من أربعة أشهر أو كان أمانه غير محدود فأما من لا أمان له فهو حرب قاله ابن اسحاق

والرابع أنها أمان لمن لم يكن له أمان ولا عهد فأما أرباب العهود فهم على عهودهم إلى حين انقضاء مددهم قاله ابن السائب ويؤكده ما روي أن عليا نادى يومئذ ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده إلى مدته وفي بعض الألفاظ فأجله أربعة أشهر واختلفوا في مدة هذه الأربعة الأشهر على أربعة أقوال

أحدها أنها الأشهر الحرم رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم قاله ابن عباس

والثاني أن أولها يوم الحج الأكبر وهو يوم النحر وآخرها العاشر من ربيع الآخر قاله مجاهد والسدي والقرظي

والثالث أنها شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لأن هذه الآية نزلت في شوال قاله الزهري قال أبو سليمان الدمشقي وهذا أضعف الأقوال لأنه لو كان كذلك لم يجز تأخير إعلامهم به إلى ذي الحجة إذ

كان لا يلزمهم الأمر إلا بعد الإعلام
والرابع أن أولها العاشر من ذي القعدة وآخرها العاشر من ربيع الأول لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك اليوم ثم صار في السنة الثانية في العشر

(٣/٣٩٤)

من ذي الحجة وفيها حج رسول الله صلى الله عليه و سلم وقال إن الزمان قد استدار ذكره الماوردي
قوله تعالى واعلموا أنكم غير معجزي الله أي وإن أجلتم هذه الأربعة الأشهر فلن تفوتوا الله
قوله تعالى وأن الله مخزي الكافرين قال الزجاج الأجود فتح أن على معنى اعلموا أن ويجوز كسرها على الاستئناف وهذا ضمان من الله نصرة المؤمنين على الكافرين
وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم

(٣/٣٩٥)

قوله تعالى وأذان من الله ورسوله أي إعلام ومنه أذان الصلاة وقرأ الضحاك وأبو المتوكل وعكرمة والجحدري وابن يعمر وإذن بكسر الهمزة وقصرها ساكنة الذال من غير ألف
قوله تعالى إلى الناس أي للناس يقال هذا إعلام لك وإليك والناس هاهنا عام في المؤمنين والمشركين
وفي يوم الحج الأكبر ثلاثة أقوال
أحدها أنه يوم عرفة قاله عمر بن الخطاب وابن الزبير وأبو جحيفة وطاووس وعطاء
والثاني يوم النحر قاله أبو موسى الأشعري والمغيرة بن شعبة وعبد الله ابن أبي أوفى وابن المسيب وابن جبير وعكرمة والشعبي والنخعي والزهري وابن زيد والسدي في آخرين وعن علي وابن عباس كالقولين
والثالث أنه أيام الحج كلها فعبر عن الأيام باليوم قاله سفيان الثوري قال سفيان كما يقال يوم بعاث ويوم الجمل ويوم صفين يراد به أيام ذلك لا كل حرب من هذه الحروب دامت أياما وعن مجاهد كالأقوال الثلاثة
وفي تسميته بيوم الحج الأكبر ثلاثة أقوال
أحدها أنه سماه بذلك لأنه اتفق في سنة حج فيها المسلمون والمشركون ووافق ذلك عيد اليهود والنصارى قاله الحسن
والثاني أن الحج الأكبر هو الحج والأصغر هو العمرة قاله عطاء والشعبي

والثالث أن الحج الأكبر القران والأصغر الإفراد قاله مجاهد
قوله تعالى إن الله بريء وقرأ الحسن ومجاهد وابن يعمر إن الله بكسر الهمزة من المشركين أي من عهد المشركين فحذف المضاف

(٣٩٦/٣)

ورسوله رفع على الابتداء وخبره مضمر على معنى ورسوله أيضا بريء وقرأ أبو رزين وأبو مجلز وأبو رجاء ومجاهد وابن يعمر وزيد عن يعقوب ورسوله بالنصب ثم رجع إلى خطاب المشركين بقوله فان تبتم أي رجعتم عن الشرك وإن توليتم عن الإيمان
إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين
قوله تعالى إلا الذين عاهدتم من المشركين قال أبو صالح عن ابن عباس فلما قرأ علي براءة قالت بنو ضمرة ونحن مثلهم أيضا قال لا لأن الله تعالى قد استثناكم ثم قرأ هذه الآية وقال مجاهد هم قوم كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه و سلم عهد ومدة فأمر أن يفي لهم قال الزجاج معنى الكلام وقعت البراءة من المعاهدين الناقضين للعهود إلا الذين عاهدتم ثم لم ينقضوكم فليسوا داخلين في البراءة مالم ينقضوا العهد قال القاضي أبو يعلى وفصل الخطاب في هذا الباب أنه قد كان بين رسول الله صلى الله عليه و سلم وبين جميع المشركين عهد عام وهو أن لا يصد أحد عن البيت ولا يخاف أحد في الشهر الحرام فجعل الله عهدهم أربعة اشهر وكان بينه وبين أقوام منهم عهود إلى آجال مسماة فأمر بالوفاء لهم وإتمام مدتهم إذا لم يخش غدرهم
فإذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلواة وآتوا الزكواة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم

(٣٩٧/٣)

قوله تعالى فاذا انسلخ الأشهر الحرم فيها قولان
أحدهما أنها رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم قاله الأكثرون
والثاني أنها الأربعة الأشهر التي جعلت لهم فيها السياحة قاله الحسن في آخرين فعلى هذا سميت حرما لأن دماء المشركين حرمت فيها
قوله تعالى فاقتلوا المشركين أي من لم يكن له عهد حيث وجدتموهم قال ابن عباس في الحل والحرم

والأشهر الحرم
قوله تعالى وخذوهم أي ائسروهم والأخيذ الأسير واحصروهم أي احبسوهم والحصر الحبس قال ابن عباس إن تحصنوا فاحصروهم
قوله تعالى واقعدوا لهم كل مرصد قال الأخفش أي على كل مرصد فألقى على واعمل الفعل قال الشاعر ... نغالي اللحم للأضياف نيئا ... ونرخصه إذا نضج القدور ...
المعنى نغالي باللحم فحذف الباء كما حذف على وقال الزجاج كل مرصد ظرف كقولك ذهبت مذهبا فلست تحتاج أن تقول في هذه الآية إلا ما تقوله في الظروف مثل خلف وقدام
قوله تعالى فان تابوا أي من شركهم
وفي قوله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة قولان
أحدهما اعترفوا بذلك والثاني فعلوه
فصل
واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على ثلاثة أقوال

(٣٩٨/٣)

أحدها أن حكم الأسارى كان وجوب قتلهم ثم نسخ بقوله فاما منا بعد وإما فداء قاله الحسن وعطاء في آخرين
والثاني بالعكس وأنه كان الحكم في الأسارى أنه لا يجوز قتلهم صبرا وإنما يجوز المن أو الفداء بقوله فاما منا بعد وإما فداء ثم نسخ بقوله فاقتلوا المشركين قاله مجاهد وقتادة
والثالث أن الآيتين محكمتان والأسير إذا حصل في يد الإمام فهو مخير إن شاء من عليه وإن شاء فاداه وإن شاء قتله صبرا أي ذلك رأى فيه المصلحة للمسلمين فعل هذا قول جابر بن زيد وعليه عامة الفقهاء وهو قول الإمام أحمد
وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون
قوله تعالى وإن أحد من المشركين استجارك قال المفسرون وإن أحد من المشركين الذين أمرتك بقتلهم استأمنك يبتغي أن يسمع القرآن وينظر فيما أمر به ونهي عنه فأجره ثم أبلغه الموضع الذي يأمن فيه
وفي قوله ذلك بأنهم قوم لا يعلمون قولان
أحدهما أن المعنى ذلك الذي أمرناك به من أن يعرفوا ويجاروا لجهلهم بالعلم
والثاني ذلك الذي أمرناك به من رده إلى مأمنه إذا امتنع من الإيمان لأنهم قوم جهلة بخطاب الله

كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين

(٣٩٩/٣)

قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد أي لا يكون لهم ذلك إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وفيهم ثلاثة أقوال

أحدها أنهم بنو ضمرة قاله ابن عباس

والثاني أنهم قريش قاله ابن عباس أيضا وقال قتادة هم مشركو قريش الذين عاهدهم نبي الله صلى الله عليه و سلم زمن الحديبية فنكثوا وظاهروا المشركين

والثالث أنهم خزاعة قاله مجاهد وذكر أهل العلم بالسير أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما صالح سهيل بن عمرو في غزوة الحديبية كتب بينه وبينه هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه لا إسلال ولا إغلال وأن بيننا عيبة مكفوفة وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل ومن أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل وأنه من أتى محمدا منهم بغير إذن وليه رده إليه وأنه من أتى قريشا من اصحاب محمد لم يردوه وأن محمدا يرجع عنا عامه هذا وأصحابه ويدخل علينا في قابل في أصحابه فيقيم بها ثلاثا لا يدخل علينا بسلاح إلا سلاح المسافر السيوف في القرب فوثبت خزاعة فقالوا نحن ندخل في عهد محمد وعقده ووثبت بنو بكر فقالوا نحن ندخل في عهد قريش وعقدها ثم إن قريشا أعانت بني بكر على خزاعة بالرجال والسلاح فبيتوا خزاعة ليلا فقتلوا منهم عشرين رجلا ثم إن قريشا ندمت على ما صنعت وعلموا أن هذا نقض للعهد والمدة التي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه و سلم وخرج قوم من خزاعة إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبروه بما أصابهم فخرج إليهم وكانت غزاة الفتح قال أبو عبيدة الإسلال السرقة والإغلال الخيانة قال ابن الأعرابي وقوله وأن بيننا عيبة مكفوفة مثل أراد أن صلحنا

(٤٠٠/٣)

محكم مستوثق منه كأنه عيبة مشرجة وزعم بعض المفسرين أن قوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام نسخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم

كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون

قوله تعالى كيف وإن يظهروا عليكم قال الزجاج المعنى كيف يكون لهم عهد وإن يظهروا عليكم فحذف ذلك لأنه قد سبق قال الشاعر ... وخبرتماني أنما الموت بالقرى ... فكيف وهذي هضبة وقليب ... أي فكيف مات وليس بقرية ومثله قول الحطيئة ... فكيف ولم أعلمهم خذلوكم ... على معظم ولا أديمكم قدوا ...

أي فكيف تلومونني على مدح قوم واستغني عن ذكر ذلك لأنه قد جرى في القصيدة ما يدل على ما أضمر وقوله يظهروا يعني يقدروا ويظفروا

وفي قوله لا يرقبوا ثلاثة اقوال

أحدها لا يحفظوا والثاني لا يخافوا قاله السدي والثالث لا يراعوا قاله قطرب

وفي الإل خمسة أقوال

(٤٠١/٣)

أحدها أنه القرابة رواه جماعة عن ابن عباس وبه قال الضحاك والسدي ومقاتل والفراء وأنشدوا

إن الوشاة كثير إن أطعتهم ... لا يرقبون بنا إلا ولا ذمما ...

وقال الآخر ... لعمرك إن إلك من قريش ... كإل السقب من رأل النعام ...

والثاني أنه الجوار قاله الحسن

والثالث أنه الله تعالى رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد وبه قال عكرمة

والرابع أنه العهد رواه خصيف عن مجاهد وبه قال ابن زيد وأبو عبيدة

والخامس أنه الحلف قاله قتادة وقرأ عبد الله بن عمرو وعكرمة وأبو رجاء وطلحة بن مصرف إيلا بياء بعد الهمزة وقرأ ابن السميفع والجحدري ألا بفتح الهمزة وتشديد اللام وفي المراد بالذمة ثلاثة اقوال

أحدها أنها العهد قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك في آخرين

والثاني التذمم ممن لا عهد له قاله أبو عبيدة وأنشد ... لا يرقبون بنا إلا ولا ذمما ...

والثالث الأمان قاله اليزيدي واستشهد بقوله ويسعى بذمتهم أدناهم

(٤٠٢/٣)

قوله تعالى يرضونكم بأفواههم فيه ثلاثة أقوال

أحدها يرضونكم بأفواههم في الوفاء وتأبى قلوبهم إلا الغدر

والثاني يرضونكم بأفواههم في العدة بالإيمان وتأبى قلوبهم إلا الشرك

والثالث يرضونكم بأفواههم في الطاعة وتأبى قلوبهم إلا المعصية ذكرهن الماوردي

قوله تعالى وأكثرهم فاسقون قال ابن عباس خارجون عن الصدق ناكثون للعهد

إشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون

قوله تعالى اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا في المشار إليهم قولان

أحدهما أنهم الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان على طعامه قاله مجاهد

والثاني أنهم قوم من اليهود قاله أبو صالح فعلى الأول آيات الله حججه وعلى الثاني هي آيات التوراة والثمن القليل ما حصلوه بدلا من الآيات وفي وصفه بالقليل وجهان

أحدهما لأنه حرام والحرام قليل والثاني لأنه من عرض الدنيا الذي بقاؤه قليل وفي قوله فصدوا عن سبيله ثلاثة اقوال

أحدها عن بيته وذلك حين منعوا النبي صلى الله عليه و سلم بالحديبية دخول مكة والثاني عن دينه يمنع الناس منه والثالث عن طاعته في الوفاء بالعهد

وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون

قوله تعالى وإن نكثوا أيمانهم قال ابن عباس نزلت في أبي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة ابن أبي جهل وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد حين أعانوا بني بكر على خزاعة حلفاء رسول الله فأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يسير إليهم فينصر خزاعة وهم الذين هموا باخراج رسول الله صلى الله عليه و سلم فأما النكث فمعناه النقض والإيمان هاهنا العهود والطعن في الدين أن يعاب وهذا يوجب قتل الذمي إذا طعن في الإسلام لأن المأخوذ عليه أن لا يطعن فيه

قوله تعالى فقاتلوا أئمة الكفر قرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي أئمة بتحقيق الهمزتين وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بتحقيق الأولى وتليين الثانية والمراد بأئمة الكفر رؤوس المشركين وقادتهم أنهم لا أيمان لهم أي لا عهود لهم صادقة هذا على قراءة من فتح الألف وهم الأكثرون وقرأ ابن عامر لا إيمان لهم بالكسر وفيها وجهان ذكرهما الزجاج

أحدهما أنه وصف لهم بالكفر ونفي الإيمان والثاني لا أمان لهم تقول آمنته إيمانا والمعنى فقد بطل أمانكم لهم بنقضهم

وفي قوله لعلهم ينتهون قولان

أحدهما عن الشرك والثاني عن نقض العهود

وفي لعل قولان

احدهما أنها بمعنى الترجي المعنى ليرجى منهم الانتهاء قاله الزجاج

والثاني أنها بمعنى كي قاله أبو سليمان الدمشقي

الا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم

قوله تعالى ألا تقاتلون قوما قال الزجاج هذا على وجه التوبيخ ومعناه الحض على قتالهم قال المفسرون وهذا نزل في نقض قريش عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم الذي عاهدهم بالحديبية حيث أعانوا على خزاعة

وفي قوله وهموا باخراج الرسول قولان

أحدهما أنهم أبو سفيان في جماعة من قريش كانوا فيمن هم باخراج النبي صلى الله عليه و سلم من مكة

والثاني انهم قوم من اليهود غدروا برسول الله صلى الله عليه و سلم ونقضوا عهده وهموا بمعاونة المنافقين على إخراجه من المدينة

قوله تعالى وهم بدؤوكم أول مرة فيه قولان

أحدهما بدؤوكم باعانتهم على حلفائكم قاله ابن عباس

والثاني بالقتال يوم بدر قاله مقاتل

(٤٠٥/٣)

قوله تعالى أتخشونهم قال الزجاج أتخشون أن ينالكم من قتالهم مكروه فمكروه عذاب الله أحق أن يخشى إن كنتم مصدقين بعذابه وثوابه

قوله تعالى ويشف صدور قوم مؤمنين قال ابن عباس ومجاهد يعني خزاعة

قوله تعالى ويذهب غيظ قلوبهم أي كربها ووجدها بمعونة قريش بني بكر عليها

قوله تعالى ويتوب الله على من يشاء قال الزجاج هو مستأنف وليس بجواب قاتلوهم وفيمن عني به قولان

أحدهما بنو خزاعة والمعنى ويتوب الله على من يشاء من بني خزاعة قاله عكرمة
والثاني أنه عام في المشركين كما تاب على أبي سفيان وعكرمة وسهيل والله عليم بنيات المؤمنين حكيم فيما قضى
أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون
قوله تعالى أم حسبتم أن تتركوا في المخاطب بهذا قولان
أحدهما أنهم المؤمنون خوطبوا بهذا حين شق على بعضهم القتال قاله الأكثرون
والثاني أنهم قوم من المنافقين كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه و سلم الخروج معه إلى الجهاد تعذيرا قاله ابن عباس وإنما دخلت الميم في الاستفهام لأنه استفهام

(٤٠٦/٣)

معترض في وسط الكلام فدخلت لتفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ قال الفراء ولو أريد به الابتداء لكان إما بالألف أو ب هل ومعنى الكلام أن تتركوا بغير امتحان يبين به الصادق من الكاذب ولما يعلم الله أي ولم تجاهدوا فيعلم الله وجود ذلك منكم وقد كان يعلم ذلك غيبا فأراد إظهار ما علم ليجازي على العمل
فأما الوليجة فقال ابن قتيبة هي البطانة من غير المسلمين وهو أن يتخذ الرجل من المسلمين دخيلا من المشركين وخليطا ووادا وأصله من الولوج قال أبو عبيدة وكل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة والرجل يكون في القوم وليس منهم فهو وليجة فيهم
ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلواة وآتى الزكواة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين
قوله تعالى ما كان للمشركين أن يعمروا مسجد الله قرأ ابن كثير وأبو عمرو مسجد الله على التوحيد إنما يعمر مساجد الله على الجمع وقرأ عاصم ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي على الجمع فيهما وسبب نزولها أن جماعة من رؤساء قريش أسروا يوم بدر فيهم العباس بن عبد المطلب فأقبل عليهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فعيروهم بالشرك وجعل علي بن أبي طالب يوبخ العباس بقتال رسول الله صلى الله عليه و سلم وقطيعة الرحم فقال العباس مالكم تذكرون مساوئنا وتكتمون محاسننا فقالوا وهل لكم من محاسن قالوا

(٤٠٧/٣)

نعم لنحن أفضل منكم أجرا إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت هذه الآية قاله مقاتل في جماعة

وفي المراد بالعمارة قولان

أحدهما دخوله والجلوس فيه والثاني البناء له وإصلاحه فكلاهما محظور على الكافر والمراد من قوله ما كان للمشركين أي يجب على المسلمين منعهم من ذلك قال الزجاج وقوله شاهدين حال المعنى ما كانت لهم عمارته في حال إقرارهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم لأن كفرهم اذهب ثوابها

فان قيل كيف يشهدون على أنفسهم بالكفر وهم يعتقدون أنهم على الصواب فعنه ثلاثة أجوبة

أحدها أنه قول اليهودي أنا يهودي وقول النصراني أنا نصراني قاله السدي

والثاني أنهم ثبتوا على أنفسهم الكفر بعدولهم عن أمر النبي صلى الله عليه و سلم وهو حق لا يخفى على مميز فكانوا بمنزلة من شهد على نفسه

والثالث أنهم آمنوا بأنبياء شهدوا لمحمد صلى الله عليه و سلم بالتصديق وحرضوا على اتباعه فلما آمنوا بهم وكذبوه دلوا على كفرهم وجرى ذلك مجرى الشهادة على أنفسهم بالكفر لأن الشهادة هي تبيين وإظهار ذكرهما ابن الانباري

فان قيل ما وجه قوله إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ولم يذكر الرسول والإيمان لا يتم إلا به فالجواب أن فيه دليلا على الرسول لقوله واقام الصلاة أي الصلاة التي جاء بها الرسول قاله الزجاج فان قيل فعسى ترج وفاعل هذه الخصال مهتد بلا شك فالجواب أن عسى

(٤٠٨/٣)

من الله واجبة قاله ابن عباس فان قيل قد يعمر مساجد الله من ليس فيه هذه الصفات فالجواب أن المراد أنه من كان على هذه الصفات المذكورة كان من أهل عمارتها وليس المراد أن من عمرها كان بهذه الصفة

أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم

قوله تعالى أجعلتم سقاية الحاج في سبب نزولها ستة اقوال

أحدها رواه مسلم في صحيحه من حديث النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه

و سلم فقال رجل ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج وقال الآخر ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الاسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند مبز رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو يوم الجمعة ولكني إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيت رسول الله فيما اختلفتم فيه فنزلت هذه الآية

(٤٠٩/٣)

والثاني أن العباس بن عبد المطلب قال يوم بدر لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج ونفك العاني فنزلت هذه الآية رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

والثالث أن المشركين قالوا عمارة بيت الله الحرام والقيام على السقاية خير ممن آمن وجاهد وكانوا يفتخرون بالحرم من أجل أنهم أهله فنزلت هذه الآية رواه عطية العوفي عن ابن عباس

والرابع أن عليا والعباس وطلحة يعني سادن الكعبة افتخروا فقال طلحة أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه ولوأشاء بت فيه وقال العباس أنا صاحب السقاية والقائم عليها ولو أشاء بت في المسجد وقال علي ما أدري ما تقولون لقد صليت ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فنزلت هذه الآية قاله الحسن والشعبي والقرظي

والخامس أنهم لما أمروا بالهجرة قال العباس أنا أسقي الحاج وقال طلحة أنا صاحب الكعبة فلا نهاجر فنزلت هذه الآية والتي بعدها قاله مجاهد هكذا ذكر مجاهد وإنما الصواب عثمان بن طلحة لأن طلحة هذا لم يسلم

والسادس أن عليا قال للعباس ألا تلحق بالنبي صلى الله عليه و سلم فقال ألست في أفضل من الهجرة ألست أسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فنزلت هذه الآية والتي بعدها قاله المرة الهمداني وابن سيرين قال الزجاج ومعنى الآية أجعلتم أهل سقاية الحاج وأهل عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله فحذف المضاف واقام المضاف إليه مقامه قال الحسن كان ينبذ زبيب فيسقون

(٤١٠/٣)

الحاج في الموسم وقال ابن عباس عمارة المسجد تجميره وتخليقه فأخبر الله أن أفعالهم تلك لا تنفعهم مع الشرك وسماهم ظالمين لشركهم

قوله تعالى أعظم درجة قال الزجاج هو منصوب على التمييز والمعنى أعظم من غيرهم درجة والفائز

الذي يظفر بأمنيته من الخير فأما النعيم فهو لين العيش والمقيم الدائم

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون

قوله تعالى لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء في سبب نزولها خمسة أقوال

أحدها أنه لما أمر المسلمون بالهجرة جعل الرجل يقول لأهله إنا قد أمرنا بالهجرة فمنهم من يسرع إلى ذلك ومنهم من يتعلق به عياله وزوجته فيقولون ننشدك الله أن تدعنا إلى غير شيء فيرق قلبه فيجلس معهم فنزلت هذه الآية قاله أبو صالح عن ابن عباس

والثاني أنه لما أمر الله المؤمنين بالهجرة قال المسلمون يا نبي الله إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وخربت ديارنا فنزلت هذه الآية قاله الضحاك عن ابن عباس

والثالث أنه لما قال العباس أنا أسقي الحاج وقال طلحة أنا أحجب الكعبة فلا نهاجر نزلت هذه الآية والتي قبلها هذا قول قتادة وقد ذكرناه عن مجاهد

والرابع أن نفرا ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بمكة فنهى الله عن ولايتهم وأنزل هذه الآية قاله مقاتل

(٤١١/٣)

والخامس أن النبي صلى الله عليه و سلم لما أمر الناس بالجهاز لنصرة خزاعة على قريش قال أبو بكر الصديق يا رسول الله نعاونهم على قومنا فنزلت هذه الآية ذكره أبو سليمان الدمشقي

قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين

قوله تعالى قل إن كان آباؤكم الآية في سبب نزولها ثلاثة اقوال

أحدها أنها نزلت في الذين تخلفوا مع عيالهم بمكة ولم يهاجروا قاله أبو صالح عن ابن عباس

والثاني أن علي بن أبي طالب قدم مكة فقال لقوم ألا تهاجرون فقالوا نقيم مع إخواننا وعشائرنا ومساكننا فنزلت هذه الآية قاله ابن سيرين

والثالث أنه لما نزلت الآية التي قبلها قالوا يا رسول الله إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وعشيرتنا وذهبت تجارتنا وخربت ديارنا فنزلت هذه الآية ذكره بعض المفسرين في هذه الآية وذكره بعضهم في الآية الأولى كما حكيناه عن ابن عباس فأما العشيرة فهم الأقارب الأدنون وروى أبو بكر عن عاصم وعشيراتكم على الجمع قال أبو علي وجهه أن كل واحد من المخاطبين له عشيرة فاذا جمعت

قلت عشيراتكم وحجة من افرد أن العشيرة واقعة على الجمع فاستغنى بذلك عن جمعها وقال الأخفش لا تكاد

(٤١٢/٣)

العرب تجمع عشيرة عشيرات إنما يجمعونها على عشائر والاقتراف بمعنى الاكتساب والتربص الانتظار وفي قوله حتى يأتي الله بأمره قولان

أحدهما أنه فتح مكة قاله مجاهد والأكثرون ومعنى الآية إن كان المقام في أهاليكم وكانت الأموال التي اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها لفراقكم بلدكم ومساكن ترضونها أحب إليكم من الهجرة فأقيموا غير مثابين حتى تفتح مكة فيسقط فرض الهجرة

والثاني أنه العقاب قاله الحسن

لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين

قوله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة أي في أماكن قال الفراء وكل جمع كانت فيه الف قبلها حرفان وبعدها حرفان لم يجر مثل صوامع ومساجد وجرى حنين لأنه اسم لمذكر وهو واد بين مكة والطائف وإذا سميت ماء أو واديا أو جبلا باسم مذكر لا علة فيه أجريته من ذلك حنين وبدر وحراء وثبير ودابق ومعنى الآية أن الله عز و جل أعلمهم أنهم إنما يغلبون بنصر الله لا بكثرتهم وفي عددهم يوم حنين أربعة أقوال

أحدها أنهم كانوا ستة عشر ألفا رواه عطاء عن ابن عباس

والثاني عشرة آلاف رواه أبو صالح عن ابن عباس

(٤١٣/٣)

والثالث كانوا اثني عشر ألفا قاله قتادة وابن زيد وابن إسحاق والواقدي

والرابع أحد عشر ألفا وخمسمائة قاله مقاتل قال ابن عباس فقال ذلك اليوم سلمة بن سلامة بن وقش وقد عجب لكثرة الناس لن تغلب اليوم من قلة فساء رسول الله صلى الله عليه و سلم كلامه ووكلوا إلى كلمة الرجل فذلك قوله إذ أعجبتكم كثرتكم فلن تغن عنكم شيئا وقال سعيد بن المسيب القائل لذلك أبو بكر الصديق وحكى ابن جرير أن القائل لذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم وقيل بل العباس وقيل رجل من بني بكر

قوله تعالى وضاقت عليكم الأرض بما رحبت أي برحبها قال الفراء والباء هاهنا بمنزلة في كما تقول ضاقت عليكم الأرض في رحبها وبرحبها

الإشارة إلى القصة

قال أهل العلم بالسيرة لما فتح رسول الله صلى الله عليه و سلم مكة تآمر عليه أشراف هوازن وثقيف فجاؤوا حتى نزلوا أوطاس وأجمعوا المسير إليه فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه و سلم فلما التقوا أعجبتهم كثرتهم فهزموا

وقال البراء بن عازب لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فأقبلوا بالسهام فانكشف المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه و سلم وبعضهم يقول

(٣/٤١٤)